أندريه كوكوتيوخا

АНДРІЙ КОКОТЮХА

هناك... حيث يختفي البشر

АНОМАЛЬНА ЗОНА

الترجمة من الأوكرانية: عماد الدين رائف

Переклад з Української: Імаддін Раеф

رواية

مكتبة
Telegram Network

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

هناك ... حيث يختفي البشر

«مكتبة ♔ النخبة»

أندريه كوكوتيوخا

АНДРІЙ КОКОТЮХА

هناك...
حيث يختفي البشر

АНОМАЛЬНА ЗОНА

رواية

الترجمة من الأوكرانية

عماد الدين رائف

Переклад з Української

Імадеддін Раеф

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل

Anomalous Zone

By Andrij Kokotyukha

العنوان الأصلي للرواية: المنطقة الشاذة المنطقة الشاذة، أندريه كوكوتيوخا (كييف: دار نورا دروك، ط2: 2017) 256 ص. حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من

Nora Druk, Vasylkivka St 30, office 2-207, 03022KYIV, Ukraine
represented by: Agence littéraire Astier-Pécher, 5, Rue Cavé, 75018 Paris, France
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Copyright © Нора-друк, 2009, 2017 All rights reserved Arabic Copyright © 2021 by Arab Scientific Publishers

منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

الطبعة الأولى: تموز/يوليو 2022 م - 1443 هـ

ردمك 9786140268654

جميع الحقوق محفوظة للناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح
مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التوزيع في المملكة العربية السعو
دار إقـــراء للـنـشـــر

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكـ
أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص
أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرو

ebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

تصميم الغلاف: علي القهوجي

القسم الأول

العالم الموازي

1

يبدأ كل شيء غدًا.

أما اليوم فعمل شامراي بشكل عاديّ.

يوم عمله العادي هو عندما يلتقي بمجانين مختلفين ويتظاهر بتصديقهم ويأخذ أحاديثهم على محمل الجدّ، وإلا فلا مجال للعمل؛ لن يصدقوه.

كل شيء يبدأ غدًا...

2

ها هو أمام باب الشقة المكسوّ بطبقة جلدية قديمة؛ الشقة الكائنة في الطابق السادس من مبنًى عتيقٍ مؤلّفٍ من تسعة طوابق، مصعده معطل. جلد الباب مقطع إلى مربعات ذات زوايا غائرة، وإلى جانبيه بابان مجدّدان لشقتين أخريين؛ الأيسر مصفّح بالحديد، أما الأيمن فمن خشب البلوط الصلب المغطى بطبقة من الورنيش اللامع. كان رقم الشقة المطلوبة مكتوبًا بالطبشور على درفتي الباب العتيق، أما بابا الشقتين الجارتين المجدّدان فكأن سكانهما استغنوا عن ترقيمهما.

ضغط شامراي على زر الجرس بإصبعه، لكنه لم يسمع صوتًا من الداخل، فضغط مرة أخرى، ثم نقر برفق على الجلد المبطّن، ولكن، بلا جدوى. ضرب شامراي الباب بقوة بقبضته، وفي النهاية سمع حركة خلف الباب. دار مفتاح في القفل، وفتح شق الباب بطول سلسلة الحماية القديمة الموصولة به.

- أهذا أنت؟ وصله صوت حذر من خلف الباب.

- نعم، أنا - ردّ شامراي بحزم - أتريدين مشاهدة بطاقتي؟

أُغلِق الباب ليُعادَ فتحه على وسعه بعد قليل؛ سقطت السلسلة، وتبين أن صاحبة الشقة امرأة مسنّة ذات شعر قصير، كانت تلفّ جسدها برداء كان فاخرًا وباهظ الثمن ذات يوم، وهو الآن مجرد رداء مخملي قديم نادر مزيّن بتنانين، وعند طرفه السفلي ظهر نعلان يدويّا الصنع، مزينان بوجوه كلاب؛ هذا النوع من النعال متوفر بكثرة في كل الأسواق.

لم يحاول شامراي تقدير سنّها، ولم يكن هناك ما يدل على الجنون في مظهرها أو في طريقة استقبالها له، كذلك بدا صوتها طبيعيًا تمامًا كما بدا عبر الهاتف.

- يمكنك شراء أي مستندات الآن. ألصق صورتك وامهرها بختم مزيف، وستغدو موظفًا حكوميًا.

- أنا لست موظفًا حكوميًا - مطّ شامراي شفتيه مبتسمًا - هل أنت هالينا هريهوريفنا؟

- نعم، من الواضح أنك لست أحدهم - تمتمت المرأة ذات الرداء - أولئك لا يقصدونني. العفو.

تنحّت جانبًا مقدار خطوة، ودعت هالينا هريهوريفنا الضيف بإيماءة كي يمرّ بجانبها. دخل شامراي وخلع حذاءه على الفور بحركتين معتادتين. على الرغم من أن الشقة كانت قذرة بشكل غير

متوقع، داس بجوربه الأيسر الأرض، وشعر بالاشمئزاز إذ لامس جوربه شيئًا دبقًا في الممر والتصقت به بعض القاذورات.

- لم يكن عليك أن تخلع حذاءك - لاحظت المضيفة - اليابانيون يخلعون أحذيتهم عند عتبة الباب، لكن إذا كنت مرتاحًا...

- أنا ياباني بعض الشيء - حاول شامراي ممازحة المرأة - أو صيني، لا أعرف.

- إذا كنت صينيًا، فسأقدم لك الشاي الأخضر. تعالَ إلى المطبخ. على أي حال سنذهب إلى هناك.

على مدى أربع سنوات من التواصل مع أناس مثلها، اعتاد شامراي أن معظم الشخصيات في مقابلاته وحيدون أو يعيشون في فقر أو على حافة الفقر، لكنهم لا يلاحظون ذلك بعناد. لذلك، اضطر للاعتراف: هؤلاء الناس أكثر سعادة منه ومن أمثاله، وبالتأكيد أكثر سعادة من أصحاب الملايين على اختلافهم.

نظر شامراي حوله متفحّصًا المطبخ وقد غادره شعوره بالاشمئزاز. شاهد حوضًا مطليًا بالمينا فيه ثلاث أوانٍ متسخة من الألمنيوم، وبجانبها كوب خزفي منقط فيه ظرف شاي مستعمل، كما رأى ثلاجة قديمة على حافة عمرها تعيش أيامها الأخيرة، وسلة من القشّ فيها قطعة خبز على شكل كرة ملفوفة بعناية بسيلوفان شفاف سهل النزع. الطاولة مغطاة بقطعة قماش زيتية ملونة دبقة، وبجانبها كرسيان صغيران، وعلى الموقد وُضِعَ إبريق شاي رخامي اللون، وعلى الحائط رفّ فوقه علبة معدنية سعة نصف ليتر مليئة بالملاعق والشوك المصنوعة من الألمنيوم، التي هجرت أماكنها في الأدراج منذ زمن بعيد، وعلى حافة النافذة جهاز "راديو توتشكا"[1] أبيض، يبدو أنه الشيء الوحيد المنظّف بعناية هنا.

- اجلس... ما اسمك؟

- فيكتور.

- أها، اجلس يا فيكتور، أنا الآن... الشاي، الشاي...

بدا لشامراي أن حركات هذه المرأة تشبه حركات الروبوتات. حسنًا، حتى لو لم تكن دمية آلية، إلا أن هذه المرأة التي تعرّف إليها للتو لا تشبه شخصًا حيًّا بكلّ أفراحه ومتاعبه ومشاكله إلا قليلًا، بل كأن هذه العمّة الفقيرة التعيسة فيها شيء ما غير ذلك. استطاع فيكتور أن يلاحظ وميضًا ما في عينيها. عيناها ليستا سليمتين تمامًا، لكنّ وميضًا ما فيهما...

وضعت المرأة إبريق الشاي تحت الصنبور وملأته بالماء، ثم أشعلت عين الغاز بعد ثلاث محاولات مع أعواد الثقاب. اشتعلت النار تحت الإبريق، وألقت ظرف الشاي المستعمل من الكوب،

ثم غسلته، وأخذت كوبًا آخر ذا طرف مكسور من حافة النافذة، وغسلته كذلك، ووضعته أمام الضيف.

- قوي؟

- أنا؟ سأل فيكتور.

- أتريد الشاي قويًا؟ هل تشرب الشاي كثيفًا؟

- أوه، نعم، نعم، إن أمكن.

أخذت هالينا هريهوريفنا علبة ظروف الشاي الأخضر الرخيصة من حافة النافذة وألقت بظرفين في كوب الضيف في الحال.

- سُكّر؟

- لا، شكرًا - أجاب شامراي بأدب - إذًا، أنت اتصلت بي لـ...

- أنا لم أتصل بك، بل أنت التقطت سماعة الهاتف.

- فليكن - وافق فيكتور - لكنك تحدثت إليّ. هل يمكنك تكرار أو إظهار ما الذي يحدث لك على الأقل؟

- هذا سبب زيارتك - ردّت المرأة بهدوء - انظر هنا، هكذا يحدث الأمر.

مشت إلى الراديو، وأدارت مفتاحه رافعة الصوت، لكنه لم يصدر أي صوت. انتظر شامراي بصبر تعليقاتها.

- تظنّ أن الراديو مطفأ. قالت هالينا هريهوريفنا، على الرغم من أن فيكتور لم يكن يفكر في أي شيء على الإطلاق في ذلك الوقت.

- هنا، انظر هنا.

فصلت المرأة الراديو عن المقبس الكهربائي، ثم أعادت توصيله وأدارت مفتاح الصوت مرة أخرى، لكن لم يحدث أيّ شيء، بل بقي الراديو لا يصدر أيَّ صوت.

- لحظة، الآن. أمسكت المرأة الراديو بكلتا يديها، وهزته عدة مرات، وارتعش سلكه أيضًا. صرخ الراديو مطلقًا صفيرًا مع أصوات خارجة من مكان ما بداخله لا يمكن تمييزها بوضوح أو فصل بعضها عن بعض. بدا وكأنها آتية من مكان بعيد من عالم آخر... أو من الفضاء.

آنذاك، أعادت هالينا هريهوريفنا ترداد ما كانت قد قالته له عبر الهاتف، إنها على اتصال مستمر مع الفضاء عبر جهاز الراديو، أما شامراي، وبحكم العادة، تظاهر بأن كل هذا ممتع للغاية بالنسبة إليه.

- منذ متى؟

- منذ ثلاثة أشهر - تركت المرأة الراديو وشأنه، ونظرت بفخر إلى ضيفها - كان الراديو يتحدث، ويقول كل أنواع الهراء، وذات يوم جميل التقطه فسكت. هززته يمينًا ويسارًا، ثم سئمت منه، وقررت أنه انتهى من النباح، حتى إنني ذهبت لأطلب منهم أن يُلغوا رسم الراديو من فواتير الشقة الشهرية، فأنا لا أستخدمه، أما هم، الأفاعي، فلم يرغبوا بتغيير أي شيء، وقد وعدت بمقاضاتهم. بصراحة، حذرتهم ثلاث مرات، ثم ذهبت إلى محامٍ. لدينا مكتب قانوني، يقع في مكان غير بعيد من هنا، على بعد مبنيين فقط. تجلس هناك فتاة جميلة طيبة، مع أنها يهودية، لكن لا يهمّ... حسنًا، شرحت لي: لن يتغير شيء، ولن أتمكن من التغلب على هؤلاء البيروقراطيين. نعم، وكل هذا يكلّف مالًا، ومن أين يمكنني الحصول على الكثير من المال؟ حتى إن ما أملكه لا يكفي بدل استشارة قانونية واحدة. كل شيء بثمنه، فليختنق أولئك الأوليغارشيّون، قطّاع الطرق... لكنّ الفتاة لم تأخذ مني أي نقود، إنها جيدة. تقول إن اسم عائلتي معروف لديها. والدتها، أتسمعني؟... ما زالت تتذكرني من المسرح الدرامي، هناك كنت أؤدي كل الأدوار الرئيسة... هذه الفتاة لن تأخذ المال من ممثلة شهيرة، فالاحترام، أيها الشاب، قيمته أكثر... آه، لا بأس... باختصار، خرجت ولم أتمكن من تغيير شيء. فكرت: فليسرقوا كوبيكاتي2 القليلة، ولن يكونوا سعداء.

لم يقاطع شامراي المونولوج، لكنه تمكن من تشغيل جهاز التسجيل. لاحظت هالينا هريهوريفنا ذلك، لكنها لم تُبدِ أيّ ردّة فعل. حكت وحكت ولم يقاطعها حتى صدر صفير إبريق الشاي.

- لذا، توقفتُ عن محاولة العثور على الحقيقة. أطفأت المضيفة الغاز، والتقطت الإبريق من مقبضه، وبدأت تهزّه، كما يفعل الشمّاس مع المبخرة. كان فيكتور خائفًا من أن ترشّ بعض الماء الساخن فتصيبه قطرة.

- حسنًا، مرّ شهر، وشهر ثانٍ وثالث، وفجأة، وفي وضح النهار، دبّت الحياة في الراديو من جديد. لم يتحدث، انتبه، لكنه عاد إلى الحياة. لذا، كما رأيت للتو - أحنت إبريق الشاي بمحاذاة شامراي الذي تحرك قليلًا، إلا أن ذلك لم يكن لديه داع، فقد سكبت الماء في الكوب تمامًا، وطاف الظرفان على الفور بعدما تضخّما - في البداية كنت أرغب في إيقاف تشغيله، لماذا يصفر هكذا؟ - سكبت المرأة الماء في كوبها - ثم بدأتُ في الإنصات وفهمت كل شيء. ألم تفهم شيئًا يا فيتيا3؟

اكتفى شامراي بهزّ رأسه نفيًا.

- من الواضح أنك شخص مدنيّ بالكامل. كم عمرك؟

- ثلاثون.

- في أي فوج خدمت؟

- لم أخدم على الإطلاق. الله رحمني.

- لا، الله عاقبك - هدّدت هالينا هريهوريفنا ضيفها بإصبعها - يجب على الرجل أن يخدم في الجيش، فالرجل محارب، وُلد ليحارب. كان زوجي الراحل يتحدث عن هذا الأمر باستمرار. كان ضابط إشارة. لحظة، سأريك.

بخفة، وبحركة سريعة لم يتوقعها شامراي منها على الإطلاق، خرجت هالينا هريهوريفنا من المطبخ وعادت مع صورة مؤطرة، ظهرت فيها امرأة فائقة الجمال ذات شعر طويل رائع، مرتدية فستانَ سهرة بهيًّا، تقف إلى جانب رجل.

- ها نحن في التسعينيات، حين كنا نعيش في ألمانيا. خدم زوجي هناك في مديرية الاستخبارات المركزية4، قسم المخابرات السري. كنت أؤدي هناك عروضًا في مسارح الهواة، وأعطيك كلمة حقٍّ، تلك أفضل من أي مسرح كبير، إذا جاز التعبير. أترى أي فستان أرتدي؟ كان مخيّطًا خصيصًا لي، لقد كنا بعد العرض الأول... ثم سُحبت قواتنا من ألمانيا، وانتقلنا إلى هنا، إلى جيتومير... قصة حزينة. لكن الحقّ أن زوجي الراحل كان ضابطَ ارتباطٍ وعسكريًا محترفًا. في بعض الأحيان حظينا بالكثير من المرح، فبدلًا من الكلمات، استخدمنا شفرة مورس، حتى إن ابنتنا اعتبرتنا من أولئك... كانت تنظر إلينا وتدير سبابتها عند طرف جبينها.

- بالمناسبة أين ابنتك الآن؟ سألها شامراي.

- تعيش في ألمانيا منذ مدة طويلة، لقد سافرت بقصد العمل في البداية، ثم غادرت بشكل دائم؛ هكذا جرت الأمور، ولا تأتي لزيارتي... عندما سمعت هذه الأصوات الصادرة من الراديو، ذكرتني بشيء ما، استمعت بشكل أفضل، نعم، بشفرة مورس... اشرب الشاي قبل أن يبرد.

أطاعها شامراي وأخذ رشفة من المشروب المخمّر الذي تفوح منه كل الروائح ما عدا رائحة الشاي الأخضر، وتذكر على الفور كيف التقى العام الماضي برجل غريب الأطوار جادل بأنه تحت ستار الشاي الأخضر، يبيعون الناس عشبة مجفّفة خاصة تضعف القدرة الجنسية. توقف الرجل عن الانسجام بشكل جيد مع النساء، وبحثًا عن الأسباب، لاحظ فجأة أنه كان يشرب ظروف الشاي الأخضر في الآونة الأخيرة، وفي سبيل إتمام التجربة، بدأ باستهلاك المشروب بكميات كبيرة، باللليترات. لقد تلقى، حسب قوله، الضربة كلها بنفسه، فساءت حياته الجنسية، ثم توقف غريب الأطوار فجأة عن شرب الشاي الأخضر، ولكن لم تحدث لديه أي تغيّرات نحو الأفضل. بعد ذلك، استنتج نظريته حول مؤامرة منتجي الشاي الأخضر العالمية للحدّ من الولادات في مقاطعة جيتومير، وهي جزء من بوليسيا التي تأثرت بشكل مباشر من حادثة تشيرنوبيل. نعم، كان ذلك الرجل قد قارب الخامسة والسبعين من عمره...

- كل ذلك لمع في رأسي فجأة - لم تعد هالينا هريهوريفنا تخفي فرحتها - هذا زوجي، اللفتنانت كولونيل هوربانسكي، يتابع التواصل معي من العالم الآخر، عبر الفضاء، إذ لا طريقة أخرى للتواصل؛ ذلك مستحيل. في السنة الأولى بعد وفاته، ظهر لي في منتصف الليل، وقال لي شيئًا ما، لكنني لم أستطع فهمه، ثم توقف عن الظهور، والآن وجد طريقة أخرى. هو، في العالم الآخر، يعرف عنا أكثر بكثير مما نعرف عنه، ولذلك أتى يحذرنا من الخطر.

- يحذرنا نحن؟ استوضحها شامراي.

- نحن - أومأت أرملة الكولونيل بالإيجاب - أنا، والبشرية من خلالي. كنت صامتة، صمتّ لأنني اعتبرت الأمر شخصيًا... حميمًا، إذا صح التعبير، لكن في الآونة الأخيرة، أتتني منه رسائل أيّها الشاب، وقررت عدم إخفائها بعد الآن وإخبار الناس بكل شيء. هل سمعت بالأزمة العالمية؟

- الجميع سمعوا بها الآن. أعتقد أن المتشردين حتى في محطة الحافلات سمعوا بها.

- عرفت بها قبل أن يعرفوا - أعلنت هالينا هريهوريفنا منتصرة - أبلغني زوجي بها عبر التلغراف الفضائي: استعدي، كان الوضع سيئًا، وسيكون أسوأ. ووعدني بتقديم نصائح تتعلق بكيفية التعامل معها. هناك - رفعت المرأة إصبعها بشكل واضح إلى السقف - يعرفون الكثير عنا، وهنا، في السوق ارتفع سعر البطاطس. قال لي زوجي: هاليا5، اقترضي المال، اشتري شوالًا، لأنك قريبًا لن تتمكني من ذلك. فاقترضت المال واشتريت شوالًا، وأخبرت عددًا من النساء بالأمر، إذ لم أستطيع كبح جماح نفسي، فسارعن إلى ذلك. قلت لهن فأطعنني، وبدأن أيضًا بشراء أكياس البطاطس. وفي نهاية الأسبوع التالي، كان البائع نفسه يبيعها بسعر أغلى.

- حسنًا - أبعد شامراي كوب الشاي المزعوم عنه قليلًا، وأسند مرفق يده على الطاولة ليجعل جلسته أكثر ملاءمة للإمساك بجهاز التسجيل - هل يمكنك إخبارنا بما يحذرنا الفضاء أيضًا؟ لديك اتصال دائم، ربما تعرفين الكثير...

- هل ستصوّرني؟ سألته هالينا هريهوريفنا فجأة.

- بالتأكيد، وسنذكر اسم عائلتك، فأنت ممثلة مشهورة... والآن غدوتِ وسيطة أيضًا بين الفضاء وجيتومير.

لم ترتعش عضلة واحدة في وجه شامراي عند تلفّظه بهذه الكلمات.

- آه، أي نوع من الوسيطة أنا؟ - ردّت المرأة - لقد علمني زوجي شيفرة مورس، لذلك بدأت أفهم كل شيء. هل أنا بحاجة لتغيير ملابسي أو الخروج؟

- الوضع أفضل في المنزل - وضع فيكتور المُسجل على الطاولة، وأدخل يده في حقيبته باحثًا عن الكاميرا - أنت تحدثي، فقط تحدثي... فكل ما تقولينه له قيمة كبيرة بالنسبة إليّ.

- حسنًا، باختصار، أخبرني زوجي من الفضاء أن رجلًا أسود سيغدو الرئيس الجديد لأميركا. في البداية، اعتقدت أنها استعارة، لكنني أدركت بعد ذلك أنه قال ذلك بالمعنى الحرفي. الآن أنا وأنت نعرف من ربح، الرجل ذو البشرة السمراء. نعم، ماذا حدث أيضًا؟ عن أسعار اللحوم... كانت تتحدث، وآلة التسجيل تعمل، وشامراي ينقر زر الكاميرا.

... أثناء ذلك، تساءل فيكتور عما يحدث بحق الجحيم. من الواضح أن المشكلة في جهاز الراديو نفسه؛ إما أنه قديم جدًا ويستقبل بعض جهات الاتصال من تلقاء نفسه، أو أنه بعد هزّ الجهاز تنفجر الموجات الصوتية في مكان ما في السلك نفسه، لذلك لا يمكن للراديو نقل الصوت بشكل طبيعي، ومن المرجح أن يحدث كل هذا. يجب إصلاح الراديو أو التخلص منه، وأن تقوم بشراء راديو "توتشكا" جديد، أو الأسهل شراء جهاز صيني رخيص يعمل على البطاريات، وإذا كان من الصعب جدًا على هالينا هريهوريفنا الاستغناء عن راديو "توتشكا"، فعلى شخص آخر أن يفعل ذلك، أو على الأقل أن يشرح للمرأة الوضع بواقعية.

لكن من قال إن ساكنة هذه الشقة ترغب في رؤية الأمور بواقعية؟ لديها علاقة مع الفضاء، وهي بالتحديد علاقة مباشرة، إذ إنها قادرة على تلقي معلومات لا يمتلكها أي شخص آخر. توافق على ذكر اسم عائلتها، ولا تمانع في أن تؤخذ لها الصور، إلى جانب ذلك، كشفت عن مسألة مثيرة للاهتمام، إذ اتضح أنها أدّت مسرحيات ذات يوم على خشبة مسرح المقاطعة الدرامي.

على أي حال، ستنتقل مادة كهذه إلى الصفحة الأولى، نعم، وستُنشر حلقتها الثانية في العدد المقبل.

3

"حقائق لا تُصدّق" هو اسم الصحيفة التي يعمل فيها فيكتور شامراي للسنة الرابعة على التوالي. صدرت بأربع صفحات في البداية، ثم بثمانٍ، ومنذ خريف هذا العام بست عشرة صفحة. في اسمها أعلى الصفحة الأولى، كُتبت عبارة "لا تُصدّق" بخط مائل غير داكن، حتى تلتفت الأنظار إلى كلمة "حقائق" التي برزت بأحرف كبيرة، تشبه بطريقة كتابتها إلى حدّ بعيد عنوان صحيفة أخرى تحظى بشعبية واسعة في جميع أنحاء البلاد، وهي صحيفة "حقائق وتعليقات" الأوكرانية. في بعض الأحيان، بإذن هيئة التحرير، أعادت صحيفة "حقائق لا تُصدّق" المحلية في جيتومير طباعة بعض المواد المنشورة في صحف أخرى. مثلًا، حادثة اختراق قضيب بناء حديدي مجدول جسم سائق جرّار، لم ينجُ من الحادثة فحسب، بل أنجبت منه عشيقته توأمًا، أو عن عجوز ريفيّ شبه أميّ بات يتحدث بالإنكليزية بعدما ضربته صاعقة برق، أو عن امرأة حملت من رجلٍ ميت... إلا أنّ "حقائق لا تُصدّق" لم تعتمد كثيرًا على إعادة نشر موادّ منشورة، بل على الأحداث التي تنبشها بنفسها، على الرغم من أن كلمة "تنبشها" هنا مبالغ فيها. فقد كانت معظم المقالات، بما في ذلك الأبراج والتنبؤات المختلفة، ثمرة خيال هيئة التحرير الغني... أو ثمرة خيالها المريض. لا داعي للتحقّق، فكلما كتب المحرر قصة مذهلة، وكلما قلت إمكانية تصديقها، زاد إيمان الناس بها. هذه هي السياسة التحريرية للصحيفة برمتها.

صحيح، ينبغي أن يكون في ما يُنشر شيءٌ حقيقي، لتحقيق التوازن بين الخيال والواقع، وبالتالي رفع أسهم مصداقية الصحيفة، وإلا، فإن "حقائق لا تُصدّق" كانت لتُضجِر المستثمرين منذ مدة طويلة. هذه الصحيفة منذ بداية تأسيسها هي عبارة عن وسيلة ترفيه وتشويق أكثر من كونها وسيلة مهمة للتأثير على فئة معينة من المواطنين، إلا أنها أصبحت كذلك بعد عام واحد من صدورها. فقد لاقت أخبار الأبراج، والتنبؤات، والتوقعات، والمعجزات، والغرائب، والرموز المعجزة، وتصريحات المنجمين... استحسانًا كبيرًا لدى القراء، وجعلت "حقائق لا تُصدّق" إن لم تكن مربحة تمامًا، فعلى الأقل ليست صحيفة متعثرة. لم يتوقع مالكو الصحيفة، الذين كانوا يديرون وكالة إعلانات معروفة إلى حد ما في جيتومير ومنطقتها، ووكالة عقارات وشركة نشر وطباعة، مثل هذا التأثير، واتفقوا على أن المواد، التي كان أبطالها أناسًا حقيقيين يعيشون بجوار القراء، منحت الصحيفة تلك الشعبية، ومن خلال هؤلاء الأبطال، حصلت الصحيفة، وبالتالي أصحابها، على مصداقية عالية إلى حدّ ما.

بالمناسبة، أتيحت الفرصة غير مرة لفيكتور شامراي، ولباقي أعضاء هيئة التحرير أيضًا، أن يلمسوا بأنفسهم أن "حقائق لا تُصدّق" لديها تأثير معيّن على الرأي العام؛ هذا الأمر مؤكد في جيتومير ومنطقتها على الأقل. على سبيل المثال، خلال إحدى الحملات الانتخابية البلدية، دفع أحد المرشحين المال لمالكي الصحيفة، على الأرجح، كي يُشيطنوا منافسه الرئيسي على صفحاتها،

ونفّذت الصحيفة الأمر: وجد المحررون عرّافة عجوزًا في إحدى القرى، كانت تنظر إلى صور السياسيين المحليين وتشير إلى أن هناك الكثير من الضباب الأسود فوق إحداها، وبالطبع، تبين أن "الرجل ذا الضباب الأسود" هو ذاك المنافس غير المرغوب فيه. كان قراء "حقائق لا تُصدّق" في الغالب من كبار السن - ما قبل التقاعد أو في سنّ التقاعد - وقد حرصوا، على عكس الشباب، على التوجه إلى صناديق الاقتراع بعناية واجتهاد، والواضح أن كبار السن صدقوا تلك العرافة القروية، وبالتالي لم يدلوا بأصواتهم لمرشح البلدية "الضبابي".

اتهم المرشح الخاسر منافسه بـ "الدعاية الصفراء"، وحاول مقاضاة الصحيفة لنشرها معلومات كاذبة عنه، لكنه توقف في الوقت المناسب، لأنه تلقى نصيحة مناسبة كما يبدو، حول أن كل ما فعلته الصحيفة أنها نشرت أفكار عجوز شبه أمية لا تملك جهاز تلفزيون في منزلها، لأنها تعدّ ذلك خطيئة، ولا أحد يعرف كيف كان حديثها مع كاتب المقال بالفعل، كما أن استجواب هذه العجوز كشاهدة أمر غير مجدٍ، لأن المدعي سيزيد من الإضرار بصورته التالفة في الأساس.

يمكن لصحيفة مثل "حقائق لا تصدق" أن تنشر أيَّ شيء، أيَّ نوع من الهراء؛ هذا هو واقعها، هذه هي صورتها، هذا شكلها. الناس مقسومون إلى قسمين، إما أنهم يؤمنون بأن الفضائيين موجودون أو لا يؤمنون بذلك. في هذه الحال يستحيل إثبات أن ثلثي متقاعدي مقاطعة جيتومير صوّتوا ضد أحد المرشحين لصالح مرشح آخر فقط لأنهم قرؤوا صحيفة تنشر أخبار الأبراج، ومقالات عن عمليات الاختطاف التي قام بها المرّيخيّون، وقصصًا عن ذئاب متعددة الرؤوس في منطقة محظورة.

أعدّ ذاك المقال فيكتور شامراي الذي كان قد زار تلك العجوز في مكان ما في ناحية رادوميشل، حاملًا إليها مساعدة إنسانية من مكتب التحرير؛ صندوق موادّ غذائية: حنطة سوداء وزبدة وسُكّر وعلبة من الحليب المكثف، وخلال المحادثة أراها صور المرشحين وعلى إحداها شعار الشيطان، وصوّرها وهي تنظر إلى الصور، ثم لفّق النص المطلوب، وتلقى بعد ذلك مئتي دولار إضافية مقابل ذلك، وقد وصله المبلغ في مظروف مستطيل أبيض.

شامراي متخصص في العمل مع أناس حقيقيين. لا يمكن القول إنه أحبّ الصحيفة منذ البداية، ومع ذلك، في "حقائق لا تُصدّق" تبيّن له مع الوقت أن المسألة كلها مرتبطة بظروف حياته، وكلما امتد الوقت كلما قلّ تفكيره. هنا لم يجهد كثيرًا، وكان لديه دخلٌ ثابتٌ، وعرف ما هو متوقع منه، وكان يفي تمامًا بمتطلبات المالكين، وبالتالي بأوامر إدارته المباشرة. بعد سنتين من العمل في الصحيفة، باتت مهماته الوظيفية سهلة ومريحة، ولديه مكتب صغير منفصل عن المحررين يقع في الزاوية قرب المرحاض، وبات يتمتع بنوع من الحصانة.

عرف شامراي ما يريده وما هو متوقع منه، كما أن أولئك الذين يدفعون له المال كانوا يعرفون أيضًا أن فيكتور لن يخذلهم. شعر كلا الجانبين بما هو أبعد من ذلك بقليل، بأن شامراي سيتوقف شخصيًّا عن البحث عن المجانين الذين يوافقون على التحدث عن لقاءاتهم مع الأجسام الطائرة المجهولة؛ سيتوقف عن كتابة تلك القصص بنفسه. للقيام بذلك، سيكون لديه مرؤوسون - اثنان أو ثلاثة - على الأرجح فتيات صغيرات ليس لديهن الكثير من الطموح، ولكن لديهن رغبة في

أن يصبحن مشهورات، وفرصتهن ستتحقق في إحدى الصحف الأكثر انتشارًا في مقاطعة جيتومير، التي يثق بها الكثير من الناس والتي يجب أن يحسب لها السياسيون في كييف حسابًا إن أرادوا التأثير على مقاطعة جيتومير.

4

ستُنشر صورة هالينا هوربانسكي على الصفحة الأولى؛ امرأة تتصل بالفضاء، عبر جهاز راديو في شقتها الخاصة، حيث تتلقى من زوجها الراحل تحذيرات ونبوءات، وترسلها إلى المدينة والمقاطعة وأوكرانيا.

قبل الشروع في كتابة المقال، وبدافع الفضول، أجرى شامراي عدة مكالمات هاتفية، وعرف الكثير عن أحد معارفه الجدد. اتضح أن عائلة هوربانسكي استقرت في جيتومير، موطن زوج هالينا، صيف عام 1991، قبل أسابيع قليلة من انقلاب آب/أغسطس وبداية الانهيار الرسمي للبلاد التي كانت تحمل اسم اتحاد جمهوريات السوفيات الاشتراكية. عندما بدأت الوحدات العسكرية السوفياتية بالانسحاب من جمهورية ألمانيا الديمقراطية، بذل زوج هالينا قصارى جهده للانتقال إلى مسقط رأسه والاستقرار هناك. كانت هالينا - الممثلة بالمهنة - في ذلك الوقت مسؤولة عن نادي الضباط في القاعدة العسكرية، وأشرفت على الأنشطة الفنية للهواة هناك. في جيتومير، تمكنت من الحصول على وظيفة في مسرح الدراما الإقليمي، حيث أدت بنجاح لمدة عشر سنوات على خشبة المسرح جميع العروض المسرحية الكلاسيكية.

بدأ الجيش بالتقلّص، ووجد الزوج الذي كان منذ وقت قريب رجلًا عسكريًا لامعًا، نفسه فجأة من دون عمل وتحت خط الفقر، كما أن المسرح لم يوفّر فرصة للعيش الطبيعي؛ فقد بدأت الأوقات الصعبة في البلاد. حاول بيع الجوارب النسائية، والسراويل الداخلية للرجال وألعاب الأطفال في السوق، وسرعان ما تدهورت أحوال الضابط المتقاعد هوربانسكي وبات سكيرًا. ذات يوم أحرق معدته ببعض القاذورات الكحولية المصنوعة منزليًا بقوة خمسين درجة... ورحل تاركًا هالينا التي أصيبت بالاكتئاب مع ابنتهما. والنتيجة كانت شرب الفودكا، والاضطراب العقلي، والطرد من المسرح، والعلاج الذي ألزمتها به ابنتها البالغة. بعدما دفعت بها إلى أيدي الأطباء، باعت بسرعة الشقة المكونة من ثلاث غرف، واشترت شقة من غرفة واحدة، سجّلتها باسم والدتها حتى يكون لديها مكان تعود إليه من المستشفى، وأنفقت ما تبقّى من المال على شؤونها الخاصة: انتقلت إلى كييف حيث صاحبت أحد الأجانب، وسرعان ما غادرت معه إلى ألمانيا؛ هي الآن مواطنة ألمانية. لم تنسَ أمها، إذ كانت ترسل إليها المال باستمرار؛ كانت ترسل إليها عشرين يورو في الشهر فقط، لكن بانتظام، فإذا ما أضيف هذا المبلغ إلى معاش التقاعد، فستحصل هالينا على أكثر بقليل من متطلبات المعيشة التي تحددها الدولة في أوكرانيا، ومن الواضح أن ذلك كان كافيًا لهالينا هوربانسكي

ضمير شامراي لم يعذبه على الإطلاق، فهذه المرأة ليست مجرد قارئة، بل هي مشتركة في "حقائق لا تُصدّق". اتصلت بنفسها بمكتب التحرير متجاوبة مع إعلان يحثّ الأشخاص الذين

واجهوا ظواهر خارقة للطبيعة على الكتابة والاتصال والتحدث عنها، فاتصلت هالينا هريهوريفنا هوربانسكي للتحدث عن اتصالاتها بالعالم الآخر عبر جهاز الراديو؛ فليكن ذلك.

لم يُذكر في أي مكان أن الصحف لا يمكنها الكتابة إلا عن أولئك الذين ليست لديهم شهادة من طبيب نفسي. الآن، من خلال المحررين، سيبدأ القراء في البحث عن هالينا هوربانسكي العرافة الجديدة التي يمكنها التنبؤ بالمستقبل، لكن الصحيفة لن تعطي أحدًا عناوين وأرقام هواتف أبطال قصصها على أي حال. سيتصلون، ثم سيتوقفون عن الاتصال منتظرين منشورات أخرى حول هالينا هوربانسكي. مرة كل ثلاثة أشهر، أو أقل من ذلك أو أكثر، كان محررو الصحيفة يعودون إلى أبطال قصصهم القديمة لإحياء ذاكرة القراء المتابعين.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هالينا هوربانسكي، مثل معظم أبطال القصص المنشورة، ملائمة لكل من شامراي ورؤسائه إذ لا أقارب مقربين لديها في مقاطعة جيتومير، ولن يبدأ أحد في اللجوء إلى المحكمة لمقاضاة الصحيفة متهمًا إياها بإلحاق ضرر معنوي بشخصه. لطالما كانت مثل هذه القصص موضع ترحيب في "حقائق لا تُصدّق" وآمنة في آن معًا.

بينما كان فيكتور شامراي يفرّغ التسجيل ويحرر النصّ، ويقلّب الصور لنشر واحدة منها، كان الشفق الرطب يبتلع المدينة ببطء في يوم من أيام تشرين الثاني/نوفمبر عند الغسق. لم يعده الغد بأي شيء جديد جوهري، حتى عندما كانت امرأة شابة في اليوم التالي تنتظر فيكتور في ممر المدخل بالقرب من الحراس، لم يفهم في البداية أنه مع ظهورها كان كل شيء قد بدأ للتو بالنسبة إليه.

5

هل أنت فيكتور؟ صباح الخير. قيل لي ذلك...

من حيث المظهر، بدت الزائرة في الخامسة والعشرين من عمرها، إن لم يكن أقل.

لم يرَ شامراي أي شيء يوحي بالمرض في مظهرها ونظراتها. كقاعدة عامة، كان من يأتيه ليحدثه عن العوالم الموازية أشخاصًا من كبار السن ذوي مظهر محدّد، أما هذه الفتاة فكانت لائقة جدًا، ترتدي ملابس أنيقة، لكنها لم تتصرف بثقة كبيرة. لم تكن ذات جمال مشرق، لكنها كانت تتمتع بمظهر جذاب للغاية، فمن الواضح أنها تعتني بنفسها جيدًا. أما أولئك المجانينُ النموذجيون الذين تعامل معهم شامراي فكانوا واثقين دائمًا من أنفسهم، ومن أقوالهم وأفعالهم، وأنهم على صواب. كانوا جميعًا يرتدون ملابس قذرة وقديمة الطراز تفوح منها رائحة العرق، وتنبعث رائحة كريهة من أفواههم، وقشرة شعرهم تتساقط على أكتافهم مثل ثلج الميلاد. كان الرجال إما غير حليقين أو حلقوا ذقونهم حتى تظهر المسام الزرقاء على خدودهم، أما النساء فلا دراية لهن بوجود مصفّفي الشعر، لكن المشترك بينهم بشكل رئيسي هو أنهم تميّزوا جميعًا بالثرثرة، والتحدث حتى إلى الحراس الذين اعتادوا مثل هذا الجمهور.

أما هذه الفتاة فكانت صامتة، حذرة كفأرة وقعت في سلّ قطط.

- من قال لك؟ ولماذا؟ أومأ فيكتور برأسه.

- قالوا لي عبر الهاتف. اتصلت هذا الصباح وأخبرتهم القصة...

بدت الفتاة مرتبكة، حتى إن شامراي شعر بأنها بالكاد تستطيع أن تمنع نفسها من العودة والهرب.

- حسنًا، دعينا نذهب إلى مكتبي. أومأ فيكتور برأسه، وترك الضيفة تمضي قدمًا. فتح لها الصحافي باب مكتبه، وأشار لها أن تدخل، وأغلق الباب وراءها، وأومأ برأسه إلى كرسي، ثم جلس إلى الطاولة.

كان في محاولة جديدة للإقلاع عن التدخين، وهو صامد للشهر الرابع من دون سجائر، إلا أن منفضة السجائر التي تحمل شعار الشركة المالكة للصحيفة بقيت على الطاولة. دفعها شامراي نحو الفتاة بحركة معتادة منه، فسحبت علبة سجائر بيضاء طويلة وولاعة باهظة الثمن من حقيبتها، وأخذت سيجارة. لاحقها فيكتور بعينيه وهي تدير الولاعة بين أصابعها.

- هدية.

- نعم. لم يعرف شامراي كيف يجيب خلاف ذلك.

ألقت الضيفة بالولاعة في أحشاء حقيبتها، ونفضت رماد سيجارتها ناظرةً إلى فيكتور بترقب، وهو، بدوره كان ينظر إليها.

- حسنًا، وماذا؟

- ماذا؟ رمشت الفتاة بعينيها المائلتين قليلًا، مؤكدة وجود جزء ضئيل من الدم الشرقي في جيناتها.

- ما هو عملك؟ لماذا أتيت؟ - شجعها شامراي - بالمناسبة، ما هو اسمك؟

- تمارا. توما6، واسم عائلتي توميلينا. نفضت رماد سيجارتها في المنفضة.

- جيد. توما توميلينا. كيف يمكنني مساعدتك؟ حسنًا، لماذا نصحوك بالتوجه إليّ؟...

صمتت تمارا توميلينا برهة.

- من أين أبدأ؟... لا أعرف حتى...

- عليكِ دائمًا أن تبدئي من البداية. نصحها شامراي.

- نعم، حقيقة الأمر أنني لا أعرف من أين بدأت هذه القصة، والأهم من ذلك كيف ستنتهي. أنت تتعامل مع كل أنواع الظواهر غير العادية، أليس كذلك؟

- ليس صحيحًا، فقط نكتب عنها، أما من يتعامل معها، على وجه الدقة، فهم أشخاص مميزون يعملون في مؤسسات متخصصة. بالطبع، نحن نعمل مع هؤلاء المتخصصين وعلى اتصال دائم بهم، لذلك...

- هؤلاء المتخصصون سيرسلونني إلى مصحّة الأمراض العقلية - قاطعته تمارا وأخذت مجّة طويلة من سيجارتها - تعرف ذلك المستشفى في زاريتشني... لست مجنونة. هنا - نقرت جبهتها بإصبعها - كل شيء طبيعي هنا. لكن توجد حقائق لا أستطيع إثباتها بنفسي، وكل ما تفعله في جريدتك هو التحقق من مثل هذه القصص.

- مثل أي قصص يا توما؟ - شعر شامراي بأن عليه التحلّي بالصبر - أخبريني قصتك بشكل أكثر وضوحًا، وإلا فإن...

- لذلك أنا لا أعرف كيف أبدأ، حتى لا تزجّوا بي في مستشفى المجانين.

- نحن لا نسلّم أي شخص إلى المصحّة - حاول فيكتور طمأنة الفتاة - تحدثي، وسأقرر ما يجب القيام به وكيفية التصرف. صدقيني، يجب أن أستمع إليك هنا. لا تقلقي.

- حسنًا - قررت تمارا توميلينا أن تتحدث أخيرًا - هل أنت مهتم بالمناطق الشاذة، تلك التي تحدث فيها أمور غير طبيعية؟

- هذا ميدان عملنا - تفاعل شامراي معها على الفور - إذا كنت تعرفين مكانًا لم نكتب عنه بعد، فلا تترددي، سأكون ممتنًا فقط.

- هناك منطقة من هذا القبيل، تبعد أكثر من مئة كيلومتر من هنا، بين قضاءَي نارودنيتسك وأوفروتش. هناك قرية تدعى بيدليسني، أو بالأحرى دُعيَت بهذا الاسم، فقد أعيد توطين أهلها بالكامل تقريبًا بعد تشيرنوبيل. القرية صغيرة وشبه ميتة. هناك الكثير مثلها. تقع في الأراضي المحظورة...

- لحظة، لحظة - قاطع شامراي الفتاة رافعًا يده - سامحيني، بالطبع على سؤالي الغبي، لكن كم عمرك؟ وكيف تعرفين كل هذا؟ فعلى سبيل المثال، أنا أتممت الثلاثين من عمري في الصيف، أما وقت انفجار تشيرنوبيل، كنت أنهي الصف الأول فقط، لكنني أتذكر كل ذعر تشيرنوبيل. عولجت آنذاك في زاريتشني عدة مرات، في المستشفى الإقليمي الأول للأمراض النفسية، هي إحدى ضواحي جيتومير. عولجت مع "أطفال تشيرنوبيل" الآخرين، لكن لا يمكنني إخبارك بمثل هذه التفاصيل، فأنت بحاجة إلى معرفة ذلك بنفسك عن كثب...

- وأنت... لا تقاطعني - سحقت تمارا بعصبية عقب سيجارتها في قعر المنفضة، ولم تعد تعرف ماذا تفعل بيدها بعد ذلك، فأخرجت سيجارة ثانية من العلبة، وأشعلتها - لا تقاطعني، يصعُب علي اختيار الكلمات على أي حال، لأن هذا هو بيت القصيد - صمتت كما لو أنها في وقفة مسرحية - الحقيقة هي... الحقيقة هي أنه كان عليّ أن أولد ربيع عام 1986 في بيدليسني نفسها، عندما كان مفاعل تشيرنوبيل قيد الانفجار.

انحنى شامراي على كرسيه وحاول استيعاب المعلومة الأولى.

- نعم - قال أخيرًا - ماذا يعني ذلك: كان عليّ أن أولد؟ ولماذا بالضبط هناك؟ متى ولدت أخيرًا؟

- يمكنني إبراز بطاقة هويتي. للمناسبة، إنها معي. وتأكيدًا لكلامها، وضعت توما توميلينا سيجارتها على طرف المنفضة، وفتشت محفظتها ثم سحبت هويتها، وأرته إياها.

- مكان الميلاد: منطقة خميلنيتسكي، ناحية ستاروكونستنتينوفسكي، قرية... نعم - لم يعرف شامراي مرة أخرى كيف يتفاعل مع الأمر - وماذا في ذلك؟

- هل ترى تاريخ الميلاد؟

- الرابع من أيار/مايو، 1986.

- حتى الآن، لم أفهم شيئًا - صفّق فيكتور لسبب ما - ربما فاتني شيء كان ينبغي أن أسمعه؟

- انفجر تشيرنوبيل في السادس والعشرين من نيسان/أبريل - صارت تمارا تتحدث معه مثل طفل تشرح له لماذا لا يمكنه وضع أصابعه في فتحة قابس كهربائي - ولدت بعد ثمانية أيام. على الرغم من أن الولادة لم تكن قريبة، وفقًا لجميع التقديرات، إذ كان من المفترض أن تبدأ مرحلة الولادة لدى أمي بعد بضعة أسابيع. عاشت عائلتنا في قرية بيدليسني نفسها، وهي قرية صغيرة. آنذاك دفع والدي لأحد الجيران بعض المال لأخذ أمي الحامل إلى أقارب والديها، في بودوليا، حيث كان يعتقد أنها ستكون أكثر أمانًا هناك، ولهذا ولدت في المكان الخطأ.

- حسنًا - فرك شامراي ذقنه - هل هذا... له أي معنى؟

- في ضوء ما يحدث لي مؤخرًا، نعم - أعادت تمارا بطاقة هويتها إلى الحقيبة، وأشعلت سيجارة جديدة - في الأسابيع القليلة الماضية صارت بيدليسني تدعوني إليها - تجاهلت تمارا ردة فعل فيكتور على كلماتها، وصارت تنظر مباشرة في عينيه، وتابعت - هناك، في بيدليسني يختفي الناس؛ هناك منطقة شاذة، مكان ميت. لذلك، للمناسبة، عندما بدؤوا بإعادة توطين الناس، ربما كانت أول قرية أخلوها. كان ينبغي أن أولد هناك، لدي صلة بهذه المنطقة. الآن بيدليسني تدعوني إليها؛ تريدني أن أعود، تريد أن تجذبني، أن تلتهمني، هل تفهم؟ سأختفي إلى الأبد، أو على الأقل ستبتلع جزءًا من ذاكرتي. هل تفهم؟ يبدو الأمر هكذا؟ أم أن مصحّة المجانين هي مكاني؟

6

في الحقيقة كانت صديقة فيكتور شامراي الجديدة سليمة تمامًا، ولم تساوره أي شكوك حول ذلك. فبناءً على تجربته الشخصية في التواصل مع أولئك الذين كانت لديهم علاقة ما بالعالم الموازي والظواهر غير العادية بطريقة أو بأخرى، وصل إلى حقيقة لا جدال فيها، وهي أن المصاب بالذهان أو مَن لديه انحرافات عقلية ولو طفيفة لا يشك أبدًا في أنه طبيعي. أكثر من ذلك، في تصور هؤلاء الناس، العالم بأسره فقد عقله منذ فترة طويلة ولمّا ينهار فقط بفضل أشخاص مثلهم. كانت تصرفات تمارا توميلينا بالنسبة إلى شخص متمرس في هذه الأمور مثل شامراي كافية ليصدق قصتها. بالطبع، مع بعض التحفظات، لكنه صدق قصة الفتاة.

في مقاطعة جيتومير، تُعتَبَر ناحيتا نارودنيتسك وأوفروتش من أكثر الأقضية تضررًا من حادثة تشيرنوبيل. كان قسم من أراضي القضاءَين محظورًا منذ أكثر من عشرين عامًا، وبدأت عملية إعادة توطين الناس من هناك على نطاق واسع، ومع ذلك، لم يُجبَر أحدٌ على إخلاء منزله بالقوة، لذلك بقي أناس في بعض القرى، معظمهم من كبار السن، كانوا يموتون تدريجيًا، ولكن حتى لو لم يبقَ هناك شخصٌ واحد، فستظل المنطقة محظورة، والقرى المهجورة ذات المزارع، ستظل تحت حراسة وحدات الشرطة الخاصة.

عرف فيكتور شامراي كل ذلك، ولا حاجة لأن تخبره تمارا به، لكن ما لم يعرفه هو أنه في السنوات الأخيرة بدأ الناس يختفون من دون أن يتركوا أثرًا في قرية بيدليسني. لم يكتب أحد عن الأمر ولم يتحدث عنه أحد في أي مكان، لذلك كان عليه أن يقرر بنفسه ما إذا كان سيأخذ كلام توما على محمل الجد أم لا. تدّعي أن أسرتها قد أعيد توطينها ذات مرة، على الرغم من أنها فرّت إلى المنطقة المجاورة، وبعد تخرجها من المدرسة، توجهت تمارا للدراسة في كييف، ولسبب ما تركت كلية الثقافة في الجامعة وعادت إلى المنزل، ثم انتقلت إلى جيتومير، وبدأت العمل. أين؟ لم تقل الفتاة، وكذلك فيكتور لم يسألها؛ إلا أن الأمر غير مهم.

الأهم من ذلك، في الآونة الأخيرة، التقت توما في السوق بطريقة ما بأبناء قريتها القديمة، هم أيضًا من سكان بيدليسني الذين أُعيد توطينُهم أيضًا في وقت واحد. علمت منهم أنه خلال العام الماضي على الأقل، غادر العديد من أقاربهم أو معارفهم أماكنهم لسبب غير معروف وتوجهوا إلى بيدليسني ولم يعودوا من هناك. هذا صحيح، لكن ليس كل شيء. عاد بعضهم، لكنهم لم يتذكروا أي شيء عن الذي حدث معهم خلال الأيام والأسابيع والأشهر القليلة الماضية؛ حدث ذلك لكل واحد منهم.

الشيء الوحيد الذي استطاع هؤلاء الأشخاص تفسيره هو أنهم بدؤوا يشعرون بنوع من الانجذاب غير المفهوم إلى ذلك المكان. مثل المغناطيس يشدّهم إلى هناك، حتى إن لسان أحدهم زلّ قائلًا: بيدليسني تدعو ناسها. يكاد يكون من المستحيل العثور على أولئك الذين عادوا من تلك المنطقة الشاذة ولديهم فجوة في الذاكرة. ذكرت تمارا بعض الأسماء والعائلات، لكن تلك الأسماء لا تعني شيئًا لشامراي، وحسب قولها هؤلاء الذين عادوا ما لبثوا أن غادروا إلى أماكن غير معروفة. لا يهم إلى أين، لكن المهم بالنسبة إليهم أن يبتعدوا فقط. اقترحت عليه تمارا العثور على بعضهم في كييف، في السوق السوداء حيث يعملون.

لكن لم يكن هذا ما يشغل بال الفتاة، بل ما كان يحدث معها في الآونة الأخيرة، إذ بدأت تسمع أصواتًا غريبة في الليل. كانت تستيقظ، وتجلس على السرير ناظرة عبر النافذة المظلمة وهي تشعر بشيء ما لا تستطيع تفسيره بالكلمات؛ شيء ما كان يستدعيها للرحيل، مثل بقية سكان بيدليسني السابقين، إلى ذلك المكان المريب.

- أنا خائفة - أنهت تمارا قصتها - ما الذي أخاف منه؟ لا أفهم، لكنني خائفة، هذا كل شيء. أعتقد أنك توافق على أنني إذا ما قصدت مكانًا آخر غير مكتبك، فسيرسلونني على الفور إلى المستشفى الإقليمي الأول للأمراض النفسية.

- لا تبالغي. ردّ عليها فيكتور مع أنه يتفق معها ضمنيًا.

- لكنني لا أبالغ في الأمر - سحقت الفتاة عقب سيجارة آخر في قعر المنفضة - أقول الأمور كما هي، فلهذا السبب جئت إلى هنا. ألا تريد معرفة ما الذي يحدث بالضبط في تلك المنطقة؟ إذا كانت هناك أي حالات غريبة قادرة بطريقة ما على التأثير على كل شخص كانت لديه صلة ببيدليسني ومنطقتها، فستحاول شرح ذلك، حينذاك لن أعيش بخوف كما الآن، وسأمضي قدمًا.

- كيف ستمضين قدمًا؟

هزت تمارا كتفيها.

- لا أعلم، أنا فقط أعطيك معطيات لتفكر فيها، لكنني أطلب منك، أو من أي شخص آخر، محاولة شرح ما الذي يحدث لي... وما الذي سيحدث معي هناك، في بيدليسني.

7

لم يحدث شيء مميز.

لم يجد شامراي قرية تسمى بيدليسني في الأراضي المحظورة على خريطة مقاطعة جيتومير. بغض النظر عن الطريقة التي بحث بها عنها عند تقاطع قضاءَي نارودنيتسك وأوفروتش... لم يجد شيئًا، ولم يُسفر البحث عبر الإنترنت "شريان الحياة"، عن شيء كذلك. أظهر محرك البحث العديد من القرى التي تحمل الاسم نفسه، إحداها في مقاطعة جيتومير، ولكنها تقع في الاتجاه المعاكس تمامًا. لم ييأس فيكتور ولم يكن هناك داعٍ لذلك، أولًا، لأن الوسيلة التي يفحص المعلومات بها جديدة، فقرية بيدليسني الصغيرة وقعت في منطقة الحظر وأعيد توطين أهلها بُعَيد الحادثة، وقد تكون اختفت من الخرائط الحديثة ببساطة؛ حسب تمارا توميلينا، حتى لو أن بعض الناس لا يزالون على قيد الحياة هناك. وثانيًا، تتناسب حقيقة غياب القرية عن الخريطة تمامًا مع السياسة التحريرية للصحيفة، فقد يرغب بنفسه في التحقق من المعلومات، إلا أن أحدًا من المواطنين العاديين لن تهمّه صحة القصة حول المنطقة الشاذة، ولماذا يهتم بهذا الهراء؟

صبّ شامراي جُلّ اهتمامه على قصة الفتاة التي تأتيها أصوات غريبة من تلك المنطقة الشاذة، وبشكل أكثر تحديدًا، من المكان الذي كان من المفترض أن تولد فيه، والذي ارتبطت به بهذه الطريقة. للوهلة الأولى تبدو القصة تافهة، أما إذا ما استمع المرء إليها مرة ثانية فسيحصل على حبكة لسيناريو جديد لمسلسل "ملفات سرّيّة" أو "ميديوم"[7]. هذا يعني أن المادة ستُنشَر وسيهضمها قراءُ "حقائق لا تُصدّق" العاديون بالكامل. علاوة على ذلك، فإن توما توميلينا مستعدة لنشر اسم عائلتها وتأذن بالتقاط صور لها، وقد استغل هذا الإذن على الفور. أطلق شامراي سراح الفتاة، ووعدها بالتحقق من كل شيء. الخطوة التالية كما هو شائع الآن، عبارة عن إجراء نوع من التحقيق غير الرسمي. كل ما قالته تمارا سينتج نصًّا أقل من صفحة بقليل، وسيأخذ شامراي الباقي على عاتقه، أي مسألة البحث عن تلك المنطقة الشاذة. إن عدم وجود قرية على الخريطة لا يعني أنها غير موجودة بالفعل، وبما أن مفارز الشرطة الخاصة تعمل باستمرار في الأراضي المحظورة، فإن العثور على بيدليسني، التي تخلّى عنها الجميع، هو مسألة تقنية.

بعدما توصل إلى هذا الاستنتاج، انزعج شامراي من نفسه فجأة، فكل ما فكر فيه كان تبسيطًا شديدًا للمسألة ولن يخرجها بشكل مثير للاهتمام. فقد خطط للعمل وفق طريقة تقليدية معمول بها: استدعاء عالم جيولوجي معروف وهو البروفيسور مكسيم إيفانوفيتش هورباتكو، الذي كان يتعاون بهمّة مع "حقائق لا تُصدَّق" منذ عدة سنوات، مقدمًا استشاراته مرة على الأقل كل بضعة

أشهر. سيجلسان في السيارة المخصصة لهيئة التحرير، وينطلقان إلى منطقة بيدليسني، ويجدان ذلك المكان الذي ألغي من الخريطة. سيقوم البروفيسور هورباتكو بإجراء عملية الكشف الحيوي8، وتحديد الأماكن التي يمكن أن تكون فيها بؤر جيوباثية9، وأثناء ذلك سيلتقط له المصور جورا صورًا تخلّده.

تقرير من المنطقة الشاذة، تعليق البروفيسور، بعض الصور. بداية التحقيق في الصفحة الأولى أمّا تتمّته ففي الصفحة الثامنة أو السادسة من الصحيفة. "أُنجزت المهمة"، كما قال القرصان الكفيف العجوز بِيو ذات مرة لبيلي بونز السكّير10.

إذا كان الأمر كذلك، فيمكنك الذهاب لتناول القهوة.

كانت هناك آلة لصنع القهوة في بهو المبنى حيث استأجر المحررون شقه. أثناء نزوله من الطابق الثالث إلى الأول، عرّج فيكتور على مديره لإخباره عن موضوع المنطقة الشاذة والاتفاق سريعًا على رحلة عمل ليوم غد، ثم ضغط على زر آلة صنع القهوة منتظرًا كوب قهوة مزدوجة قوية، وما إن بات المشروب جاهزًا حتى خرج من المبنى ليلاقي تشرين الثاني/نوفمبر في الخارج... ويشرب قهوته في الهواء الطلق.

لم تظهر أفكار أصلية في رأس شامراي منذ فترة طويلة، فهو يجهد في ألّا يتذكر القصة التي أفضت إلى انتقاله للعمل في "حقائق لا تُصدّق"، وأدت إلى رفضه الواعي التام لمشاكل العالم الحقيقي. لا تزال تلك القصة تطارده وتذكّره بها خاصة في الليل، عندما كان يعاني من الأرق، ويحاول مشاهدة حماقات مختلفة على شاشة التلفزيون الليلي، إذ لم يكن لديه أي شيء آخر للتفكير فيه. صحيح أن تلك القصة كلما بقيت في الماضي، كلما كان رد فعل شامراي أقل حدة على ما كان عليه أن يختبره نتيجة لغبائه وثقته بنفسه، ومع ذلك، قرر فيكتور أن جرحه ينتمي إلى الجراح التي تتطلب مدة طويلة لتشفى أو إلى تلك التي لا تندمل على الإطلاق، وأدرك أن الماضي يجذبه إليه مرة أخرى. أنهى شامراي قهوته في جرعة واحدة، ورمى الكوب البلاستيكي في سلة المهملات، وعاد بحزم إلى مكتبه لملء رأسه على الفور بشيء قد لا يكون مفيدًا لكنه ضروري؛ على سبيل المثال، للحصول على معلومات محددة، على الأقل، حول قضاءَي نارودنيتسك وأوفروتش.

إذًا، ماذا لدينا هنا؟... لم يكن الكثير من الناس يعيشون في نارودنيتسك وضواحيها حتى قبل وقوع الحادثة، فعدد السكان الذين ظلوا بعد نيسان/أبريل 1986 هناك أقل من عشرة آلاف شخص، وحسب المعطيات الرسمية فإنه خلال عشرين سنة، انخفض عدد سكان المنطقة إلى أكثر من النصف. قد لا يقابل المرء شخصًا حيًا على مساحة كيلومتر مربع واحد. أما منطقة أوفروتش المجاورة، ومركزها في أوفروتش التاريخية، فقد ذُكرت في "قصة السنين الغابرة"11 على ما يبدو، وهي على الرغم من أنها قريبة جغرافيًا، لكنها ليست محاذية لجارتها. اعتبرت أن القضاءَين متأثران بالانفجار ونُفِّذَت خطة إعادة التوطين فيهما، إلا أن أراضي قضاء أوفروتش أكبر من جاره، وعند التدقيق يظهر أن ما قيل عن أن القضاء ليس غنيًّا غير دقيق، فالواقع يشير إلى العكس، فالناس كانوا يغادرون ذينك القضاءَين ببطء، إلا أن قضاء أوفروتش ظل أكثر نشاطًا من نارودنيتسك.

كان اهتمام شامراي منصبًّا على هدف واحد فقط، وهو أن يكتشف بنفسه الوحدة الإدارية التي تنتمي إليها المنطقة الشاذة في قرية بيدليسني، وبالتالي، إلى أين يتجه عند الحاجة؛ إلى أي هيئة رسمية. بشكل عام، حاول فيكتور تجنب الاتصالات مع مراكز السلطة المحلية في الدولة، ومع ذلك، في هذه الحال، إذا كان الحديث عن منطقة جيوباثية في قرية مهجورة، وكذلك عن حقائق حول اختفاء الأشخاص فيها، فلا يمكن تجنب الاتصال بالهيئات الرسمية. سيقرؤون ما كُتب، وسيبدؤون بالتحري، وكقاعدة عامة، سيقودهم ذلك إلى صيغة واحدة: "هل كان من الضروري كتابة مثل هذا الشيء؟". لذلك، من الأفضل توقع الردود المحتملة واستباق الأمور.

حدثت حالة مشابهة في مسيرة شامراي المهنية، حين اقتحم أحد المهووسين بالأجسام الطائرة مكتب التحرير مع دليل على أن جسمًا غامضًا يهبط بانتظام في إحدى قرى قضاء كوروستيشفسكي. ومع الإصرار، صاغ فيكتور بسرعة نصًّا يشير إلى اسم القضاء المذكور على أنه محطة للفضائيين في محافظة جيتومير، ولكن بعد أيام قليلة، بدأ ممثلو مجلس قضاء رادوميشل الغاضبون الاتصال به. القضاءان متجاوران، كما هي الحال الآن، وآنذاك طالب الرادوميشليون بدحض المعلومات الخاطئة، إذ اتضح أن هذه القرية تتبع إداريًّا لقضائهم، ولا يوجد فضائيون فيها، كما لاحقته المحطة التلفزيونية ليرشدها إلى المكان. تحت ضغط الظروف، اضطر المحرر إلى تقديم توضيح فحواه أن قاعدة الأجسام الطائرة المجهولة، كما قيل، كانت قد وُجِدَت في المكان المذكور مرة واحدة قبل عدة سنوات، أما الآن، ووفقًا لبعض التقارير، فقد اختارت مكانًا آخر في قضاء آخر. باختصار، مجرد لغوٍ.

بعد هذا الحادث، كان على كتّاب المقالات توخّي الحذر الشديد في مسائل الجغرافيا عندما لا يتعلق الأمر بالكرة الأرضية بل بأراضي الوطن. سيبدأ الإنكار المستمر في تقويض مصداقية "حقائق لا تُصدّق"، ما يعني أن المالكين سيفقدون الاهتمام بالمشروع ويغلقونه في النهاية، وكان جميع الموظفين، بمن فيهم عمال التنظيفات، راضين عن أوضاعهم المادية المستقرة. بعد عدم العثور على إجابة لا لبس فيها على سؤاله عبر شبكة الإنترنت، قرر فيكتور أخيرًا التحقّق من كل شيء بنفسه، حتى إن اقتضى الأمر أن يطلب من تمارا توميلينا مرافقته غدًا. طلب رقم الهاتف الخليوي الذي تركته، لكنّ صاحبة الرقم لم تكن متوفرة؛ لا بأس. على أي حال، كانت الفتاة قد حذرته من ذلك، إذ كانت تخشى الذهاب إلى هناك، وكأنها توقّعت طلبه فاستبقته بالإجابة.

بعد ذلك، وبالنظر إلى الوراء، تفاجأ فيكتور شامراي كيف أنه لم يشعر مباشرة... كيف أنه في لحظة بدء الفتاة حديثها عن تلك المنطقة الشاذة، بدأ كل شيء سيّئ بالنسبة إليه... بعد انقطاع دام أربع سنوات...

8

- صباح الخير - ردّ الشرطي المتّكئ على سطح السّيّارة بجانب نافذة السائق - الملازم أول بُوزير من كتيبة الشرطة الخاصة. إلى أين تتجهون؟

بمجرد التوقف، استيقظ البروفيسور هورباتكو، الذي كان ينام بهدوء على المقعد الخلفي من سيارة مكتب تحرير الصحيفة، إلى جانب المصور جورا الذي يستمع إلى الموسيقى عبر سماعتي الأذنين. جلس ورمش بعينيه محاولًا أن يفهم ما إذا كانوا قد وصلوا أم لا، وإذا وصلوا فإلى أين بالضبط؟

- مرحبًا أيّها القائد؛ لقد تورطنا. بادره شامراي الذي كان جالسًا إلى جانب السائق هريشا12، وتوجه نحوه.

في الخارج، تساقطت أمطار تشرين الثاني/نوفمبر القاسية، وذلك في حد ذاته لم يرضِ السائق، إذ لم يحبَّ هريشا التحرك على الطرق في الطقس الممطر، فبعد ذلك عليه دائمًا غسل السيارة. في ما يتعلق بنظافة السيارة، كان هريشا يتصرف بشكل غريب إلى حد ما؛ كان يغسلها مرة، وبعد ذلك يحرص ألا تتسخ فلا ينظفها لأطول فترة ممكنة، حتى بدا مستعدًا أن يقطع أرجل ذوي الأحذية الموحلة الذين يوسخون، عن طريق الخطأ، الحصائر المطاطية داخلها.

- إلى أين أنتم ذاهبون؟ كرّر الملازم أول بوزير.

- ومن أين لي أن أعرف؟ اعترف السائق بصدق.

- يعني؟ لم يفهم الضابط.

- هذا صحيح. استلم شامراي المبادرة وسلم بوزير بطاقته الصحافية.

قرأها الضابط بعناية، وحرّك شفتيه، ولسبب ما، لواها في يده. لم يكن فيكتور ليتفاجأ إذا ما نكش بوزير أسنانه بالبطاقة أيضًا.

- واضح، هذه أكاذيب. أعاد البطاقة إلى فيكتور.

- آه، على الفور "أكاذيب"؟ تفاجأ.

- أليس كذلك؟ مثل الأكاذيب عن الأطفال الذين يعرفون اللغة الإنكليزية في بطون أمهاتهم. قولوا شيئًا يمكن تصديقه. حماتي مغرمة جدًا بصحيفتك... باختصار، تعشقها.

نزل شامراي من السيارة ومطّ جسده المنهك من ساعة جلوسه، ولم يتزحزح الضابط من مكانه، كما لم يبدِ أيّ فضول، وإن كان غير عدائيٍّ، مكث يراقب الراغبين في عبور حدود الأراضي المحظورة. لم يهمله فيكتور، فاقترب منه ببطء ومدّ يده مصافحًا يده اليمنى بسرعة وحزم.

- حسنًا، نريد القيام ببعض الأعمال من أجل حماتك أيها القائد. نحن نبحث عن بيدليسني، هل تعرفها؟

نظر الشرطي إلى مكان ما جانبًا لبعض الوقت، ثم نظر إلى الأشجار التي لم تكن أوراقها المتساقطة صفراء في بعض الأماكن بل رمادية داكنة، وتابع عضّ شفتيه متوقعًا المزيد من الشرح. سحب فيكتور من جيبه خريطة مطوية، ومن جانبه، خرج هريشا أيضًا من السيارة وكان ينوي الانضمام إلى المحادثة. لاحظ الملازم أول أن السائق كان يقترب منه من الخلف، فتراجع خطوة إلى الوراء في مواجهة الرجلين؛ لم تفلت مناورته من انتباه شامراي.

- كيف هي الخدمة؟

- الخدمة كأيّ خدمة - قال بوزير، وهو يبتعد عن فيكتور والسائق - ما الذي تريدانه يا رفيقيّ؟

- هل تعلم أين تقع؟ تشبث شامراي بسؤاله.

- هذا ممكن - هزّ الشرطي رأسه - لكن لم يبقَ شيء من بيدليسني، حتى لوحتها على الطريق اختفت. أعد خريطتك إلى مكانها، فلن تجدها عليها.

- هذا ما أتحدث عنه - دسّ شامراي الخريطة في جيبه - ومن سيساعدنا إن لم تساعدنا قوات شرطتنا الباسلة؟

- اسمع، لا تثقل كاهلي، أذناي متورمتان - تجهّم بوزير - من الأفضل أن تخبرني لماذا أنتم جميعًا متجهون إلى هناك، فقد هجر الناس بيدليسني منذ مدة طويلة. مضت سبع سنوات على آخر امرأة عجوز خرجت منها على حصانها. وللمناسبة، كتب زملاؤك في صحيفتك الرزينة جدًا عن العثور على جثث العجائز في الأراضي المحظورة... عوقبنا عقابا شديدًا ساخنًا من قيادتنا لقاء ذلك؛ بالهناء والشفاء. مر الكثير من الوقت، ولا يزال متسكعوكم يؤذون الناس.

ضحك السائق هريشا.

- أهذا مضحك؟ سأله بوزير مستاءً.

- هذا ليس مضحكًا - طمأن شامراي الشرطي - نحن لا نبحث عن جثث أيها القائد؛ نريد فقط أن نصل إلى هناك، أن نلتقط صورتين للصحيفة، ونرى ما الموجود. هل نحتاج إلى إذن خاص؟

عضّ بوزير شفتيه مرة أخرى.

- لا حاجة إلى أي إذن، فلا يوجد شيء يُرى هناك. من المستحيل القيادة عبر المنازل، التي ستنهار قريبًا بنفسها، إنها متداعية ومتهالكة، إذا أردتم الوصف الصادق، حتى إن الصيادين لا يقصدونها.

- هل تصطاد الكثير؟ تدخل هريشا مرة أخرى.

- أحيانًا. هناك الكثير من الحيوانات البرّيّة، حسنًا، يتطفل بعض كبار السنّ ببنادقهم، على الرغم من أن ذلك محظور. لا أقصد إطلاق النار نفسه، ولكن بشكل عام الصيد محظور في هذه الأماكن.

- ماذا عن اللصوص؟ طوّر شامراي الموضوع.

- في بيدليسني، ما يمكن سرقته سُرق بالفعل منذ مدة طويلة، أما في القرى الأخرى فيوجد عدد كافٍ من هؤلاء، ففي الآونة الأخيرة، خاصّة منذ ربيع العام الحالي، يبدو أنهم يخدعون الناس، حيث يغادر السكان منازلهم، ويأخذون ما يمكنهم حمله معهم أو ما يمكن أن يدخل في صندوق الـ "جيغولي"13، وهيّا بنا نبحث عن السعادة. المنازل، كما تريان، لا يمكن بيعها، فالأراضي المحظورة مجمّدة عقاريًا أو شيء من هذا القبيل. لكن ليس بعيدًا من هنا، نحو عشرة كيلومترات - أومأ الشرطي برأسه نحو مكان ما خلف الغابة - عاش نيكيتا، كان في يوم من الأيام سائق جرّار، ويبلغ من العمر خمسين عامًا تقريبًا، وكان مدمنًا على الكحول. ما الفائدة من بقائه؟ لذا اكتفى بمئتي دولار مقابل المنزل.

هز شامراي والسائق رأسيهما في انسجام تام.

- انظرا ما الذي حدث، أحد رقبائنا، بقصد التغيير، لم يستطع التحمل، فأحضر مبلغ المئتي دولار ودسّه في يد نيكيتا. وجد أيضًا كاتب عدل في مكان ما، وبضربة واحدة انتهت عملية البيع والشراء، عندها فقط عاد الرقيب إلى رشده وهو الآن في حالة صدمة عميقة، فهو لا يعرف ما الذي دهاه لشراء ذلك المنزل.

- ماذا عن نيكيتا؟ استفسر السائق.

ماذا عن نيكيتا؟ شرب بالمئتي دولار، وانتقل إلى أحد المنازل الأخرى المخلاة من سكانها. كان في البداية بلا مأوى؛ مرّ عليه الصيف، ثم الخريف، واقترب الشتاء. بدأ زملاؤنا يطردونه بعيدًا كي لا يشعل النار؛ قام بتدفئة نفسه هكذا... فكّك أحد المنازل ببطء للحصول على الخشب، وأشعل

نارًا في منزل آخر. باختصار، أنهى نيكيتا لعبته. في عيد الميلاد الماضي فقط، لم نعرف أين وجد مشروبًا، فسكر ونسي إخماد النار حتى احترق مع المنزل. هناك قصص من هذا القبيل هنا - تنهد بوزير - لكن المشردين ما عادوا مهتمين ببيدليسني التي تقصدانها مع صديقيكما.

- إذًا، أيمكننا الوصول إليها أم لا؟ - سأله شامراي.

تنهد بوزير مرة أخرى وعضّ شفتيه مجدّدًا.

- انظر إلى هنا - أشار مباشرة إلى الأمام، ثم فكر وأخرج من حقيبته خريطة طبوغرافية مفصّلة. فرشها على غطاء محرك "السكودا"، فانحنى شامراي وهريشا عليها من الجانبين. أشار الضابط بسبابته الكبيرة إلى نقطة محددة، ثم أوضح قائلًا: - نحن هنا، هنا نارودينتسك، هناك أوفروتش، لذلك عليك أن تتجه إلى هنا - تحرك الإصبع على الخريطة - نحو عشرين كيلومترًا على طول الطريق، ثم انعطف يمينًا في طريق ترابية. إنها عادية، طبيعية، الآن ليست وعرة. انطلق.

- أأنطلق؟ سأل هريشا بخوف.

- نعم، انطلق وانعطف هنا. باختصار، أنت هنا - انزلقت السبابة على الورقة مرة أخرى - دورة أخرى، إلى بوروفو. لا تنعطف هنا، تجاوزها إلى الأمام، وسيكون هناك منعطف إلى اليسار. الطريق ضيقة للغاية، لكنها ستؤدي بالضبط إلى بيدليسني.

- كم تبعد من هنا؟

- نعم، بالكيلومترات... أعرف... ذلك يعتمد على كيفية الوصول... ربما تبعد أربعين، ربما خمسين كيلومترًا، شيء من هذا القبيل - طوى بوزير الخريطة وأخفاها في حقيبته - هل يمكنك على الأقل إخباري ما الذي نسيتموه هناك؟

- دع حماتك تقرأ الجريدة - غمزه شامراي - أخبرني، هل نحن أول من أتاك باحثًا عن بيدليسني أم سألك آخرون؟

- من يقصدها يعرف الطريق إليها. هزّ بوزير كتفيه، وقد بدت إجابته غامضة.

- ومن يقصدها؟

- هيّا انطلقوا جميعًا. لوّح الشرطي بيده وهمّ بالعودة إلى مركزه.

- انتظر لحظة. تبعه فيكتور، وتوقف الضابط، موضحًا بكل مظهره كم كان متعبًا من الجميع.

- ما الأمر؟

- شيء آخر، ربما يمكنك إخباري، هل تخدم في هذه النقطة منذ مدة طويلة؟

- منذ زمن. اختصر الضابط الإجابة.

- هل سمعت عن اختفاء الناس هناك؟ ألم يقم أحد بالتبليغ؟

- ماذا تقصد باختفاء الناس؟ - نظر بوزير إلى شامراي بريبة - أين يختفون؟

- يختفون بلا أثر. يذهبون في هذا الاتجاه ولا يعودون.

- الناس يختفون في كل مكان - قال بوزير متفلسفًا - إذا كنت مهتمًا، فكل يوم يبحث أناس عن أناس آخرين، ولا أحد يجد أحدًا. إن كنت تبحث عن شخص محدد قل ذلك، أم أنك تختلق الأمر؟

- نحن لا نبحث عن أحد - هتف شامراي على عجل - لم يختفِ أحد منا، والحمد لله، فأنا فقط أسألك لأحادثك...

- لا حاجة لي بمحادثة غبية - قاطعه الشرطي - اذهب وقم بعملك، وتعالَ بكذبة أخرى.

خلف شامراي كان هناك ضجة كبيرة أحدثها السائق هريشا، الذي كان في عجلة من أمره للانطلاق بأسرع ما يمكن.

9

تاهوا.

ليس لوقت طويل... وليس لأنهم كانوا مرتبكين، لكنهم ضلوا طريقهم؛ إما أن السائق فوّت منعطفًا، أو اتخذ منعطفًا خاطئًا، أو أنه أساء فهم إرشادات بوزير. على أي حال، قاد السيارة قليلًا على طول الطرق الريفية الموحلة الوعرة، ووسّخ هريشا السيارة وهو الآن يلعن كلّ من حوله.

انشغل شامراي بشيء آخر، حاول أن يحدد مكانهم، لكنه لم يتمكن من معرفة ما إذا كانوا ضمن حدود قضاء نارودنيتسك أو في أوفروتش. في النهاية، توقف عن إثارة عقله وقرر أن المشكلة تكمن في تضاريس المكان السيئة، واللوم يقع على الأراضي المحظورة نفسها، إذ يقال إن من خصائصها إرباك محركات البحث.

أخيرًا ظهر أمامهم كوخ رمادي متداعٍ، فصرخ هريشا:

- حسنًا، ها هي. حتى لو لم تكن هي يا فيتيا، فقد ذهبوا جميعًا إلى الجحيم... وأنت معهم.

- ماذا الذي تقصده؟

- ما الذي أقصده؟ اللعنة. على أي حال، لا توجد لوحة مكتوب عليها إن كانت هذه بيدليسني أم لا، فأي معتوه يمكنه التحقّق من ذلك. من الواضح أن القرية اختفت، ولم يعش الناس هنا منذ عشر سنوات. اخرج واعمل هنا.

وتأكيدًا على كلامه توقفت السيارة بنفسها على الفور؛ لقد عمل المحرك في وضعية الخمول، ولم تتحرك السيارة من مكانها وكأن شخصًا ما غير مرئي ألصقها بالأرض الموحلة. بعد إيقافه المحرك عن العمل، خرج هريشا إلى الهواء النقي الرطب ناثرًا ألفاظه البذيئة، وانحنى بالقرب من العجلات وشتم مرة أخرى. ثم نزل شامراي، وتلاه المصور جورا من السيارة ونظرا حولهما. لا شيء مميز أو خارق للطبيعة، فقط انغرزت العجلتان الأماميتان في حفرة صغيرة قاسية الحواف مليئة بالمياه القذرة والطين. لم يكن السائق يقود بسرعة، لذا كان الوقوع في هذا الفخ المزعج، غير المميت، محتمًا. فلو كان هريشا يقود بسرعة، على العكس من ذلك، لقفزت السيارة فوق هذه الحفرة ولما انغرزت عجلتاها فيها. ركل السائق العجلة بشكل محموم.

- سنضطر إلى دفعها، لا يوجد جرّار هنا. بصق عند قدميه.

- فلندفعها... ما العمل؟ - طمأنه شامراي - فلن ننام هنا. بعد ساعة، أو ساعة ونصف سنعود إلى جيتومير. ألا تريد الخروج؟

لم يُجِبِ السائق، ولكنه تراجع، وفحص السيارة بدقة.

- هل سنغادر اليوم أم ماذا أيها القبطان؟ سأل فيكتور مرة أخرى.

- نعم، يمكن لهذه الطريق أن تقودنا إلى أي مكان تريده، كالداخل في مؤخرة بحثًا عن سرطانات البحر. زمجر هريشا، ولم يخاطب أحدًا بذلك، ثم مد يده تحت المقعد، وأخرج قطعة قماشية كبيرة نظيفة، ومزّق جزءًا منها، وبدأ بتلميع غطاء المحرك بشراسة وغضب، مزيلًا البقع.

في هذه الأثناء، خطا المصور بحذر محاولًا ألا يغرق في الوحل، ومشى قليلًا إلى الأمام، ثم توقف ونظر حوله.

- شامراي.

- ماذا؟

- المكان ليس هادئًا، هو ليس على الخريطة، لكن أحدهم كان هنا. ألقِ نظرة.

لم يمشِ شامراي بحذر شديد، لأنه ارتدى بحكمة سروالًا عسكريًا مموّهًا وانتعل جزمة خاصة بالجنود، واتجه نحو جورا ليتأكد من وجود أناس هناك. جاؤوا إلى بيدليسني بسيارة كبيرة أكثر قدرة على اختراق الطرق الريفية من سيارة المحررين الصغيرة.

- جيب - قال بثقة - كانوا هنا منذ وقت غير بعيد.

- حسنًا أيّها الجوالان - انضم إليهم هريشا، متفحصًا آثار العجلات على الأرض - فعلًا، يمكن الوصول إلى هنا بواسطة سيارات الجيب فقط. انظرا حولكما الآثار على الأرض، مر وقت على مرور آخر سيارة من هنا، ربما أسبوع أو أسبوعين.

- نستنتج أن هناك من يحتاج إلى زيارة الأراضي المحظورة. من هم هؤلاء؟ أما ما الذي يريدونه؟ فهو سؤال آخر - لخص شامراي النتائج الأولى، وارتدّ خطوتين إلى الخلف، ثم صرخ للبروفيسور هورباتكو - إيفانوفيتش، اخرج. هيا قف على قدميك، العلم يتطلب التضحية.

أخذ البروفيسور هورباتكو حقيبته وهو يئنّ، ثم خرج من السيارة، وهز كتفيه متحسّسًا من البرد، فارتعش، ودسّ يديه في جيبي سترته.

- أي طقس هذا أيها الرفاق؟... - نظر حوله - نوع خاص من الرطوبة، أو شيء من هذا القبيل... لدي بالفعل شعور سيء تجاه هذا المكان.

- سوف نتحقق من كل شيء الآن. إيفانوفيتش، انطلق إلى الأمام. هتف فيكتور وتوجه أولًا.

يتمتع البروفيسور هورباتكو بخبرة غنية في الرحلات الاستكشافية، وقد انتعل الحذاء المناسب للدروب الوعرة. على خلفية البروفيسور وشامراي، ظهر المصور جورا بحذائه الرياضي وسترته الجلدية مثل سمكة سلمون خضراء. بقي هريشا بالقرب من السيارة، معلنًا أن حادثة غريبة واحدة كافية بالنسبة إليه اليوم. بعدما أدرك أن لا جدوى من مسح السيارة، جلس وراء مقوده حابسًا نفسه داخلها محاولًا تشغيل الراديو. بعد المحاولة الثالثة، ترجّل بسرعة من السيارة وركض مثل الأرنب خلف زملائه.

- أيها الناس. فيتكا، اللعنة، انتظروا.

توقف الثلاثة، وكانوا قد وصلوا إلى المنزل الأول، واستداروا نحوه، وعندما وصل إليهم صرخ وكأنه اكتشف سرًا رهيبًا:

- لا يلتقط الراديو شيئًا هنا؛ صمت مطبق.

أخرج شامراي هاتفه المحمول من جيبه ونظر إلى الشاشة، ثم ضغط عدة أزرار وقال:

- الهاتف لا يعمل، وسيارتك عالقة.

فعل الآخرون مثله، بمن فيهم السائق، وتفحّصوا هواتفهم المحمولة؛ لم يعمل أي هاتف، الشاشة تضيء بعبارة "خارج التغطية".

- نحتاج إلى الخروج من هنا - تمتم السائق مجدّدًا - فلندفع السيارة خارج الحفرة كي لا...

- لماذا تشعر بالذعر؟ - بدأ تذمره الذي لا ينتهي يزعج فيكتور - نحن أربعة رجال بالغون، ويمكننا إخراجها، إنها مصلحتنا المشتركة. من الأفضل أن تأتي معنا، لأنك إذا بقيت وحدك في السيارة فستسرقك الغولية. يبدو أن الناس يختفون هنا.

- الغولية - قلده هريشا - مضحك للغاية. لكنه تبع الثلاثة على أي حال.

10

حتى الآن، لم يبدُ أيُّ شيء خارجًا عن المألوف.

دخل الرجال الأربعة المنطقة الشاذة، توقف المطر ببطء، وظهرت الشمس؛ ليست مشرقة كما هي الحال في الطقس الجيد، بل باردة غير مبالية، فهي شمس تشرين الثاني/نوفمبر، ولم يؤدِّ ضوؤها إلا إلى تعزيز الصورة القاتمة العامة التي انفتحت أمام أعينهم.

كانت قرية بيدليسني، وعلى الأرجح أنها هي، تقع في أرض منخفضة صغيرة وتشبه جزيرة واسعة إلى حد ما بين الغابات. ربما، في أوقات أفضل، كانت هناك طريق تصل إليها. لم تكن القرية كبيرة بحيث تكون لها مدرسة خاصة بها، وليست صغيرة جدًا بحيث لا تستطيع العائلات التي لديها أطفال دون سن المدرسة العيش هنا. في الاتحاد السوفياتي، حين لم تتح للفلاحين الفرصة للتحرك بحرية، كان من المفترض بالتأكيد وجود نوع من الاتصال بالعالم. نعم، وقالت توما توميلينا إنه كان ينبغي أن تولد في بيدليسني، لذلك، كما قدّر شامراي، يمكن أن يبدو الوضع نظريًا كما يلي: كانت هذه القرية تابعة إقليميًّا لمجلس بلدي في بلدة مجاورة. أخرج الخريطة، ثم فتحها متفحّصًا إيّاها بعينيه. هذا صحيح، ها هي بلدة بالاشيفيتشي. مروا بها في طريقهم إلى هنا، رؤوا لافتة صدئة منحنية عليها اسم بالاشيفيتشي التي أعيد توطين سكانها أيضًا، وهي تبعد نحو عشرة كيلومترات عن هذا المكان. بطبيعة الحال جالوا مدة أطول من اللازم للوصول إلى هنا، لأن معالم الطريق اختفت بعد عقدين من الزمن، لم يستخدمها فيهما أحد. تقع بالاشيفيتشي عمليًّا بين منطقتين إداريتين، ولا يقع اللوم على الناس الذين استقروا في بيدليسني، فهم يُنسبون عمليًا إلى الأراضي التابعة لتلك البلدة. ما كان العنوان البريدي المحلي، لن يتمكن أحد من معرفته حتى بعد عشرين عامًا. حكّ شامراي أنفه بهدوء، ودسّ الخريطة في جيبه؛ الأمل ضئيل في إيجاد شيء.

يبدو أن قرية بيدليسني كانت على طرفي شارع واحد طوله نحو ثلاثة كيلومترات. تلك البيوت التي ضجّت بالحياة يومًا ها هي أكواخ مهجورة متداعية ميتة. على سطح أحدها، لاحظ فيكتور هوائيًّا تلفزيونيًّا قديمًا بدائيًّا مائلًا بزاوية ثلاثين درجة؛ لم يكن الوحيد الذي رآه.

- كانوا يشاهدون التلفزيون هنا. قال المصور جورا من خلفه.

- مرّت الحضارة من هنا، لكن لماذا الهوائي فوق منزل واحد؟

- للسبب نفسه، إذ لا توجد قطعة زجاج واحدة في نوافذ القرية - أجاب هريشا - لن تجد أي شيء مفيد في الأكواخ أيضًا. جامعو الخردة نظفوا كل شيء يمكن بيعه من هذه الأماكن. الهوائيات معدنية، نعم، والأسلاك الكهربائية مقطوعة عن الأعمدة. انظر.

في الواقع، كانت أعمدة الكهرباء على طول الطريق عارية بلا أسلاك، فحاول فيكتور تخيّل كيف عاش الناس هنا ذات يوم، وكيف ساروا على طول هذا الطريق، وكيف سارت مواكب الأعراس، ومواكب الأعياد، وكيف حملوا الموتى في رحلتهم الأخيرة. قفزت فكرة إلى رأسه على الفور: يجب أن تكون هنا مقبرة في مكان ما.

مقبرة مهجورة في قرية نائية مهجورة هي المكان المفضل لمؤلّفي القصص المرعبة. سرت القشعريرة عبر جلده، وكي لا يتجمد في مكانه، تحرك شامراي ببطء، وتحرك البروفيسور هورباتكو وغاص رأسه بين كتفيه، وأعدّ جورا كاميرته وهيّأها باحثًا عن أحلك اللقطات. كان يعرف أيّ صور تصلح للظهور مع مقالات كهذه، أما هريشا فقد هزّ رأسه فقط.

- يا رفاق، يبدو أن الغربان لا تطير هنا أيضًا. شاركهم ملاحظة أخرى.

- لكن السيارات تتحرك - قال هورباتكو - على الأقل كان يوجد أشخاص هنا. لا أعرف منذ متى، لكن هناك آثار عجلات على الطريق، ولن يأتي أحد إلى هذه الأماكن بالصدفة، هل أفهم ذلك بشكل صحيح؟

- بالضبط - أجابه هريشا - لن آتيَ إلى هنا مرة أخرى.

- فعلًا - وافق البروفيسور - والهالة هنا سيئة، أستطيع أن أشعر بها بالفعل. لا أستطيع أن أشرح، أشعر فقط.

سار الرجال على طول شارع القرية المهجورة فوصلوا إلى مكان كان يُعتَبَر مركز القرية يومًا ما، وقد بدا وكأنه ساحة صغير بيضاوية الشكل إلى حدٍّ ما، يخترقها الشارع الرئيس والوحيد. مع إلقائه نظرة خاطفة إلى اليسار، لم يستطع هريشا أن يكبت ضحكته، فالتفت الجميع إليه، وسخِر السائق من قاعدة إسمنتية صغيرة فارغة، ينتصب خلفها مبنى من طابق واحد يشبه مكتبًا أو مجلسًا قرويًا.

- كان لينين هنا، أقسم لكم - ابتهج هريشا - ثم ربطوا ساقيه... على ما يبدو، كان مصنوعًا من النحاس، فانتزعوه.

- إلام تلمّح؟ أنا لا أفهم. سأله شامراي بغضب.

- في جنون التسعينيات، لا يمكنك أن تعرف كمّ الهراء الذي قمت به - عقد السائق ذراعيه - إلى ماذا تنظر؟ كنت لا تزال طفلًا آنذاك، لو التقيت بقطّ لناديته يا عمّ. أما أنا فكان لدي امرأة شابة وطفلة بين ذراعيّ، وكنت قد انتهيت من الخدمة الإجبارية؛ عملت في جيتومير. نعم - أرخى ذراعيه - استولينا، أنا وزوج أختي على ميكرو باص راف14 فانتزعنا مقاعده كلّها وبعناها. لمدة عام ونصف العام، جمعت شتى أنواع المعادن في القضاء والمحافظة. كانت هناك نقاط خاصة للتجميع، حيث فُرِز النحاس والألمنيوم وغيرها من الخردة المعدنية، ونقلت عبر سان بطرسبورغ إلى دول

البلطيق. لم يكن ذلك كافيًا بالنسبة إلى صهري الذي قرّر الدخول بجدية في هذا العمل، بدأ بجمع الخردة بنفسه... صمت هريشا فجأة، بصق وأدار ظهره إلى قاعدة التمثال.

- و؟ سأل جورا.

- أطلقوا عليه الرصاص على الطريق السريع، وأخذوا الحمولة، وعندما أراد أن ينتزعها منهم أردوه - لوح هريشا بيديه - بعد ذلك، قطعت أي صلة لي بالخردة وفتشت عن عمل.

اختفى المرح الذي كان، وفجأة حلّت محلّه موجة اكتئاب. لاحظ البروفيسور هورباتكو ذلك، وأحس وكأنه كلب صيد يقتفي أثر ثعلب.

- ألديك صداع؟ سأله بهدوء.

- صداع فقط؟ لطم السائق صدره تأكيدًا.

- أشعر بالألم كذلك - قال جورا - أشعر بأن نفسي متعبة.

- أتتألم؟ - تابع هورباتكو - أم تشعر بانقباضات كذلك؟

- نعم، انقباضات. علّق جورا الكاميرا على رقبته، وشرع في تدليك صدغيه بإبهاميه.

- أشعر بالسوء هنا أيضًا - قال هريشا - دعونا نخرج من هنا يا رفاق.

في غضون ذلك، كان شامراي يتفحّص المكان حوله. إلى يمين قاعدة التمثال والمكتب، على الجانب الآخر من الساحة، كان هناك مبنى فارغ من الحجر الأبيض، حتى أولئك الذين لم يسبق لهم التواجد في الريف يمكنهم بسهولة تخمين أنه كان متجر القرية.

- أتساءل أين كانت حلبة الرقص هنا؟ قال هريشا.

- ما الفرق بالنسبة إليك؟ - ردّ فيكتور بلا مبالاة - لن نعرف ذلك أبدًا.

- لم تصل السيارات إلى مسافة أبعد من هذه النقطة - لفت البروفيسور هورباتكو مشيرًا إلى آثار العجلات التي رصدها - انظروا، كانت السيارات تصل إلى هنا؛ تتوقف هنا في المركز، ثم تستدير وتعود أدراجها. فيكتور، هل يمكنني العمل الآن؟ يبدو أننا وصلنا.

- طبعًا يمكنك ذلك - وافقه شامراي - أنت تعرف عملك أفضل مني. أنا لا أفهم شيئًا عن الانكسارات التكتونية في القشرة الأرضية ولا عن شبكات هارتمان15 المختلفة.

- أنا أيضًا - أقحم جورا نفسه في الحوار من دون سبب معروف - ما لا يمكن تصويره غير موجود.

- كتّاب صحيفتك، حتى المصورون فيها يا فيكتور - قال البروفيسور هورباتكو - كانوا دائمًا فخورين بجهلهم في كل ما يتعلق بالعلم.

أهمل شامراي عبارة البروفيسور وكأنه لم يسمعها، فهو يتعامل مع مكسيم إيفانوفيتش منذ عامين تقريبًا، الذي كان يبحث عن جهات اتصال ونقطة انطلاق لنشر نظرياته الخاصة، لكن هذا لم يمنعه من رمي التعليقات بانتظام على الجميع، وإعطاء نصائح مختلفة، وبشكل عام في كل فرصة مواتية كان يقرأ عليهم محاضراته المملّة ذات الأطوال المختلفة.

سار البروفيسور إلى الأمام خمسة أمتار، وتوقف، تسمّر في مكانه كما لو أنه يحاول سماع شيء أو الشعور به... شيء لم يسمعه أو يشعر به الآخرون، ثم قام بفتح حقيبته وأخرج جهاز استشعار يعمل على البطارية، هو عبارة عن صندوق ذي إطار نحاسي محكم الإغلاق يقف على قوائم نحاسية، أطلق عليه فيكتور الذي شاهده يعمل غير مرة اسم "الآلة الجهنمية". لفّ هورباتكو مقبض الجهاز وضبطه على حالة العمل، وعاد إلى المجموعة.

- لا يقترب أحد مني الآن، حسنًا؟

- اعمل يا إيفانوفيتش، اعمل. لوح شامراي بيده.

بعد ذلك، انغمس البروفيسور هورباتكو في عملية الكشف الحيوي، مرّر يده على الإطار، أولًا، ثم تحته. وقف لحظة، ثم هزّ رأسه، وبدأ يخطو ببطء خطوات جانبية، ثم يتحرك للأمام، ممسكًا بالجهاز ذي الأسلاك أمامه. عدّل جورا وضعية الكاميرا، نقر. كان فيكتور يراقب البروفيسور الذي سار بضع وعشر خطوات إلى الأمام ثم تسمّر مكانه، تحرك بضعة سنتميترات أخرى وتسمّر مجدّدًا، ثم تراجع. دار حول "الآلة الجهنمية"، استدار إلى اليمين، وتحرك ببطء إلى موقعه السابق، ثم ابتعد من دون توقف واستدار نحو مئة وثمانين درجة وسار إلى أن غدا قرب قاعدة التمثال الفارغة. وقف أخيرًا، وبإيماءة من رأسه دعا فيكتور وجورا للاقتراب.

- هل رأيتما هذا من قبل؟ - سألهما وهما يقتربان منه - الآن كررا ما أفعله بالضبط.

كانا يكرّران ما يقوم به البروفيسور. في البداية لم يحدث أيّ شيء، ثم بدأ الإطار بالارتعاش، خطوة أخرى ودار حول محوره بقوة، كما لو أن شخصًا ما قد نفخ عليه. حدث الشيء نفسه مرة أخرى عندما تحرك الثلاثة نحو الموقع الأول، وكذلك عند الاقتراب قليلًا من القاعدة الفارغة.

- أرأيتما؟ - تألّقت عينا البروفيسور بجنون - إشعاع الأرض في هذا المكان قوي جدًا. أود أن أقول إننا نقف الآن على حافة صدع عميق جدًا في القشرة الأرضية؛ هذه هي الطريقة التي تعمل بها - رسم هورباتكو بيده خطًّا متقطّعًا غير منتظمٍ في الهواء - في الواقع، يا فيكتور، يمكن اعتبار كل شيء يقع على حوافّ هذا الخط منطقة شاذة. هل أصبت بالصداع يا هيورهي؟

- نعم - ضغط المصور على صدغيه مجدّدًا - لأكون صريحًا، لا يؤلمني كثيرًا بقدر ما أشعر بالدوار. أنا في حالة سكر نوعًا ما؛ مئة غرام لا أكثر16.

- أنا بخير - هزّ شامراي كتفيه - لا أعلم... إنه نوع من القلق، هذا صحيح. لكن هنا، قليلون سيكونون هادئين.

- هذا المكان لديه طاقة ثقيلة - صرّح الأستاذ بشكل قاطع - ليس هنا فقط، حيث نقف الآن، بشكل عام، يبدو لي أن هذه القرية بمعظمها تقع عند تقاطع المناطق الجيوباثية. هنا، شبكة هارتمان، إذا جاز التعبير، أكثر كثافة قليلًا من أي مكان آخر. باختصار، كل واحد منكما، وأنا أيضًا، نشعر بأمور غريبة كل بطريقته الخاصة.

لم يبقَ شيء ليفعله فيكتور شامراي في قرية بيدليسني البائدة. قال:

- تلك الفتاة، توما، قالت إن الناس يختفون هنا على ما يبدو، وكأنّ شيئًا ما يناديهم إلى هنا، نوعًا من الجذب... أو الاستدعاء...

- لا يمكنني أن أخبرك شيئًا عن الانجذاب أو الاستدعاء - مرّر البروفيسور يده على وجهه، ونظر إليها لسبب ما، ثم حوّلها إلى فيكتور - أترى، عرق. أنا أتعرّق هنا... باختصار، لن أخبر عن الجذب، لا أعرف، لكنني لا أشك للحظة في أن الناس الذين عاشوا هنا لفترة طويلة، وحتى أولئك الذين ولدوا هنا، يعانون من أعراض مرضية مختلفة، منهم من يعاني من مشاكل في المعدة، أو في القلب، ومنهم من قد يكون مصابًا بالسرطان. وقد يحدث أن... قام هورباتكو بثني إصبع سبابته.

- إذًا - سأل شامراي مرة أخرى - في رأيك، كل من كان على الأقل على علاقة ببيدليسني، عاجلًا أم آجلًا يمكن أن يصاب بالجنون؟

- لِمَ لا؟ حتى إنني قد أسمي هذا المكان تقاطعًا للأضواء - أجاب البروفيسور بجدية - في الواقع، أرى انفجار تشيرنوبيل خلاصًا للسكان المحليين. هل تعرف لماذا؟ وإلا، لكان الناس قد عاشوا هنا لمدة أطول، ومن يدري ما الذي كان ينتظرهم. أُجبروا على إخلاء المنطقة الشاذة، التي بات خطرها مضاعفًا على الحياة الطبيعية. على الرغم من وجود شيء لنتعلمه هنا، إلا أنه كلعبة الورق القائمة على الحظّ للباحثين في العوالم الموازية.

بدأ هورباتكو في حزم أجهزته في الحقيبة، وأوقف جورا كاميرته عن العمل. راود شامراي الشعور بفرحة الإنجاز، والتفت ليقول للسائق إنه يمكنهم مغادرة المكان، لكنه لم يعثر على السائق في أي مكان؛ للحظة فقد فيكتور القدرة على الكلام. قبل خمس دقائق فقط، كان السائق يقف بجانبه عابسًا؛ يبدو أنه غرق في الأرض، واختفى؛ التهمه أحد الصدوع التكتونية للقشرة الأرضية غير المرئية للعين البشرية. كان الجو هادئًا، حتى إن النسيم البارد بدا وكأنه توقف. اختفت الشمس أيضًا خلف الغيوم، وفجأة أصبح المشهد كله رماديًا وكئيبًا إلى حدّ ما.

لا شيء سوى طنين الصمت في الآذان. بدا لشامراي أن أيًّا من رفيقيه لم يلاحظ اختفاء السائق. اتجه حيث كان البروفيسور والمصور، وتوهم لجزء من الثانية أنه لم يعد يراهما؛ لا أحد بجانبه. لا، ها هما، وكأنهما يخرجان من الهواء؛ جورا يثبّت علبة الكاميرا، أما مكسيم إيفانوفيتش فيحمل الحقيبة على كتفه.

- أين هريشا؟ خرج السؤال أخيرًا من فم فيكتور، ومن دون انتظار إجابة، صرخ بأعلى صوته؛ شعر فجأة بالرغبة في الصراخ بصوت عالٍ، على الرغم من أنه تمكن من نطق كلمة واحدة: هريشا، هريشا، هريهوري، وترددت الصرخة. في تلك اللحظة التي استمرت لمدة طويلة جدًا، سُمعت الإجابة:

- لماذا تصرخ؟ خرج السائق من المدخل الفارغ للمنزل الأقرب إليهم، وهو يزرّر بنطاله أثناء المشي.

- رائع. تنفس شامراي الصعداء.

- ما بالك؟ - لم يفهم السائق، وأعاد ترتيب سترته - أصبت بالإسهال لكنني لم آكل شيئًا مضرًّا. يبدو أن المنطقة الشاذة أثرت عليّ... للمناسبة، يا رفاق، كان هناك أناس، ولم يمضِ وقت طويل على وجودهم هنا. كانوا هناك - أومأ برأسه نحو المنزل - رأيت صحيفة مطوية في الزاوية، إنها محلية من جيتومير، مانشيتها واضح عن الأزمة البرلمانية، وبجانبها زجاجتا فودكا فارغتان من ماركة "جيتوميرسكا نا برونكاخ"17. محليّة، حتى إنني أعرف أين يباع هذا النوع.

- هل أتوا إلى هنا في سيارة جيب ليشربوا؟ - استفسر جورا - ألا يوجد مكان آخر؟ هل يؤلمك رأسك؟ إنها منطقة شاذة...

- هناك شيء آخر... لا أعرف كيف أقول لكم... يشبه القبر...

- ربما لست الشخص الوحيد الذي استخدم المكان كمرحاض.

- لا، إنه شيء آخر...

نظر شامراي إلى ساعته.

- فلنعد. لا تنسوا أن علينا دفع السيارة.

11

التقيا في مقهى صغير بالقرب من ساحة الكاتدرائية؛ استبق شامراي الموعد، فوصل مبكرًا وطلب كوب كابتشينو. عندما قدّمت له النادلة الكوب انشغل بتحريك الملعقة فيه لمدة من الوقت محاولًا إذابة الرغوة العطرية. لم يستطع فيكتور شرح سبب شعوره، وكأن حجرًا ثقيلًا حلّ على روحه في اليوم الذي تلا عودته من بيدليسني التي نُسيت، ولم يزره النوم إلا قليلًا. يحدث له ذلك للمرة الأولى منذ سنين تلت الأحداث التي خلّفها وراءه ورفض بعناد تذكرها. آنذاك لم ينم لأيام، وهروبًا من واقعه حاول الاختناق بالفودكا التي أطارت النوم من عينيه تمامًا محدثة بعض الفجوات المؤقتة في الذاكرة. كاد أن ينتهي به الأمر في مستشفى زاريتشني، ذاك الذي تخشى تمارا توميلينا أن تُنقَل إليه في تخيلاتها، ثم نجح الأمر. قرر الأطباء القيام بإجراءات جذرية ما تطلّب معاملة المريض معاملة خاصة. حقنوه بجرعة منوم يخرّ منها الحصان أرضًا، فنام فيكتور ليوم كامل تقريبًا، وعندما استيقظ وجد والدته تجلس بجواره طوال الوقت. قرر الأطباء الاستمرار... جرعة ثانية، واستمروا بحقن شامراي لمدة ثلاثة أيام، بعد ذلك، اصطحبه والداه إلى القرية التي انتقلا إليها بعد وفاة جدته، إذ قررا الانتقال إلى منزلها القروي وترك شقة المدينة لابنهما. تعافى فيكتور أخيرًا في صمت القرية، وفي الهواء الطلق. كان عليه أن يبدأ حياته، ليس فقط من جديد ولكن من الصفر في الواقع، واقتضت بداية الحياة الجديدة الامتناع القاطع عن شرب الكحول، حتى لو كان في شكل زجاجة من البيرة. و... ثم أتت "حقائق لا تُصدّق"... يكفي.

أغمض شامراي عينيه، وغطاهما بكفه، وعندما فتحهما مرة أخرى رأى توما التي وصلت بسيارة بيجو فضية اللون، ليست جديدة، لكنها لائقة تمامًا. ترجّلت الفتاة من مقعد السائق؛ وصلت بالسيارة، السيارة ملكها. ولسبب ما، أربك هذا فيكتور: من مظهرها، كان من المستحيل استنتاج أنها تقود سيارتها الخاصة في جيتومير، وهي ليست رخيصة.

- مرحبًا. جلست توميلينا قبالته وابتسمت.

كانت ابتسامتها مطّاطية، وقد حاولت الفتاة تمالك نفسها لمدة كافية. بدت متوترة ومضطربة، كما بدا لفيكتور في ذلك الوقت أنها كانت خائفة بعض الشيء، ومع ذلك، تمكّنت من المحافظة على أعصابها.

- مرحبًا. أنا أرتشف...

- أريد الشاي - قالت تمارا، وهي تبحث عن النادلة، وترسم بيدها إشارة لها. عندما جاءت الفتاة، لم تسأل، بل طلبت، بدون النظر إلى القائمة - شاي الفواكه. لا يهم أي نوع. ممكن ظرف شاي. مع ليمون. وأسرعي إن أمكن. غادرت النادلة. وإدراكًا منها أن سلوكها غير اللطيف إلى حد

ما، يمكن أن يُنظر إليه بشكل مختلف، أوضحت توما لشامراي - أنا أتجمد... لا أحب تشرين الثاني/ نوفمبر. الخريف والشتاء ليسا فصليّ. أحس وكأن رأسي يتحطم.

أراد فيكتور أن يسأل متى تسنى لها أن تتجمد، فقد خرجت للتو من السيارة، حيث كان يعمل المكيف ربما. لكن بدا أن الفتاة توقعت فضولًا مشابهًا

- ربما السبب وراء ذلك عصبي. أشعر به في الآونة الأخيرة - رفعت يديها المرتجفتين، أصابتها قشعريرة - برررر.. - هزت كتفيها وغيرت الموضوع على الفور - هل كنت في بيدليسني؟ لم أخدعك؟

شرب شامري من كوبه الذي غادرته الحرارة تقريبًا. في هذه الأثناء، استلت تمارا سيجارة لتدخنها كعادتها.

- ذهبنا إلى هناك - أجابها.

- وكيف كان المشهد؟

- ستقرئين عن كل شيء في الأسبوع المقبل في جريدتنا. باختصار، هناك حقًا ما يشبه المنطقة الشاذة. على كل حال، أظهرت الأجهزة وجود مثل هذه المنطقة في وسط القرية.

أحضروا الشاي. وضعت تمارا سيجارتها على حافة المنفضة، وضمّت فنجانها الساخن بكفيها وأغمضت عينيها للحظة. ثم رفعتهما ناظرة إلى فيكتور، وأمالت رأسها إلى الجانب.

- تقول أشياء لا أستطيع تخيلها. والداي كانا في بيدليسني اللعينة تلك. لكنني لم أكن هناك أبدا لا أعرف أين الساحة، وأين الحيّ.

- مما أعرفه عن الأماكن ذات الطاقة السلبية، أستطيع أن أقول إن هناك حالات استمرت فيها هذه الطاقة في التأثير سلبًا على الناس حتى بعد مغادرتهم تلك الأماكن. إنها مثل العدوى، أتعلمين؟ أو، إذا أردت، إنه نوع من القدر...

- تقصد إنها لعنة.

- لم أقل شيئًا من هذا القبيل. الأماكن الملعونة في أفلام الرعب فقط.

- في الحياة كذلك - قالت تمارا بثقة - وقد تأكدت من ذلك بشكل غير مباشر. قريتي بيدليسني، التي لم أزرها من قبل، هي مكان ملعون بالكامل. طالما عاش الناس هناك، كان المكان يتغذى من طاقتهم. الآن يطلب منهم أن يعودوا. أضاحي، أتعلم؟

فكر شامراي في أن توما توميلينا في عقلها السليم في الوقت الحالي. لا يوجد سبب أو حجة لأي شخص أن يدعي خلاف ذلك، فهي تقود سيارة ولا تصدر إدارة السير دفتر قيادة لشخص غير متوازن عقليًا. لكنها في الوقت نفسه تقول أشياء لا تناسب هذا الواقع.

- هذا كل شيء - قال فيكتور بطريقة عملية - ذهبت بالفعل إلى بيدليسني بالأمس، وشعرت بنفسي أن هناك خطأ ما، الطاقة ليست جيدة. ولكن، إذا نظرت إلى الأشياء بعقلانية، ستجدين أمورًا مشابهة في أي مكان لم يعيش فيه الناس لمدة طويلة. اذهبي مثلًا إلى منزل متداع في أي ضاحية من ضواحي المدينة، على سبيل المثال كوربوتيفكا. حتى لو كانت السيارات تتجول في الشارع، لو وجد محل للألعاب الإلكترونية عبر الطريق أو سوبر ماركت حديث. سيبدو لك هذا المبنى مكانًا توقف فيه الوقت واستقرت فيه الأشباح. شكرًا لك على النصيحة. نحن نعرف الآن مكان وجود منطقة شاذة أخرى. في الحقيقة، ما زلت أشعر بعدم الارتياح...

- آه - قاطعته الفتاة - توقف. لا داعي لقول أي شيء آخر. يتركك هذا الشعور إن لم تقصد المكان نفسه من جديد. ذلك محتمل لأنك لست على اتصال ببيدليسني الملعونة بأي طريقة من الطرق. لقد قلت لك إنني أعرف أناسًا اختفوا في تلك المنطقة الشاذة.

- اختفوا تمامًا؟ - استفسر شامراي - قلت، لكنك لم تتحدثي عن أي وقائع بعد ذلك...

- بعضهم اختفى تمامًا... - هزت تمارا كتفيها، وشربت الشاي، وأشعلت سيجارة - بالطبع لم أراهم بنفسي. اختفوا. سمعت هذا من أناس اختفى معارفهم لمدة، ثم لا يعرفوا من أين أتوا. فقد هؤلاء المساكين جزءًا من الذاكرة. كما تعلم، كما قالوا في ذلك الفيلم: أتذكر هنا، ولا أتذكر هنا.

- هل يمكنك أن تسمي شخصًا واحدًا على الأقل منهم؟

- لماذا؟ - هزت تمارا كتفيها من جديد - لن تجد أي شخص. نقلوا بسرعة إلى أبعد مكان ممكن. لأكون صادقة، فقد تعاملت مع هذه القصص الغريبة بالفكاهة مثلك...

- أنا؟ لا شيء مضحك إطلاقا.. - حاول شامراي تبرير نفسه.

- أنا أرى - قاطعه توميلينا من جديد - عندما جئت إليك في المرة الأولى رأيت كل شيء. نظرت إلي كأنني حمقاء. على الرغم من ذلك ذهبت إلى بيدليسني. فهذه هي وظيفتك، خبزك. ثم تأكدت من أن خطبًا ما هناك، الطاقة سيئة. ما يعني أنني كنت على حق خمسين في المئة. صحيح؟

- حتى الآن، كان ما تقوله منطقيًا، لم يستطع فيكتور إلا أن يتقبل ذلك. في الواقع، كل ماستطاع فعله هو أن أومأ برأسه بصمت.

- أترى؟ - لمع بريق انتصار في عيني الفتاة - الآن، من غير المحتمل أن تعترض بشكل قاطع، على شعوري وشعور أشخاص مثلي ببقايا تأثير هذه الطاقة السيئة. كل شخص يشعر بها بشكل مختلف عن الآخر. أستطيع فقط أن أتحدث عن نفسي، فليكن الله بعوني أما الآخرون فلا شأن لي بهم.

نحّت توميلينا كوبها، وانحنت نحو شامراي، استلقت حرفيًا وبات صدرها على سطح الطاولة. قرّبت وجهها من وجهه الحذر. وقالت هامسة ببطء:

- تواصل بيدليسني الاتصال بي، هل تفهم؟ كنت أضحك في السابق لو أخبرني بذلك شخص ما. بشكل عام، اكتشفت بالصدفة صلتي بما يحدث - رفعت توما سبابتيها إلى صدغيها - وبطاقة المكان السيئة. المكان الذي قضيت فيه أكثر من ثمانية أشهر في رحم أمي.

- ماذا يعني الاتصال؟ - خفض شامراي صوته.

- من الصعب علي أن أشرح. لكن بفضلك، اكتشفت أن مشاعري يمكن أن تكون حقيقية. كيف أتعامل مع هذا. لا أعرف حتى الآن - استوت تمارا، أخذت سيجارتها نصف المدخنة بإصبعين، ورفعتها إلى مستوى عينيها، ونظرت إلى جليسها عبر الدخان، ثم وضعتها بحذر في منفضة سجائر - الآن، لا أعرف ماذا أفعل بكل هذا وإلى أين أذهب بعد ذلك.

- و؟ - لم يعرف شامراي ماذا يسأل.

- هناك امرأة تعيش في مكان ما بالقرب من كوروستيشيف. سأذهب إليها للحصول على مشورة. يقال إنها جيدة في هذا النوع من الأشياء. شكرا على كل ما فعلته.

قامت بحركة غير محسوسة وسحبت محفظتها، ووضعت ثمن الشاي على الطاولة.

- توقفي. أنا سأدفع - مد فيكتور يده بسرعة لإرجاع المال لها.

- لديّ ما يكفي. مجددًا، شكرًا لك على كل شيء.

- لم أفعل شيئًا.

- أنت لا تعرف حتى ما الذي فعلته من أجلي - أجابه تمارا توميلينا بتلك النبرة الغامضة - لقد تحملت عناء اكتشاف أن مخاوفي لها أصل. سأتابع بنفسي من هنا. حظًا طيبًا. بالتوفيق.

غادرت المقهى بسرعة. رافقتها نظرة فيكتور إلى سيارتها.

12

نُشر التحقيق عن المنطقة الشاذة، كما هو مخطط له، أي خلال أسبوع. كان تشرين الثاني/ نوفمبر قد سيطر على الطبيعة بالكامل، وبدأ الصقيع الخفيف يغزو لياليه. في الآونة الأخيرة، غدا شامراي شديد الحساسية لتغيرات الطقس لسبب ما، لذلك، في يوم الجمعة، في اليوم التالي لصدور عدد "حقائق لا تصدق"، استيقظ من نومه مصابًا بصداع وانسداد في الأنف. اتصل بالسكرتيرة، وأخبرها أنه سيبقى في المنزل اليوم. وقف أمام المرآة مخاطبًا نفسه، للمرة الثانية خلال هذه السنة: أنت. لم تبلغ من عمرك سوى ثلاثين عامًا، لكنك خرب تمامًا كما يُقال.

في الواقع، بعد الأحداث التي لم يرغب في تذكرها، بدا فيكتور شامراي أكبر بخمس سنوات على الأقل. كبّره الشيب المبكر، كان يتساقط بسخاء على شعره الأسود، خاصة على صدغيه. كان يشرب الشاي مع الويبرنوم، وفجأة رنّ هاتفه المحمول. الرقم غير معروف. لم يرغب في الإجابة، لكن فيكتور استجاب بدافع العادة، قبل أن تتملكه الرغبة في إيقاف تشغيل الهاتف تمامًا.

- أنا أستمع.

- فيكتور شامراي؟ - أتاه صوت غير مألوف.

- أنا. أي...

- أين أنت الآن؟ اتصلت بالجريدة فقالوا إنك في المنزل.

- قالوا الحقيقة.

- ابق في المنزل من فضلك. سأقلك في غضون عشرين دقيقة.

- لكن...

أغلق الغريب الخط.

رنّ جرس الباب في أقل من عشرين دقيقة. فتح شامراي الباب. وقف على العتبة رجل يبلغ من العمر أربعين عامًا ذو تسريحة شعر عادية، وظهر أنفه المكسور واضحًا على الفور.

- النقيب براجنيك، قسم التحقيقات الجنائية - أظهر الزائر بطاقته أثناء على الفور لإزالة جميع الأسئلة المحتملة، وطرح سؤالا في الوقت نفسه - سأدخل - دون انتظار الإذن، دخل النقيب ذو

الأنف المكسور إلى الشقة وأغلق الباب خلفه بهدوء - هل أنت فيكتور شامراي؟

- نعم...

- أرني مستنداتك. جوازك الداخلي، إن كان ممكنًا.

لم يفهم فيكتور ماذا الذي يحدث، ولماذا التحقيق الجنائي هنا. دخل الغرفة وأخرج جوازه الداخلي من الدرج وسلمه للضيف. قلب براجنيك صفحاته، ثم ضرب الجواز براحة يده، وقلبه ببطء.

- الموضوع... أنني أريد استجوابك بشأن علاقتك بتوميلينا تمارا هريهوريفنا. هل تعرف أحدًا بهذا الاسم؟

- أعرفها. ليست معرفة وثيقة. تحدثنا على الهاتف ثلاث مرات، والتقينا مرتين.

- نعم - مشى براجنيك في الغرفة. بهدوء وبعناية كبيرة وضع الجواز على رف الكتب. ثم أخذ صحيفة مطوية من جيبه الداخلي وفتحها. "حقائق لا تصدق"، صفحة عليها صورة توما وتحقيق عن المنطقة الشاذة - أنت كتبته؟

- أنا، هل يوجد خطأ ما؟

- يوجد خطأ - وافقه براجنيك - هناك خطأ ما، حدث بالأمس. لم يرَ أحد تمارا هريهوريفنا توميلينا منذ الأمس.

التزم شامراي الصمت محاولًا استيعاب المعلومة.

- وما شأني أنا؟

- لا أعرف - اعترف براجنيك - هذا ما يجب اكتشافه - في الآونة الأخيرة، قلما غادرت المواطنة توميلينا المنزل. متى التقيتما؟

- الأسبوع الماضي... نسيت الأمر. نحن لا نعرف بعضنا البعض حقًا، هل تفهم؟ لدي معارف هكذا...

- سبق أن قلت ذلك - أوقفه براجنيك بإشارة - لذا يبدو أنك آخر شخص رآها وتحدث إليها. حتى الأول من أمس لم تكن هناك سوى اتصالات هاتفية مع المواطنة توميلينا. وظهر هذا أمس - أشار إلى عدد الصحيفة - لكن حسب معلوماتنا اختفت المواطنة توميلينا في مكان ما مساء الأول من أمس. إنها ليست في المنزل. هناك، حال من الفوضى، على ما يبدو، كانت تسارع في المغادرة إلى في مكان ما. سيارتها ليست في المرأب. في الواقع - أومأ براجنيك برأسه - شهد حارس موقف السيارات أن توميلينا ركبت سيارتها حوالي الساعة السادسة مساء أمس الأول، وغادرت إلى مكان ما. كانت معها حقيبة سفر صغيرة. كانت على عجلة من أمرها.

13

تبين أن المحققة التي قاده إليها النقيب براجنيك شامراي، امرأة متعبة وقبيحة تضع نظارة في الأربعينيات من عمرها. كان اسمها كيرا أنطونوفنا، وعائلتها بيريزوفسكا. لم يخرج براجنيك من مكتبها بل استقر في الزاوية على كرسي جديد تمامًا. مقر مكتب المدعي العام، حيث لم يكن فيكتور من قبل، حتى مع الأخذ في الاعتبار تلك الظروف التي لم يرغب في تذكرها، يتوافق تمامًا مع أفكاره بشأن مؤسسات الدولة. لقد كان مريحًا بطريقته الخاصة، حيث لا تزال هناك آثار التجديد في المكان. جزء منها، بلا شك، أثاث المكاتب الجديد.

بدون مقدمات أو شروح، دفعت بيريزوفسكا ورقة بيضاء إلى شامراي، وأخبرته بما يجب عليه أن يكتبه، وانتظرت هي وبراجنيك بصبر وبصمت أن ينتهي فيكتور. قفزت بسرعة فوق ما كتبته بعينيها، ورفعت الورقة. قام النقيب من مقعده المريح، وأخذ الورقة، وقرأها أيضًا لكن بعناية أكبر، ثم وضع الورقة أمام المحققة ورجع إلى مكانه. كانوا جالسين بحيث تنظر بيريزوفسكا إلى وجه فيكتور، أما براجنيك فكان خلف ظهره.

- استمع الآن إلى ما كتبته - بادرته كيرا التي بدت في سنّها تمامًا، لا أصغر ولا أكبر، على الرغم من أن مظهرها الرمادي لا ينبغي أن يضيف سنوات إلى عمرها بل ينقص منه، كما تصور شامراي الناظر إلى أنطونوفنا المتكئة على الكرسي - هكذا: "أنا شامراى فيكتور ماكسيموفيتش، أعمل مراسلا خاصا لدى صحيفة حقائق لا تصدق. هوية صحيفتنا نشر العديد من الظواهر غير العادية، بما في ذلك الخوارق. يحاول جميع الكتاب، بمن فيهم أنا، التحقيق في هذه الظواهر". حتى الآن أليس كذلك؟

- هذا صحيح - أكد شامراي.

- موافقة. الجميع يعرف جريدتك. سأتابع القراءة - تنهدت المحققة وراحت تقرأ بوضوح - "في الخامس من تشرين الثاني/نوفمبر من هذا العام، أتت مواطنة إلى مكتبي، وأطلقت على نفسها اسم تمارا توميلينا. لم أكن أعرفها من قبل".

ارتجف فيكتور من ظهور براجنيك المفاجئ من خلف ظهره. امتدت يده بصورة حملها أمام وجهه.

- هل هذه المرأة أتت إليك؟ - من الصورة، نظرت إليه تمارا بابتسامة. لقطة مقرّبة على خلفية الهرم المصري. كانت الفتاة ترتدي قميصا أبيض.

- إنها هي - أومأ فيكتور برأسه، أزاح النقيب الصورة، وعاد إلى مكانه. تابعه شامراي بعينيه، لكن المحققة تابعت القراءة، فتحول فيكتور إليها.

- "عرضت علي تمارا موضوع المقال. تحدثت عن قرية بيدليسني التي أعيد توطين سكانها، والتي تقع في مكان ما على حدود قضاءي أوفروتش وناروديتسك في مقاطعة جيتومير. وفقا لها، هناك منطقة شاذة على أراضي هذه القرية، التي باتت مهجورة بعد الحادث الذي وقع في محطة تشيرنوبيل للطاقة النووية. هذه المنطقة لديها تأثير سلبي على كل شخص مرتبط بطريقة ما بالقرية المذكورة". صحيح؟

- صحيح.

- الكلام حتى الآن، تمامًا بروح صحيفتك - أومأت المحققة إلى نفسها أكثر من فيكتور - هنا تكتب المزيد: "أوضحت تمارا توميلينا، في حديث معي، أنها تأثرت بالمنطقة الشاذة، لأن والدتها حملت بها في وقت من الأوقات في بيدليسني وانتقلت الطاقة السلبية من هذه المنطقة إليها كجنين". صحيح؟ - هنا لم يتسرع شامراي في الإجابة. لكن بيريزوفسكا لم تمهله - لقد كتبت ذلك يا فيكتور ماكسيموفيتش بيدك. هل تفهم ما أنا بصدده؟

- لا - اعترف بصدق.

- عندما تكتب هذا في جريدتك، يُنظر إليه بشكل مختلف تمامًا. إذا جاز التعبير، في السياق العام لما تنشره الجريدة. أما عندما تكتب هذا في مذكرة تفسيرية لمحقق مكتب المدعي العام، الذي يحقق في قضية قتل مع سبق الإصرار، فستوافق، يبدو الأمر غريبًا إلى حد ما. في فريقك، تتصور مثل هذه القصص بضجة كبيرة. الأشخاص الذين قرأوا ما كتبت لا يرون أي شيء مريب أيضًا. لأنهم يريدون أن يصدقوا فيصدقون. لكن هنا - لوحت كيرا بالورقة في الهواء - سأضطر إلى رفعها إلى قضية جنائية. لذلك، أحتاج إلى اتخاذ قرار: هل آخذ ما هو مكتوب في ظاهره أو اطلب منك تفسيرات أخرى؟

- تفسيرات تناسب رأسًا سليمًا - وافقها النقيب من مقعده. أما شامراي فقد شعر بأن راحتي كفيه رطبتان. وأن أعصابه مشدودة. مسح كفيه بسرواله بهدوء.

- سواء أحببتم ذلك أم لا، أيتها السيدة والسيد، ليس لدي تفسيرات أخرى. كتبت كل شيء كما كان. وبشكل عام، اشرحا لي الآن: ما نوع القضية الجنائية، عن أي جريمة قتل تتحدثان، وما علاقة توميلينا بها، والأهم من ذلك، ما علاقتها بي؟

- لا تستعجل - أوقفته بيريزوفسكا - دعنا نقرأ. وهذا يعني "بعد التحقق من كلمات تمارا توميلينا، ذهبت مع مجموعة من الزملاء في اليوم التالي، 6 تشرين الثاني/نوفمبر، بحثًا عن بيدليسني، وهي غير مذكورة في الخرائط الحديثة. التقينا على الطريق السريع ضابط شرطة، شرح لنا، بعدما فهم ما نطلبه، كيف نصل إلى القرية المهجورة. على أراضي قرية بيدليسني التي أعيد

توطين أهلها، أجرينا عملية كشف حيوي، كانت نتيجته اكتشاف وجود مناطق جيوباثية في المكان المشار إليه"... - مناطق ذات طاقة سيئة؟ - سألت المحققة.

- بالضبط.

- حسنًا، الفقرة الأخيرة.. "عند عودتي، اتصلت بتمارا توميلينا. التقينا في مقهى بالقرب من ميدان الكاتدرائية. حدثتها عن نتائج بحثنا، وأكدت أن المكان الذي تحدثت عنه يمكن بالفعل تسميته بالمنطقة الشاذة. التي سبق أن قالت توميلينا أنها تشعر كيف تتصل بها بيدليسني. وأعلنت عن نيتها التوجه للعلاج أحد المعالجين الشعبيين الذي يعيش، حسب قولها، في مكان ما بالقرب من كوروستيشيف بمقاطعة جيتومير. بعد ذلك، لم أتواصل مع تمارا توميلينا ولم ألتق بها. أين هي الآن، لا أعرف. تاريخ اليوم والتوقيع". صحيح؟

- صحيح.

- أخبرني الآن، مع الأخذ في الاعتبار ما لفتت انتباهك إليه بالفعل: هل أنت نفسك تؤمن بما كتبته؟

- أين؟ في الجريدة أم هنا لديك؟

- لديّ؟ - تنهدت المحققة - لأنه سيكون من الممتع والمفيد بالنسبة إليّ شخصيًا أن أعرف مدى إيمانك بما تكتبه في صحيفتك.

- هذه هي وظيفتنا - قرر شامراي أن يقتصر على إجابة مقتضبة - الشيء الرئيسي أن القراء يؤمنون به.

- نحن لسنا من قرائك - قال النقيب من خلفه.

- أوافق - أومأت كيرا - بالنسبة إليك ولكل من يقرأ "حقائق لا تصدق"، يمكن اعتبار اختفاء تمارا توميلينا، التي تزعم وجود أماكن ملعونة في بعض النواحي النائية، ظاهرة لا تحتاج إلى الكثير من الشرح. هذا منطق غريب للأشياء، منطق غريب للظروف، لكنه ليس منطق مسؤولي تطبيق القانون. بالنسبة إلينا، فيكتور ماكسيموفيتش، يعتبر اختفاء تمارا توميلينا، بغض النظر عن العالم الآخر الذي تغوص فيه، في المقام الأول اختفاء شاهد رئيسي في قضية القتل العمد مع سبق الإصرار. هل سمعت عن قضية بيدوبني؟

14

قُتل المصرفي هريهوري بيدوبني قبل شهر، في نهاية أكتوبر/تشرين الأول. لو كان شامراي معتادًا على مشاهدة الأخبار في التلفاز أو قراءة الصحف، باختصار، لو كان يعيش في عالم أكثر واقعية مما يكتبه في جريدته، فإن هذه القصة كانت لتحوز على اهتمامه. لا يُقتل رجال أعمال بهذا الحجم كل يوم في جيتومير. فقد احتفل الرجل المقتول بعيد ميلاده الأربعين في الصيف، وكان الاحتفال، كما يقال، ذا طنّة ورنّة. أما شامراي، عندما سمع هذه التفاصيل من كيرا، لاحظ على الفور: "لا يُحتفل بعيد الميلاد الأربعين، إنه نذير شؤم.. إنه تأكيد واضح على الأمر". إلا أن المحققة تجاهلت ملاحظته. فمن غير المرجح أن يكون ذلك مرتبطًا بطريقة ما بالقضية الجنائية. أصيب هريهوري بيدوبني، مدير فرع جيتومير الإقليمي لبنك رودوسلاف، البالغ من العمر أربعين عامًا، بمسدس بيريتا سيغار وهو سلاح في يستخدم البلدان الأوروبية، ومؤخرًا في أوكرانيا، يحمله بشكل أساسي الحراس الشخصيون. أطلق القاتل النار مرتين. استقرت الرصاصة الأولى في المعدة، واخترقت الثانية الرأس. في الحالتين، كان إطلاق النار من مسافة قريبة، وفقًا لاستنتاجات الخبراء، أطلقت الرصاصتان من مسافة يد ممدودة. حدثت جريمة القتل في الطبقة الأولى في المنزل الريفي للمصرفي. بعد الطلاق من زوجته، بقيت شقة المدينة معها وابنتها، وانتقل بيدوبني إلى ذلك المنزل. لم يكن الطلاق فاضحًا، فقد طلق زوجته قبل ثلاث سنوات باتفاق متبادل بالتراضي، ووفقًا لمن يعرفون هذه الأسرة، فإن طليقته لم تطالب المصرفي بأي ملكية أو لم تكن لديها مطالب ذات طبيعة شخصية. على العكس من ذلك، ظلا يظهران معًا في تلك الأماكن التي اعتاد بيدوبني على الظهور بها. عند اللقاء، كان الزوجان السابقان يتواصلان بشكل جيد. حتى أن كل منهما عرف الآخر على العشاق الجدد.

في الواقع، فإن طليقة المقتول هي من تذكرت تمارا توميلينا. فقد كانت تمارا توميلينا عشيقة هريهوري بيدوبني لأكثر من عام. كيف انتهى بها الأمر في حياة مصرفي، لم تستطع زوجته السابقة ولا أصدقاؤه المقربون ولا شركاؤه في العمل تفسير ذلك حقًا. في مرحلة ما، جاء بيدوبني معها ببساطة لحضور عشاء عمل، وقدمها إلى صديقه المقرب، وبعد ذلك كثيرًا ما شوهدا معًا.

أمام ما ذكر، توصل شامراي إلى نتيجة بسيطة. اتضح أنه لا يعرف شيئًا على الإطلاق عن الشابة التي قابلها. كان يعرف فقط أن لديها سيارة بيجو فضية، ليست جديدة، لكنها سيارة لائقة تمامًا. من الواضح الآن من أين حصلت على مثل هذه السيارة. لكن ما فعلته تمارا، إلى جانب كونها عشيقة المصرفي، لم يكن يعرف المزيد. لم يعرف هذا لا أصدقاء الضحية ولا الشرطة. على الرغم من أنه كان كافيًا للجميع أن تكون الفتاة عشيقة رجل أعمال معروف في المدينة. إذا أراد المرء هذه مهنتها.. إنها واحدة من أقدم المهنة في التاريخ. ولم يُعرف بالضبط من الذي اتصل بالشرطة. كان المتصل مجهولًا، وقد تحدث من هاتف أرضي في محطة الحافلات. أوضح شرطي آخر في التحقيق

أن صوت المتصل كان متغيرًا، ولم يتمكن أن يميز ما إذا كان المتصل رجلا يقلد صوت امرأة أو امرأة تقلد صوت رجل. لكن وقت الاتصال بالشرطة كان محددًا بالضبط: الحادية عشرة وعشرون دقيقة ليلًا. في وقت لاحق، توصل الخبراء إلى استنتاج لا لبس فيه حول أن جريمة القتل حدثت في موعد لا يتجاوز الساعة العاشرة مساءً، زائد أو ناقص خمس عشرة دقيقة. بناءً على ذلك، أشار التحقيق إلى أن من اتصل الشرطة هو إما القاتل، أو - وهذا هو الأرجح - شاهد على الجريمة.

إلى مسرح الجريمة، أي من منزل بيدوبني الريفي، من الممكن تمامًا الوصول بالسيارة في الليل خلال أربعين دقيقة. لنفترض، كما أوضح النقيب، أنه عُثر على الجثة بالصدفة. ووجدها شخص كان ينتظره المصرفي في منزله بعد الساعة العاشرة مساءً. وهذا يعني إما أن الضيف وصل بعد القاتل بخمس دقائق، أو التقى به وجهًا لوجه وهرب بصعوبة، أو أنه هو نفسه القاتل. على أي حال، هناك حاجة إلى بعض الوقت لتقييم الموقف واتخاذ قرار حول ما إذا لم يكن الضيف هو القاتل، وإكمال بعض الأعمال في منزل المقتول لمعرفة ما إذا كان المجرم هو من اتصل بالشرطة. بطريقة أو بأخرى، كان يمكنه قضاء عشرين أو ثلاثين دقيقة بأمان. بعد ذلك، بعد وصوله إلى محطة الحافلات، يمكن لهذا الشخص أن ينتظر من خمس إلى عشر دقائق أخرى، أن يختار هاتفًا عموميًا بعيدًا عن آذان المتطفلين. لذا، يتطابق كل ذلك مع الوقت.

ومع ذلك، كان كل من براجنيك وكيرا بيريزوفسكا يميلان إلى التفكير بشكل مختلف. نعم، يتطابق كل ذلك مع الوقت. لكن من غير المحتمل أن يكون القاتل قد اتصل بالشرطة، على الرغم من أنه ينبغي توقع مثل هذا السيناريو أيضًا. ومع ذلك، اتفقت النقيب والمحقق على شيء: الشخص المجهول، الذي اتصل بالشرطة بصوت متغير، يمكن أنه كان في المنزل في ذلك الوقت. لذلك، كان بإمكانه أن يرى كيف قُتل المصرفي، والأهم من ذلك، من الذي قتله. في حين أن القاتل لم يلحظ الشاهد أو على الأرجح، لم ينظر.. أطلق النار على بيدوبني ثم استدار وغادر. في هذه الحال، يمكن للشاهد، أو من كان، أن يجلس لبعض الوقت، يرتجف من الخوف، ثم يخرج بحذر من مخبئه، ويرى ما حدث ويذهب إلى الشرطة. وهذا يعني، من بين أمور أخرى، أن الشاهد كانت لديه سيارة. كانت سيارة بيدوبني، الميتسوبيشي باجيرو، في المرأب. لم تهطل الأمطار في ذلك المكان لثلاثة أسابيع، ولم يكن هناك آثار سيارات أخرى بالقرب من المنزل.

يحب المصرفي بيدوبني قيادة السيارة بنفسه عادة. فقط في بعض الحالات كان يقودها سائق خاص. كقاعدة عامة، يحدث هذا عندما يدعى إلى المآدب والاحتفالات التي يتردد إليها. كان يرافقه دائمًا حارسان في سيارة أخرى خلفه، عندما يصل إلى المنزل يقوم الحارسان بعملية تحقق روتينية ما إذا كان كل شيء على ما يرام. لسبب ما، لم يكن المصرفي بيدوبني خائفًا على حياته. أو بالأحرى، كما قال أولئك الذين عرفوا الضحية لفترة طويلة، فقد قاتل العصابات بنفسه في التسعينيات عندما كان الجميع يطلقون النار على الجميع. في الواقع، لم تتلق الشرطة أي بلاغ من هريهوري بيدوبني حول تهديدات لحياته.

في ذلك اليوم، كان كل شيء كالمعتاد. عاد بيدوبني إلى المنزل في وقت أبكر من المعتاد. وفقًا لرئيس جهاز أمن البنك، مؤخرًا، منذ نصف عام تقريبًا، كان المدير يترك المكتب في وقت سابق فقط إذا ما كانت تمارا تنتظره في المنزل لتناول العشاء. أبدى بيدوبني تحفظًا حول تقليد بات

راسخًا مؤخرًا، وهو تناول العشاء مع عشيقته على ضوء الشموع. لم يخطط أحد لهذا العشاء مسبقًا. لذلك، لم يكن أحد يعرف بالضبط متى سيذهب المدير إلى عشاء رومانسي مع عشيقته. حتى هو لم يكن يعرف. وأكد الحارسان أن أضواء النوافذ كانت مضاءة في الطبقة الثانية من منزل بيدوبني. عاد المصرفي إلى منزله في تلك الأمسية المشؤومة في الساعة الثامنة والربع. وقُتل بعد أكثر من ساعة بقليل.

هنا تبدأ عملية الحساب البسيطة. لدى تمارا توميلينا سيارة. إنها تعيش، كما اكتشف براجنيك في شقة خاصة مؤلفة من غرفتين في حي كروشنا الهادئ، من الواضح أن عشيقها تبرع لها بها. وبيدوبني نفسه، وفقًا للمعلومات الواردة، لم يذهب إلى هناك. أراد أن تأتي إليه العشيقة بنفسها، وفقًا لمن يعرف المصرفي جيدًا، عندما يكون لديه وقت لتمارا. وهكذا، قبل ساعة ونصف من الجريمة، من المحتمل أن تمارا توميلينا كانت في منزل هريهوري بيدوبني.

لا توجد معلومات حول تشاجر العشيقين. على العكس من ذلك، غالبًا ما وصف بيدوبني الفتاة بالظهير الآمن، فيما كان غارقًا في شتى أنواع النزاعات على جبهة العمل باستمرار، خاصة عندما بدأ الجميع يتحدثون ويكتبون عن الأزمة الاقتصادية وتوتر المصرفيين. لا توجد أيضًا معلومات تفيد بأن تمارا توميلينا كانت تمتلك سلاحًا ناريًا. كانت هناك أسلحة في المنزل الريفي نفسه. فقد عثر المحققون على مسدس من نوع "ت.ت."، يحمل نقشًا تقديريًا احتفظ به المالك في خزانة داخل مكتبه، مقفلة بمفتاح. لذا، فإن الفتاة لم تلمس السلاح وبشكل عام، على ما يبدو، لا تعرف كيفية استخدامه. كما أن القاتل لم يترك السلاح بجانب الجثة كما في الجرائم التي يرتكبها قتلة محترفون بناء على الطلب، حيث يترك سلاح الجريمة ظاهرًا.

من خلال حسابات غير معقدة للغاية، توصل التحقيق حتى الآن إلى النسخة الأكثر منطقية لما حدث قبل شهر. وفقًا للتقليد، وصلت تمارا توميلينا إلى منزل عشيقها وانتظرته هناك. كانا وحدهما في المنزل إذ لم يعثر ببساطة على دليل يفيد بوجود شخص آخر. لا شيء ينذر بالمتاعب، وفجأة ظهر شخص لم يكن متوقعا. طلب بيدوبني من تمارا البقاء في الطبقة الثانية، نزل إلى الطبقة السفلية وفتح الباب، فقتله الضيف غير المتوقع. حدث في بهو البيت الكبير المزود بمدفأة حجرية، المؤدي إلى الباب الأمامي. يوجد درج من البهو يقود إلى الطبقة الثانية، وإذا نظر شخص إلى خارج الغرفة من فوق، يمكنه أن يرى ما يحدث في الطبقة الأرضية. من الناحية النظرية، يمكن أن تشهد تمارا توميلينا مصرع عشيقها المصرفي المعروف في جيتومير هريهوري بيدوبني.

15

أنهت كيرا حديثها.. هذا كل شيء.

- وماذا في ذلك؟ - سأل شامراي - هل أنكرت؟

- أنكرت كل شيء على الإطلاق - أكد براجنيك - في ذلك المساء قالت إنها لم تذهب إلى عشقيها ذلك المساء وجلست في المنزل، شاهدت فيلم رعب على "الدي في دي"، إنها تحب تلك الأفلام عن الأشباح المختلفة. تحبها كثيرًا. ولا يوجد شهود بالطبع.

- من كان بعد ذلك في منزل بيدوبني؟ ربما نسي إطفاء الضوء؟ لذلك رآه الحراس...

- تعرف أن ما تتفوه به هراء - قالت بيريزوفسكا بضجر - الحقيقة هي أنه عندما اتصلوا بتوميلينا يوصلوا إليها الخبر كانت نائمة في منزلها. لكننا لم نعلم عمومًا بوجودها إلا صباح ذلك اليوم عندما استجوبنا طليقته وأصدقاءه وزملاءه. قبلذاك، لم تبحث الشرطة ببساطة عن الفتاة.

كان براجنيك يجول حول المكتب مثل قطة، يتوقف عند الحائط، ثم يعود. يتكئ عليه. وها هو يقف أمام المتحاورين.

- مرة أخرى، من الناحية النظرية، يمكن الافتراض أن شخصًا آخر كان في منزل بيدوبني ذلك المساء. على الأرجح امرأة لا تعرفها عشيقته. لكن في كل هذا، لكي تفهم، هناك لحظة واحدة صعبة. منح المصرفي عشيقته شقة في كروشنا، لكنه في الوقت نفسه لم يعدها بأي شيء. وليس لديها التزامات تجاهه في المقابل. أكدت تمارا هذا أثناء الاستجواب بنفسها، وصرح آخرون بشيء مشابه. إذا أراد بيدوبني تغيير عشيقته، فلن يكون الانفصال مؤلمًا للغاية بالنسبة إليه. على الرغم من أنه خلال هذا الوقت، كما يقولون، تمكن من الارتباط بتمارا. ومع ذلك، أكرر، هذا لا يعني شيئًا على الإطلاق. ربما كانت هناك امرأة أخرى في المنزل. ولكن بعد ذلك نفترض أن سيارة قد توفرت لهذه المرأة. هل تتصور أن تفرّ من المكان؟ هل تعتقد أن شاهدًا على جريمة قتل قد يخاطر بالوصول إلى إحدى الضواحي في سيارة أجرة ثم يهرب من مكان الحادث في رحلة عشوائية؟

- إلى ماذا تلمحين؟ - شامراي لم يستطع المقاومة.

- إلى حقيقة أن تمارا توميلينا يمكن أن تظل الشاهدة نفسها التي شاهدت كيف حدث كل شيء، ولماذا حدث ومن فعل ذلك. ثم يمكنها الاتصال بالشرطة، ولا تريد لسبب ما أن تكشف هويتها، ثم تسترخي.

- إلى جانب ذلك، نحن على استعداد حتى لافتراض أنه كان بإمكان توميلينا الحصول على سلاح بطريقة ما، وتطلق النار على عشيقها بنفسها - تدخل النقيب.

- هل أنت جاد؟

- تماما. طوال هذا الوقت، تصرفت تمارا توميلينا بغرابة. تؤكد بعناد أنها لم ترَ شيئًا فحسب، بل لم تكن هناك أحد في المنزل في ذلك المساء. متى تقول أنها أتيت إليك بحكاياتها الخيالية؟

- لماذا على الفور حكاياتها...

- متى؟ - بالكاد خرج صوت كيرا، وومضت نظرتها عبر نظارتيها نحو شامراي.

- كتبت ذلك هناك في الإقرار...

- متى؟ - صفعت المحققة سطح الطاولة براحة يدها.

- منذ ثلاثة أسابيع. في الخامس من تشرين الثاني/نوفمبر.

- قتل بيدوبني في الرابع والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر. اختفت الفتاة أمس الخميس، في 20 تشرين الثاني/نوفمبر بعد نحو شهر من القتل. وفي الواقع، في اليوم الذي صدرت فيه صحيفتك الرائعة. وحقيقة أنها قابلتك مرتين يمكن تسمية ذلك حدثًا. لمعلوماتك، طوال هذا الوقت، في الغالب، كانت جالسة في شقتها، حتى أنها رفضت الحضور للاستجواب، قالت إنها كانت مريضة. وقد اضطررت لزيارتها عدة مرات. بدا لي أن تمارا كانت تخشى شيئًا ما. تخشى أن يحدث لها شيء؟

- على ما يبدو، - أكد فيكتور بسهولة - كانت خائفة من المنطقة الشاذة في بيدليسني.

16

يوم الجمعة، اليوم التالي لإصدار "حقائق لا تصدق"، كان يعتبر عطلة غير رسمية في مكتب التحرير. يمكن، بالطبع، القدوم إلى المكتب، والتجول في المكاتب، والتحدث إلى السكرتيرة، وتصفح الإنترنت. لكن قلة استفادت من هذه الفرصة. عادة ما يكون المكتب فارغًا كل يوم جمعة، باستثناء السكرتيرة، التي تسمي نفسها "مديرة المكتب".

كان اسمها كاتيا[18] هوها. انتقلت إلى جيتومير من إحدى القرى، من مكان ما بالقرب من كوروستيشيف. كانت كاتيا قريبة من بعيد لأحد مالكي الصحيفة، وبالتالي فهي تكاد تكون العاملة الوحيدة المؤمنة ضد البطالة في حالة حدوث أزمة عامة، كالأزمة التي تغزو الصحف. في القرية، حيث ولدت كاتيا هوها وعاشت حتى سن الثامنة عشرة، كان يُعتقد (ولا يزال على ما يبدو) أن السكرتيرة هي فتاة تمارس الجنس مع رئيسها في مكتبه مباشرة على الطاولة. لا يهم إن مارست الجنس في المكتب أو على الطاولة تحديدًا، المهم أن السكرتيرة تمارس الجنس مع رئيسها، وفي مقابل ذلك تحصل على راتبها، أما شهادتها في السكرتيريا فلا أهمية لها.. لأنها على أي حال لن تعمل في تخصصها. لأن السكرتيريا، كما يعتقدون في القرى القريبة من كوروستيشيف، ليس تخصصًا، ولكنها وسيلة لكسب لقمة العيش، ومنح رب العمل ما يريد وقتما يريد.

حصلت كاتيا هوها على وظيفة سكرتيرة، مع أنها لم تنه تعليمها وهي في الثانية والعشرين من عمرها. لكن لأن الناس في قريتها يعتبرون أن الفتاة التي تعمل في المدينة كسكرتيرة هي في الواقع عاهرة، فبعد حصولها على الوظيفة، أبلغت والديها أنها تعمل "مديرة مكتب". إذا أن كلمة "مكتب" في قريتها القريبة من كوروستيشيف مفهومة بفضل المسلسلات، فالناس هناك على الأقل يعرفون كيف يبدو مكان العمل الذي يسمى "المكتب". لكن معنى كلمة "مديرة" البرجوازية، التي كانت تتردد كثيرًا في المسلسلات التلفزيونية، لم يفهمها الجميع في قرية كاتيا هوها الصغيرة. على سبيل المثال، كان الأمر واضحًا لوالدي الفتاة أن "المديرة" هي كلمة مرتبطة مباشرة بالأعمال، فقد وظفها قريب يعمل أيضًا في مجال الأعمال، لذلك أدخل كاتيا في أعماله. لذا، فإن ابنتهم في جيتومير تقوم بشيء ما مرتبط بشكل مباشر بالأعمال.

سمع طاقم التحرير، بمن فيهم فيكتور شامراي، هذه القصة عدة مرات على مدار السنوات الأربع من وجود الصحيفة وكاتيا في مكتب التحرير. وكانت تضيف تفاصيل جديدة باستمرار إلى القصة. على سبيل المثال، وفقًا لأحدث المعلومات، اقتنع والدا كاتيا أخيرًا أن ابنتهما أصبحت "بزنس ومان" في جيتومير، وبات العديد من أقاربهما يرسلون وسطاء إليهما ويطلبون منهما إلحاق أولادهم بأعمال جيتومير. معظمهم الطلبات تأتي من البنات. الآن لم يعد بإمكان كاتيا هوها

الاعتراف أمام والديها أنها مجرد سكرتيرة عادية في مكتب تحرير الصحيفة، التي يقرأها نصف سكان قريتها. سيقول سكان القرية إن العاهرة خدعتهم، وأنها كانت تنتقل من رجل إلى آخر. هكذا أوضحت الفتاة سبب مأساتها. ولم يعرف شامراي هل يضحك على هذا أم لا. ربما لا، قرر. كان قراره مبنيًا على حادثة أخرى، فقد ظهرت زميلته السابقة فجأة في جيتومير. قبل ثلاث سنوات كانت قد غادرت للعمل في البرتغال، لم يسمع أحد كلمة منها، وكان كل من يعرفها مقتنعًا تمامًا بأنها بيعت في إطار العبودية الجنسية. يكتبون عن ذلك كثيرًا في الصحف، ويصرخون على شاشة التلفزيون. لكن الفتاة ظهرت فجأة، مكثت في منزلها مدة أسبوع. قالت إنها تستحق إجازة بعد ثلاث سنوات من العمل الجاد. وعندما سُئلت عن المكان الذي تمكنت فيه من الحصول على وظيفة، اكتفت بإجابة قصيرة: "في شركة للهاتف". ونطقت اسم الشركة بفخر، حينذاك فغرت أفواه صديقاتها وجيرانها حسدًا. "واو!". لذلك، بعد كلية الطب، بعد العمل بطريقة ما في المستشفى، ومن دون معرفة حتى لغتك الأم، ناهيك عن اللغة البرتغالية، احصل على وظيفة على الفور في مثل هذه الشركة واحتفظ بهذه الوظيفة في غضون ثلاث سنوات.. ومع ذلك، اقترح شامراي، بعد تحليل الموقف، على الرغم من أنه غير متوقع، ولكنه منطقي تمامًا: يمكن أن زميلته في المدرسة انتقلت إلى البرتغال للعمل حقًا في تلك الشركة المعروفة. لكن ربما كانت عاملة تنظيفات في الشركة. لكنها بطبيعة الحال لن تتلفظ بعبارة "عاملة تنظيفات"، ربما لو سئلت لأجابت بأنها تعمل مساعدة لمدير شؤون الموظفين. لم يختبر فيكتور صدق نظريته أبدًا. ومع ذلك، سأل بشكل عابر: أي وظيفة شغلت في تلك الشركة؟ إلا أنه بدلًا من الإجابة، تلقى نظرة خارقة حارقة. فهم كل شيء، ولم يعد للحديث عن الأمر مرة أخرى. لماذا تذكر شامراي كل هذا الآن، لم يستطع فهم اختفاء توما توميلينا وارتباطه بالمنطقة الشاذة، ولم يستطع أن يفسره لنفسه. لكن في كل مرة ما إن يرى السكرتيرة كاتيا حتى تطل قصة زميلته تلقائيًا من أقبية الذاكرة.

من مكتب المدعي العام، ذهب فيكتور إلى مكتب التحرير. حملته قدماه إلى هناك. لم يرغب في العودة إلى منزله بعد ما سمعته، لكنه كان بحاجة إلى الجلوس واستيعاب المعلومات التي تلقاها. حبس نفسه في مكتبه، يشرب الشاي، ويتصفح الإنترنت، ولا يقرأ النصوص التي يصادفها، ويحاول تجميع كل ما يدور في رأسه. ولكن مهما حاول جاهدًا، فإن أكوام الأفكار لم تصمد. حاول شامراي التركيز والبدء على الأقل في مكان ما. سأل محرك البحث عما هو معروف عن هريهوري بيدوبني، فتلقى مجموعة كاملة من الروابط، معظمها، كما توقع مرتبطة بقتله. لم يكتشف فيكتور أكثر مما أخبرته المحققة والنقيب. ثم أعطت محركات البحث عشرات الأشخاص الذين يحملون اسم تمارا توميلينا، حتى أنه عثر على مديرة وكالة لعارضات الأزياء في كراسنويارسك اسمها تمارا توميلينا، ولديها موقع شخصي على شبكة الإنترنت. لكن وسائل الإعلام في مقاطعة جيتومير لم تذكر الفتاة المقصودة، حتى فيما يتعلق بوفاة المصرفي، عشيقها.

أخيرًا، قام فيكتور شامراي بإيقاف مشغل الإنترنت، ترك الكومبيوتر وذهب إلى النافذة ونظر إلى المطر الخفيف وهو يتألق ببطء. فكر برسم شيء على الزجاج المبلل بإصبعه، فلنبدأ من البداية. بالنسبة إليه، بدأ كل شيء مع ظهور توما توميلينا. جاءت لتروي قصة المنطقة الشاذة. حتى أنها قامت بتسمية إحداثياتها الدقيقة. علاوة على ذلك: لقد تحقق بنفسه من وجود هذا المكان بالفعل. ما إذا كان هناك أي شيء مريب لا دليل عليه. إلا أن معظم ما كتب عنه لمدة أربع سنوات لا يمكن وصفه بالحقيقي، حتى لو كان لا يمكن تصوره. للتحقق من مدى جنون المصرحين، كان الكتاب

والمحررون يستدعونهم بشكل غير رسمي إلى مكتب التحرير، ويتخذون من تصاريحهم أساسًا للتقارير. فإذا كان نصيب الحقيقة في كل حالة واحد من عشرة، يمكن وصفها بالحقيقية أيضًا. هل من الممكن الوثوق بقصة تمارا توميلينا بشأن المناطق الشاذة؟ ممكن. بتعبير أدق، فإن حجم الـ "نعم" هنا أكبر من الـ "لا". فقد كان شامراي نفسه هناك ورأى كل شيء. طبعا لم تحدث معجزة أمام عينيه إلا أن الجو الذي ساد في قرية بيدليسني المهجورة منذ عقدين من الزمن، لم يكن ضاغطًا فحسب بل كان مخيفًا. أي شيء يمكن أن يحدث هناك.

بعد تطوير موضوع الظواهر الخارقة والتعامل مع العالم الآخر الموازي لمدة أربع سنوات، عرف فيكتور شامراي من تجربته الخاصة أنه ليس كل ما تكتب عنه الصحف وما شابه هو كذب صريح. لذلك، يمكن أن تعبر تمارا توميلينا عن مشاعرها الحقيقية. وأنها استشعرت الخطر. هناك حاجة إلى مزيد من التفاصيل هنا. عبر زجاج النافذة المبتل، رافق فيكتور إحدى السيارات بعينيه، وضع مرفقيه على حافة النافذة، نظر إلى تلك السيارة التي كانت تسير على طول شارع تشرين الثاني/نوفمبر الكئيب.

يوجد خطب ما. لم تخبره تمارا ببعض الأشياء المهمة بالنسبة إليها. بالضبط "لم تصرح"، لأن المسألة لا تتعلق بقصتها ربما. لم تخبره الفتاة بأنها عشيقة المصرفي. إذ كان المصرفي الذي قُتل في ظروف غامضة في منزله يعيلها. قُتل في المنزل نفسه، الذي كانت تردد عليه الفتاة في المساءات بسيارتها التي ابتاعها لها. لكن هل كان عليها أن تخبره بكل هذا؟ هل يجب أن تبلغ أول شخص تقابله من أين حصلت على السيارة؟ من غير المرجح. إنها حياتها الشخصية لا علاقة لها بالمشكلة التي حملتها إلى الصحافي. لا علاقة لها بالمنطقة الشاذة. هذا كل ما ينبغي أن يفكر فيه... مسح الزجاج بحركة حادة من راحة يده، وعاد إلى الطاولة، ونقر زر الفأرة بإصبعه.

هل كانت تمارا توميلينا في المنزل عندما حدث القتل، أو كان هناك يعرف بالتفصيل روتين المصرفي اليومي وعاداته، واستخدم معرفته بنجاح ووجهت أصابع الاتهام إلى العشيقة. دع الشرطة تكتشف ذلك بمؤازرة تحقيق مكتب المدعي العام. إلا أن الحقيقة غير مشروطة بمقتل عشيق تمارا، فالفتاة كانت خائفة ومصدومة. على مدار أربع سنوات، أتيحت لفيكتور العديد من الفرص للتأكد من أن الصدمة يمكن أن توقظ المخاوف المخبأة لفترة طويلة في العقل الباطن. يمكن أن يؤدي الخوف إلى تفاقم مرض عقلي عفا عليه الزمن، أو على الأقل يتسبب في انهيار الجهاز العصبي. عواقب كل من هذه العمليات لا يمكن التنبؤ بها على الإطلاق. خوفًا من حادثة القتل الغامض لعشيقها أو ربما لأحد أفراد أسرتها، كان من الممكن أن تعاني تمارا من انهيار عصبي نتيجة الصدمة، وتذكر المنطقة الشاذة في قريتها الصغيرة، حيث لم تكن حتى من قبل. وفقًا لذلك، يمكن أن تشعر بالرغبة في التوجه إلى ذلك المكان، وكأن المكان يستدعيها.

سمع شامراي غير مرة أن المرء إذا أراد التوقف عن الخوف من شيء ما، عليه أن ينظر إلى ما يخاف منه. عليه أن يمسح الخوف من المجهول.. كالظلام تحت السرير. بمجرد أن يضيء المرء كشافًا تحت السرير سيختفي الظلام والمجهول ومعهما المخاوف. يبقى الغبار الرمادي فقط، والذي تسهل إزالته بمكنسة أو شفطه بمكنسة كهربائية. من يدري، ربما تعرف توما هذه القاعدة أيضًا، فقررت التأكد من عدم وجود مناطق شاذة.. أن تنظر بعينيها إلى بيدليسني الملعونة المنسية،

أن تمس بيديها جدران المنازل المتهالكة المتقشرة الطلاء. فكان على توميلينا أن تجلس خلف عجلة القيادة... توقف عن ذلك. التالي هو الظلام. إذ لم يؤكد أحد أن تمارا ذهبت إلى المنطقة الشاذة واختفت هناك. والشرطة تبحث عن شاهدة قدمت تعهدًا كتابيًا بعدم المغادرة، ولا يُعرف حتى ما إذا كانت الشاهدة شاهدة فعلًا أم لا، وما إذا كانت تمارا رأت شيئًا، أو أنها في ذلك المساء لم تكن بالفعل في منزل بيدوبني. وحده فيكتور شامراي، يظن بل هو على قناعة بأن اختفاء الفتاة مرتبط بانهيارها العصبي الشديد وتلك المنطقة الشاذة، ويردد ذلك في ذهنه مئات المرات، دعها وشأنها... لكن بطبيعة الحال، تبدو القصتان متصلتين. فلو لم تحدث جريمة قتل لما اختفت تمارا. لو لم الجريمة لما نجت الفتاة من الصدمة، ولما استدعاها العالم الموازي. خلص!

ضغط فيكتور قبضتيه. شعر ببألم في رأسه.. ومن مكان ما هناك، من أعماق حفرة عميقة، سمع قعقعة سلسلة، وزمجرة كلب، وصراخه. يكفي. دع رجال الشرطة يكتشفون الأمر. أين المسكّن؟

17

عثروا على تمارا توميلينا في صباح اليوم التالي. من الواضح أنهم لم يكونوا مستعجلين في نقل الخبر إلى كاتب مجلة الغرائب. علاوة على ذلك، بحلول يوم الأحد، عندما اتصل النقيب براجنيك بشامراي، لم تكن هناك حاجة لوجوده أو مساعدته. يمكننا أن نقول إن فيكتور كان محظوظًا إذ حصل على إمكانية الوصول إلى معلومات فريدة تقريبًا. ويمكننا أن ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى: كان سيئ الحظ، وتوقفت عجلة الحظ بالنسبة إليه بعد تلك المحادثة في المستشفى. لو لم يجر تلك المحادثة، لما تسلسلت بقية المشاكل في حياته. لن يزمجر الكلب بصوت أعلى، ولن تعلو قعقعة السلسلة. لم يكن عليه أن يستبق الأمور، فقد كان كل شيء مرتبًا كما في أي مسلسل. عندما انتهي كل شيء، حاول فيكتور شامراي إعادة إنتاج أحداث الأيام الأخيرة من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، وهو يخوض الضباب.

في الواقع، لم يحدث شيء خاص حين التقى تمارا في المستشفى. مساء الجمعة، اتصل فيكتور بمدير التحرير، وأخبره في كلمتين عن تطور غير المتوقع يتعلق بالأحداث الموصوفة في مقالته الأخيرة حول المنطقة الشاذة، وعبر له عن رغبته في كتابة نص صغير حول الموضوع قيد المتابعة في المساء نفسه. لكنه استقر أمام شاشة التلفاز. هكذا أمضى يوم السبت أيضًا.

يوم الأحد، رد على هاتفه المحمول في وقت مبكر. أتاه صوت النقيب براجنيك بأن عليه أن يبقى في المنزل إلى أن يعيد الاتصال به. وهكذا، اكتشف شامراي أنه أمس السبت، 22 تشرين الثاني/نوفمبر، عُثر على تمارا توميلينا على الطريق السريع المؤدي إلى أوفروتش ليس بعيدًا عن ذلك الحاجز، الذي عبره مع زملائه في مكتب تحرير "حقائق لا تصدق" قبل مدة غير بعيدة في سيارة تابعة للصحيفة. بحلول المساء، بعد البحث على خريطة على الإنترنت، اكتشف فيكتور وهو يتتبع خطًا مستقيمًا عبر الغابة، أن المكان الذي ظهرت تمارا المفقودة فيه فجأة يقع على بعد خمسة عشر كيلومترًا من بيدليسني. من المنطقة الشاذة.

18

- لم يفهم سائق الشاحنة من أين ظهرت. يقول: كأنما خرجت من تحت الأرض. أو من الفراغ.

لم يرفض الكابتن براجنيك الشاي الأخضر المقدم. طلب فقط ألا يخمر في إبريق الشاي لكن مباشرة في الكوب. أن يُسكب الماء المغلي فوقه ويُغطى بصحن. لم يكن في عجلة من أمره لشربه، فقد رغب في أن يكون الشاي جيدًا وقويًا، لكن ليس حارًا لدرجة الألم بل دافئ. وأوضح: أعاني من ألم في الأسنان.

- ما الأمر؟ - حثه فيكتور على متابعة المحادثة بأدب.

- مينا الأسنان لدي حساس. لا أستطيع شرب أي شيء ساخن. لا البورش19 ولا الشاي، باختصار الأمر غير مهم. لقد خربت أسناني في الجيش، كنا نشرب من تلك المياه... - لوح النقيب بيده.

- أي مياه هي التي تفسد مينا الأسنان؟

- جمهورية أفغانستان الديمقراطية - أوضح براجنبك - تذكرت أيضًا... هذا الربيع، أن عشرين عامًا فقط مرت على عودتي من هناك. صدقني، الألم ليس كألم خدش بل أقسى. من الأفضل لو أطلقوا النار علي على أن أعاني من هذا الألم. الآن. قال الطبيب: إذا بدّلت كل أسناني. ممكن؟ كلها. اثنان وثلاثون... حسنًا، تسعة وعشرون، حسنًا...

- لماذا تسعة وعشرون؟

- طار واحد عندما ضربني الأولاد عندما كنت في المعهد. قمت بشيء غبي لم أعد أذكره... اثنان اقتلعا لاحقًا، عندما ذهبت إلى العمل. أنا، كما تعلم، بدأت بدورية. كنا نخوض عراكات مع السود20 في السوق في مكان ما في أوائل التسعينيات، وحصل ما حصل. نعم، حسنًا، كل هذا غير ذي صلة بموضوعنا... - لمس النقيب الكوب بكفه، وتأكد من أن حرارة الشاي تكاد تغدو مناسبة، وسحب علبة السجائر - ممكن؟

- لحظة - فتش شامراي ووجد منفضة سجائر قديمة على الخزانة، أبقاها ذكرى من أيام الشرب والتدخين.

- فلنرسم المشهد من كلمات سائق الشاحنة ستيبان كوفالتشوك. وهي تبدو هكذا. إنه سائق شاحنة، كان عائدًا من بيلاروسيا. ذهب بحمولة إلى هناك عاد بأخرى. النقل البري لم يعد مغريًا لأي شخص في أيامنا هذه. على الطريق، توقف ستيبان كوفالتشوك ليتبول. كان رفيقه، سيرهي زايتشينكو، نائمًا. التوقف للنوم ليلًا وتأخير وصول البضائع ليس مربحًا اقتصاديًا في الوقت الحالي، لذلك قاد زايتشينكو الشاحنة ليلًا، وحل محله كوفالتشوك في الصباح. أكثر من ذلك، لم يكن هناك شهود على الظهور غير المتوقع لتوميلينا في ذلك الوقت على الطريق - نفض النقيب رماد سيجارته، لمس الكوب مرة أخرى. قرر أن ينتظر قليلًا بعد. لم يقل شامراي شيئًا، وبعد دقيقة تابع النقيب - باختصار، ذهب السائق إلى الشجيرات الأقرب وقام بعمله، زرّر سرواله وعاد. الفتاة كانت مستلقية على الأسفلت الموحل والقذر في منتصف الطريق. كرر كوفالتشوك، حتى أنه كتب ذلك: ظهرت المواطنة من العدم، أو كأنه من الجو.

- من عالم موازٍ - قال فيكتور.

- هل أنت جاد؟

- أين اختفت؟ لذلك لابد أنها أتت من مكان ما.

- اسمع عزيزي. أنا أتحدث معك بجدية الآن...

- أنا جاد جدًا. ليس ذنب أحد أن معظم الناس وخاصة الأشخاص مثلك، لا يؤمنون بوجود عوالم أخرى غير عالمنا. هل تذكر "الخيمتان الحمراء والبيضاء"21 على الأقل...

- عن أي خيمتين تتحدث؟ هل الهنود يعيشون هناك؟ أين هنودنا بحق الجحيم؟

- كل شيء واضح - تنهد شامراي - أنتم بصدد فتح مثل هذه القضايا. لهذا السبب وجد العميل كوبر قاتل لورا بالمر الذي آمن بوجود عوالم متوازية ودخلها بنفسه مخاطرًا بحياته وصحته.

- من هو هذا العميل؟

- لا يهم - لوح فيكتور بيده - انس الأمر. سأخبرك في وقت آخر. من الأفضل أن تشرب الشاي، يبدو أنه من النوع الذي تحتاجه.

لمس النقيب الكوب مرة أخرى، أومأ برأسه، وأزال الصحن، ونفخ فيه وأخذ رشفة، وأومأ برأسه مرة أخرى. وتابع:

- نعم. لذلك، هرع كوفالتشوك إلى الفتاة. لقد قلبها على ظهرها. هي، على حد قوله، فتحت عينيها على الفور، وسألته بصوت غريب أين هي، ما الذي حلّ بها، ومن هو. ساعد السائق الفتاة وأخبرها أين هي. في الوقت نفسه، كانت ترتدي ملابس لائقة. لم تتأذ الفتاة، لا توجد كدمات على جسمها. ملابسها على ما يرام. صحيح أنها اتسخت قليلًا. وسألت أيضا عن مكان سيارتها الـ "بيجو

405"، فضية اللون، عمرها عشر سنوات، في حالة عادية. لاحظ أنها سمّت ماركة السيارة وأوصافها بوضوح.

- ما المدهش في ذلك؟ قدت سيارة ذات مرة، مع أنها كانت "جيغولي"، إلا أنه يمكنني ذكر كل خصائصها التقنية بسهولة، حتى لو أقيظتني وسألتني عنها في منتصف الليل.

- أنت رجل يا شامراي وهي امرأة. علاوة على ذلك، كما اكتشفت، ليست مولعة بعالم السيارات وتفاصيله، لا تميّز بين العلامات التجارية المختلفة للبنزين. لم يقدم لها عشيقها السيارة التي تحبها بل التي اعتبرها ضرورية. ومع ذلك، لم تنس مواصفات السيارة.

- نعم، فليكن.

- وثم.. تذكرت اسمها. قالت اسمها لكوفالتشوك.. مواصفات السيارة، عنوان منزلها في جيتومير، رقم هاتف المصرفي هريهوري بيدوبني. لكنها لا تتذكر إطلاقا أنه مات! طلبت من السائق الاتصال ببيدوبني على الفور حتى يأخذها بنفسه أو يرسل شخصًا ما. هل تفهم؟

- ليس بالضبط - كذب شامراي، فقد بدأت الأمور تتوضح شيئًا فشيئًا.

- تمارا مقتنعة بشدة بأننا في شهر تشرين الأول/أكتوبر. وأننا في التاسع عشر أو العشرين منه. لا تعرف شيئًا عن مقتل بيدوبني.

- هكذا! - قال شامراي متعجبًا.

- نعم - تناول النقيب رشفة أخرى من الشاي - كوفالتشوك، كمواطن ذي ضمير، سلّمها في جيتومير إلى أول دورية للشرطة. هي الآن في المستشفى الإقليمي تحت المراقبة. يجرون بعض الفحوصات لها. ما زالت تطالب بالاتصال ببيدوبني. كان لا بد من تذكيرها بأنه قُتل. ثم حدثت هستيريا للفتاة، وحُقنت بجرعة كبيرة من المهدئات، ونامت حتى الصباح. اليوم، عندما عادت إلى وعيها، هدأت قليلًا. تقول إنها لا تتذكر أي شيء.

- لا شيء على الاطلاق؟

- حسنًا، كيف.. على الإطلاق؟ أقول لك تتذكر اسمها وكل شيء آخر عن نفسها. تتذكره تمامًا. لكن كل ما يتعلق بالشهر الأخير من حياتها، بدءًا من النصف الثاني من شهر تشرين الأول/ أكتوبر، تم محوه تمامًا من ذاكرتها. نشر براجنيك يديه.

- نعم، نعم - حك شامراي ذقنه. انتابته رغبة مفاجئة في التدخين، لكن سرعان ما أخمدها، مركزًا على ما سمعه من نقيب الشرطة. ثم سأل: هل وجدت السيارة؟

- ها؟ لا - رفع النقيب برأسه أن لا.

- كيف انتهى بها الأمر هناك في وضح النهار؟

- حتى الآن، لا أحد يعلم. تمارا الخاصة بك...

- بي؟ لماذا؟

- حسنًا، فلتكن تمارا غير الخاصة بأحد. لا يهم. قلت لك إنها لا تتذكر أي شيء. على الأقل هذا ما تقوله. لكن هناك مسألة واحدة... مسألة حقيقية إلى حد ما. لست متأكدًا من أن لدي الحق في إخبارك. ولكن بما أننا نلجأ إليك لطلب المساعدة، فليكن...

- للمساعدة؟ فيمَ يمكنني...- أوقفه براجنيك بإشارة من يده أي لاحقًا.

- كما سمعت، لم تتأذ تمارا جسديًا. لا توجد إصابات، لا توجد علامات اغتصاب، كما أن عظام سليمة. لكن في الفحص الدقيق، عثروا شيء. هنا - وضعت النقيب قدح الشاي، ورفع يده ووضعها على مؤخرة رأسه، وحركها إلى الأعلى قليلًا - وجدوا هنا ورمًا دمويًا. ليس كبيرًا. لكن يبدو أنها تلقت ضربة على رأسها. خلص الأطباء إلى أن ضربة على هذه النقطة المحددة من الرأس، نظريًا، قد تؤدي إلى فقدان الذاكرة الجزئي. فقدان الذاكرة ليس كليًا. متى تعود الذاكرة؟ الشيطان يعلم. لهذا السبب أتيت إليك. نحتاج إلى مساعدتك.

20

كانت تمارا في غرفة منفصلة. كانت الغرفة تحت الحراسة، لكن براجنيك أخبره أن هذا لن يستمر لمدة طويلة. استطاع أن يقنع قيادته بأن المواطن توميلينا شاهدة مهمة جرت محاولة اختطافها وقتلها. هنا، أصبح وجود ورم دموي، وبالتحديد نتوء على الجهة الخلفية من رأسها، حجة قوية. خصصت غرفة منفصلة للشاهدة المهمة، ووقف على بابها حراس، تتبدل مواعيد حراستهم اثنتي عشرة ساعة.

- إذا تعرفت إليك يا فيكتور، فالأمور ليست سيئة للغاية - أوضحت المحققة لشماراي، بعدما التقت به وببراجنيك في ردهة المستشفى ورافقهما إلى الجناح. لقد قابلتك مرتين. بالنسبة إلى تمارا، هذا أمر فريد، فبعد مقتل بيدوبني، كما أخبرتك من قبل، حاولت ألا تغادر المنزل ولم تقابل أحدًا، وتحدثت فقط عبر الهاتف.

- على أي حال، أما زالت تعتقد بوجود المنطقة الشاذة؟

- ما شأن المنطقة الشاذة هنا؟ - لم تخف بيريزوفسكا انزعاجها - مرة أخرى مع حقائقك التي لا تصدق!

- يبدو أنه عُثر على الفتاة في مكان ليس بعيدًا جدًا عن بيدليسني - أوضح شامراي بصبر - يمكنك إلقاء نظرة على الخريطة، لكنني ذهبت إلى هناك، على طول ذلك الطريق السريع. طريق آخر، على الأقل في اتجاه بيدليسني، ببساطة غير موجود. هناك طرق أخرى، لكنها لم تستخدم منذ مدة طويلة. من يرغب في الذهاب إلى الأراضي المحظورة؟

- حسنًا، لماذا كل هذا؟

- الأمر بسيط جدًا ومنطقي. تمارا مصابة بعصاب، ويبدو لها أن بيدليسني تناديها. وفي لحظة جميلة أو بشكل أدق، لحظة مروعة، قفزت واندفعت إلى تلبي نداء بيدليسني، وصلت إلى المنطقة الشاذة حيث اختفت...

- مع السيارة؟ - خرج صوت بيريزوفسكا ساخرًا.

- نتحدث عن السيارة لاحقًا. بعد يوم، ظهرت تمارا كأنها خرجت من الأرض أو من الجو. على حد علمي، هناك شهود كيف سارعت للخروج مذعورة، وكيف ظهرت نفسها فجأة. أخيرًا. الحجة الأخيرة أن ذاكرتها ممحاة جزئيًا. قد تكون المنطقة الجيوباثية تحرم الشخص من جزء من

الذكريات التي يريد الشخص نفسه التخلص منها. أمور تتعلق بالجهاز العصبي. ليس من الصعب شرح ذلك؟

- تتحدث كما تكتب - وافقته بيريزوفسكا - لكنك نسيت أمرًا. التعليم القانوني العالي وعشرون عامًا من ممارسة التحقيقات الاستقصائية لا تسمح لي بالاعتقاد بالمناطق الشاذة. لكنني أؤمن بكل سرور بالكدمة على مؤخرة رأس تمارا. لذلك، بشأن الذاكرة الممحاة جزئيًا، كما قلت، يسهل عليّ تصديق أن هذه الذكريات قد سلبت منها. نعم. ها قد وصلنا. دعنا ندخل بدون حكاياتك الخيالية، من فضلك.

21

شعر شامراي بالقلق عبثًا، فقد توقع رؤية نصف جثة. إلا أن تمارا بدت بصحة جيدة، على الرغم من أنها مرهقة بشكل واضح. الانتفاخ تحت عيني الفتاة كان أول ما رآه على وجهها الجميل. صحيح أنه لاحظ تلك الظلال الرمادية أثناء لقاءهما الأول، لكنها أصبحت الآن واضحة وتلحظ على الفور. بدا له كذلك أن الفتاة فقدت بعض وزنها منذ لقائهما الثاني في ذلك المقهى بالقرب من ميدان الكاتدرائية. نعم، كانت تمارا متعبة وتبدو خائفة، إلا أنها على قيد الحياة وبدون أن تصاب بأذى. عندما دخل الثلاثة الجناح، المحققة والنقيب والصحافي، كانت الفتاة مستلقية مع وسادة تحت ظهرها، تتصفح مجلة سميكة. لاحظ، أن المجلة ليست جديدة، فمحتويات هذا النوع من المجلات، كما هو معلوم، لا يسري عليه قانون التقادم.

- كيف حالك تمارا؟ - سألتها بيريزوفسكا بمرح.

- اليوم أفضل... بعد الحقنة...

بدا لشامراي أن الفتاة تباطأت في إجابتها بعض الشيء. تفحصت إلى زوارها، نظرت أولًا إلى كيرا، ثم إلى النقيب، وبعد ذلك فقط إلى فيكتور. حتى عندما كان واقفا عند الباب، على بعد نحو مترين من سريرها، شعر باللامبالاة والتامة في عينيها.

- تمام. ألم تتذكري شيئًا؟ - سألها براجنيك.

- ليس بعد... ما زلت لا أصدق...

- اهدئي.. بهدوء - أوقفت بيريزوفسكا أعراض الاقتراب من الهستيريا بإشارة - هناك زائر آخر معنا. ربما تتذكرينه؟

شعر شامراي أنه سيكون من المناسب أن يتقدم خطوة إلى الأمام. ضاقت عينا تمارا. اقترب فيكتور، ووقف بجانب سريرها، ووضع يداه على الدرابزين. نظر أحدهما إلى الآخر لبرهة ثم أغلقت الفتاة عينيها، وقلصت عضلات وجهها. قال شامراي: - مساء الخير، تمارا - فتحت الفتاة عينيها ونظرت إلى فيكتور عن كثب، كما لو كانت تحاول تذكر شيء ما.

- هل تذكرينني؟

- ربما سأتذكر... هل تقابلنا؟

- نعم.

- منذ مدة طويلة؟

- منذ أسبوع. حسنًا، ربما أكثر من ذلك بقليل.

- أين؟

- جئت إلى مكتبي.

- أين تعمل؟

تحولت كيرا بيريزوفسكا وإلى جانبها النقيب براجنيك إلى صنمين حجريين. تجمدا ولم ينبسا ببنت شفة، محاولين عدم قطع التواصل الذي يحاول شامراي إقامته مع الفتاة.

- أعمل في صحيفة... في هذه - أدخل فيكتور يده في جيب سترته وأخرج منها عددًا مطويًا مرتين من "حقائق لا تصدق" حيث مقالته عن المنطقة الشاذة في بيدليسني، وفيها صورة توما توميلينا واضحة فوق النص. طوى شامراي الصحيفة مظهرًا المقالة وسلمها إلى الفتاة التي مدت يدًا مرتجفة وأمسكت بها.

- أنت كتبتها.. - قرّبت تمارا الصحيفة من وجهها مثل عجوز قصيرة النظر. ثم وضعتها على صدرها، ووصلت إلى الجانب الأيمن من طاولة السرير، تلمست مرآة صغيرة مستديرة بأصابعها، نظرت فيها. أمالت رأسها إلى الجانب وتفحصت وجهها في المرآة لبعض الوقت. ثم التقطت الصحيفة من جديد، فتحت المقالة أمام عينيها ونظرت فيها - نعم، أنا... - اعترفت أخيرًا - مكتوب هنا: صورة جورا سافيتش. هذا أنت.

- لا يوري سافيتش مصوّرنا، نسميه جورا. اسمي فيكتور، واسم عائلتي موجود هناك أيضًا، حيث وقعت المقالة.

- آه، فيكتور.. شامراى صح؟ - انتبهت توميلينا.

- نعم سيدتي. ألا تتذكرين؟ حاولي. لقد أتيت إلى مكتبي، وأخبرتني عن بيدليسني، وكيف باتت تدعوك إليها، وكيف يختفي الناس هناك، ثم أنا وأنت...

فجأة، أوقفته تمارا، لوحت بيديها فأسقطت الصحيفة التي وقعت بجانب السرير. مالت توما على جانبها، وأخفت وجهها بين يديها، وبدأ كتفاها يرتجفان.

- أأطلب المساعدة من الممرضات؟ - نظرت المحققة نحو الباب، لكنها لم تتحرك فهزت رأسها متأهبة للحظة حقيقية على وشك أن تحلّ.

أخيرًا، نهض توما مرة أخرى وجلست على السرير. باتت تنظر إلى شامراي، ولكن بنظرة مختلفة تمامًا.

- نعم. تذكرت...

- كل شيء؟! - هتف براجنيك فورًا.

- ليس كل شيء - مدت توميلينا يدها نحو فيكتور - هذا فقط... أنت... أريتني هذه الصحيفة، وكان الأمر كما لو أن شخصًا ما ضربني على رأسي...

- من ضربك على رأسك؟ - لم تستطع المحققة المقاومة - أين؟ متى؟

- كل شيء مبهم - استمرت توما في النظر إلى شامراي. وصارت تتلمس رأسها بيدها- مظلم. لكني الآن أتذكره. فيكتور... جئت إليه عندما لم يعد بإمكاني تحمل ذاك النداء في رأسي...

حملقت كيرا ببراجنيك، وجمد كل منهما ينظر إلى الآخر.

- إذن، هناك نداء كما تدعين؟

- لماذا هذه الـ "كما تدعين"؟ - ظهر تحدٍ في صوت تمارا - كنت هناك، في بيدليسني... في المنطقة الشاذة... لا يمكنني شرح ذلك، كان لدي شيء ما ينبض تحت الجمجمة.

- لماذا أتيت إلى الصحيفة؟

- إلى أين يجب أن أذهب؟ كان هذا تحديًا بالنسبة إليّ - أأذهب إلى الشرطة مع مخاوفي؟ إلى طبيب نفساني؟ انا لست مريضة! لقد شعرت بشيء ما. الآن لا أتذكر كل شيء لكني أتذكر بالضبط. ها هو - مدت يدها في اتجاه شامراي - لقد اكتشف شيئًا هناك وشرح لي أمرًا ما. لكن لم يتوقف شيء. تستمر بيدليسني بجذبي إليها. هذا كل شيء.

في تلك اللحظة، لاحظ شامراي أن المحققة كان تحمل في يدها جهاز تسجيل. أسف على الفور لأنه لم يفعل ذلك، على الرغم من أنه يعتمد ببساطة على ذاكرته، إلا أن مادة كهذه ينبغي ألا تضيع.

- أخبريني بما حدث في ذلك المساء، تمارا - سألتها بيريزوفسكا بهدوء.

- متى؟

- عندما أستمعت إلى النداء، كما تقولين، وما عدت تحتملينه.

- نعم - أغمضت توما عينيها للحظة من جديد. أتذكر، وإن كان ذلك بصعوبة. كان مساء، كان الوقت متأخرًا بالفعل. خرجت من الشقة بسرعة، جلست خلف مقود سيارتي، وابتعدت...

- إلى أين؟

- ظلام - كانت الفتاة تحاول بكل ما لديها من طاقة أن تتذكر - ثم رأيت شيئًا. على الرغم من الظلام. أنا على الطريق. غابة... أشجار... طريق... توقفت. أرى القمر. أرى منازل... بوضوح الآن. صفوف من المنازل. قديمة، مخيفة، مثل البيوت المسكونة...

- بيدليسني؟ - سألها شامراي.

- ربما... ذهبت إلى هناك...

- هل كنت هناك من قبل؟ - سألها النقيب بسرعة.

- مطلقًا. ماذا أفعل هناك. إنها بلدة ميتة...

- كيف وجدت الطريق؟ - سألتها بيريزوفسكا.

- ليس لدي أي فكرة... ربما، البلدة قادتني إليها... أفهم، الآن، يبدو الأمر... لكن لا يمكنني الشرح خلاف ذلك...

- حسنا، حسنا، رأيت المنازل، ثم ماذا؟ - تابع براجنيك.

- ترجلت من السيارة. مضيت قدما. وخلص.

- خلص؟ - سألها المحققان معًا.

- خلص. ثم استيقظت من البرد. رأيت أنني مستلقية على الرصيف. قربي رجل مجهول. ثم أتيت وقلت لي إن هريشا قد قُتل... - اهتز كتفا الفتاة مرة أخرى.

- لا بأس، لا بأس، كل شيء سيكون على ما يرام - تحدثت بيريزوفسكا بصوت معتدل كما بدا لفيكتور، بل بصوت ميكانيكي بعض الشيء - الآن حاولي أن تتذكر ما حدث في ذلك المساء.

انتبه شامراي. نعم، هكذا تجري الأمور... فهم خطة كيرا التي لديها ما يقرب من عشرين عامًا من الخبرة كمحققة. فكر أنها إذا نجحت، فهو مستعد لتغيير رأيه بشأن وكالات إنفاذ القانون الأوكرانية.

- لقد أخبرتك بالفعل عن ذلك المساء - رمشت عينا تمارا.

- لا - ردت بيريزوفسكا بصبر - لقد تذكرت مساء آخر، عندما هرعت إلى بيدليسني الملعونة، التي لا نعرف ما مصيبتها. الآن، تذكري تلك الليلة التي قُتل فيها صديقك. هريهوري بيدوبني. نعم، ماذا حدث هناك، تذكري؟

اتسعت عينا تمارا توميلينا.

- لا أتذكر أي شيء. لاشيء على الاطلاق. ظلام. رأسي يؤلمني - توقفت لبره - اسمعي... اسمعي، لقد تذكرت ما تذكرته للتو. امتلأت فجوة في الذاكرة بعدما أحضرت إلي هذا الرجل - التفتت تجاه فيكتور - تذكرت ما تذكرته. أرجوك افعلي شيئا! أحضري لي شخصًا آخر، ربما سأتذكر شيئًا مرة أخرى. لا أستطيع أن أفعل ذلك. لا استطيع! لا استطيع! رأسي سينفجر. لا أستطيع!

أصيبت الفتاة بنوبة هستيرية. انقبضت على السرير، بدأت ترتعش بكامل جسدها، ضاغطة على رأسها بيديها. أومأت المحققة برأسها إلى براجنيك، الذي غادر الغرفة على الفور، وخلال لحظات دخلت الممرضة مع حقنة.

- فلنذهب - لم يسأل النقيب بل أمر شامراي بالخروج من الغرفة.

22

لم يصل أحد إلى نتيجة. شكر المحققان فيكتور بعبارة، ولم يعيداه إلى المنزل. سأل ماذا يفعل. فكان الجواب: ما يمكنه فعله قد قام به بالفعل. فقد تذكرته الفتاة. لذلك، ليس كل شيء بهذا السوء. أصبح مسار العودة التدريجية للذاكرة معروفًا، وسيتبع التحقيق هذا المسار جنبًا إلى جنب مع الطب. وهو، فيكتور شامراي، ليس حتى شاهدًا في هذه القضية. بما أنهم كذلك، فليذهبوا إلى الجحيم. قرر الصحافي، واعتبر أن هذا الأحد من أسعد الأيام في حياته. إذ أن قصته عن المنطقة الشاذة في بيدليسني لم تحظ بمجرد متابعة غير متوقعة، بل حظيت بتأكيدات فعلية. نادرًا ما تحدث مثل هذه الحالات في عمل شامراي، وهذا ليس مقتصرًا عليه وحده، بل على كل كتّاب "حقائق لا تصدق" في ما يرتبط بالعالم الموازي.

مرّة، هرع زميله كوستيا داخنو إلى حدود مقاطعتي جيتومير وريفني، حيث اصطاد صيادون محليون، كما عرفوا عن أنفسهم أنفسهم، كائنًا عملاقًا متحولًا. بالإضافة إلى أن وحش النهر وصل طوله إلى مترين وثلاثة وتسعين سنتيمترا، كانت لديه حدبة تنين على ظهره، وبقعتين وأغشية على بطنه. بعد اصطياد هذا الكائن، صوروه بكاميرا فيديو وبآلة تصوير فوتوغرافية قديمة. لم تكن الكاميرا الرقمية متوفرة. حسنًا، على الأقل وجدوا آلة التصوير تلك. باختصار، كان الدليل الوثائقي مذهلًا. لكن عندما وصل كوستيا داخنو إلى المكان، كما قال لاحقًا، انتظرته مصيبة. فمن غير المعروف من أخرج وحش النهر من الحظيرة المقفلة عبر ممر محفور تحت الجدار. كما أن فيلم آلة التصوير احترق، وسرقت كاميرا الفيديو من صاحبها، الذي فرح في أنه سيصبح مشهورًا، ثم سُكر ونام في خيمة الصيد. أقسم الرجال الذين اتصلوا بالصحافة أن ما اصطادوه كان وحش نهر حقيقي، لكن بدون دليل، كانت أقوالهم هذه مجرد كلمات.

أما الآن، فالطريق إلى العالم الآخر حقيقية، وواقعية تمامًا يمكن السير عليها. توجد بيدليسني، وفيها مكان لديه إشارات مثبتة ومتحقق منها تدل على وجود منطقة جيوباثية. هناك ادعاء يفيد بأن كل شخص كان مرتبطًا بها بطريقة ما بها، في ظل ظروف معينة، يمكن أن يختفي هناك أو أن يفقد ذاكرته جزئيًا.. أو أن يختفي أولًا، ثم تخرج من الأرض مع فقدان جزئي للذاكرة. المكان الملعون في نسخته الكلاسيكية. أخيرًا، هناك فتاة حيّة شعرت بتأثير المنطقة الشاذة. إذا فكرنا مثاليًا، ستتذكر في النهاية شيئًا من رحلتها عبر العوالم المتوازية. ولكن حتى لو لم تتذكر فإن القصة، كما هي الآن، هي أكبر وأفضل مما قد يتمناه أي صحافي عادي. فليفعل محققو الشرطة ما أرادوا، ها هو فيكتور شامراي متأهب لنيل دقائق قليلة من المجد. وللمناسبة، إذا كانت مقالة صحافية عادية، هذه المرة، قد ساعدت تمارا على استعادة بعض من ذاكرتها، فمن الممكن والواقعي تمامًا أن المقالة التالية ستحفز عملية استرداد الذاكرة من جديد. بالطبع، حتى نصف حجج شامراي كانت كافية لمدير التحرير.

ظهرت متابعة قصة المنطقة الشاذة وتمارا توميلينا على صفحات "حقائق لا تصدق" يوم الخميس التالي، في السابع والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر. صباح اليوم التالي، الجمعة 28 تشرين الثاني/نوفمبر، عندما شعر الناس في الشارع بالصقيع الأول، وأعلن الشتاء اقترابه الحتمي، اختُطف فيكتور شامراي.

23

حدث الأمر على النحو التالي.. لم يرغب فيكتور في مغادرة المنزل، راضخًا لفترة قضاء يوم الجمعة أمام شاشة التلفاز. ففي الصباح هطل مطر مثلج خفيف، ما أثار صداعًا لديه، وبات يمشي مترنحًا طيلة الصباح، حتى أن القهوة لم تنقذه. ألقى شامراي بنفسه على الأريكة، وشغل التلفزيون مقلبًا القنوات لمدة ساعة تقريبًا، محاولًا الابتعاد عن التقارير التي تتحدث عن تطور الأزمة الاقتصادية العالمية وتفاقمها. لكن حيث لم يتحدثوا عن الأزمة، كانوا يحثون الناس بأصوات عالية وبغضب على شراء الجعة، التشبيسي، الفودكا، الفوط النسائية، الأدوية المضادة للإجهاد، وأن يقدم المشاهدون هدية لأنفسهم عن طريق زيادة أرصدة خطوط هواتفهم المحمولة. زنّر الألم صدغي فيكتور بطوق ساخن، فقرر شرب كوبل آخر من القهوة. كان في ملابس رياضية وسترة قديمة. لم يطفئ التلفزيون. سار حافي القدمين إلى المطبخ، وصبّ الكمية المناسبة من البنّ في الركوة وسكب الماء، أشعل عين الغاز تحتها. في تلك اللحظة دق جرس الباب. وقف في المدخل شخص غريب يرتدي معطفًا، شعره الأسود مقصوص بعناية وممشط إلى الخلف.

- فيكتور شامراي؟ التحقيق الجنائي.

- نعم، لماذا لم يأت براجنيك؟ - أومأ شامراي برأسه.

- مشغول - أجاب الغريب باقتضاب - يجب أن نتكلم.

- نعم واضح. لأكون صريحًا، رأسي يؤلمني...

- هل يمكنني الدخول؟

- نعم، تعال. انتظر، سأطفئ النار تحت القهوة.

دار فيكتور ناويًا الذهاب إلى المطبخ، لكن ضربة قوية بين لوحي كتفيه أسقطته. لكن لاكمه لم يتركه يهوي. حملته يدان قويتان ثم رمتاه على الأرض. ومض السقف أمام عينيه. حاول شامراي النهوض على قدميه، لكن المحاولة سرعان ما توقفت، إذ تلقى ضربة أخرى، هذه المرة بركلة في بطنه. وعندما جثم فيكتور وأغمض عينيه للحظة، وقع شيء ثقيل على رأسه. سمع باب المصعد يفتح. ولسبب ما فكر: الغاز لا يُطفأ، باب الشقة غير مغلق، اللعنة...

- الباب.. - خرجت منه الكلمة، لكن أتته ضربة أخرى على جانبه، فأسكتته.

لم يضربوه أو يركلوه في أماكن محددة من الجسم بل كيفما اتفق وأينما وقعت قبضاتهم وأرجلهم. والشيء الأكثر فظاعة أن المعتدين عليه فعلوا ذلك بصمت، من دون أن تصحب اللكمات والركلات أي تعليقات. شعر فيكتور بأنهم يجرّونه إلى المصعد. تحركت الكابينة للأسفل، توقفت، جرّوه مرة أخرى. تلقى ضربة ففهم أنه كان عليه أن ينحني. لفوا أصفادًا على معصمي يديه خلف الظهر. ثم دفعوه داخل مكان ما، اصطدم رأسه بشيء ثم سمع ضجة كبيرة، لم يصعب عليه التخمين، فقد حمّلوه في صندوق سيارة. غرق رأسه في ألم بلا رحمة، حتى أنه أطفأ عينيه، على الرغم من أن شامراي لم يستطع رؤية أي شيء أصلًا. لم تكن هناك طريقة لتمديد رجليه، لذلك استلقى على جانبه، منحنيًا في وضعية الجنين. وبغض النظر عن أن الأجنة تولد عاجلًا أم آجلًا، إلا أن فيكتور كان مقتنعًا بطريقة ما أنهم ينقلونه إلى حيث سيلقى حتفه. إلا أن هذا الشعور لاقى منه لامبالاة كاملة. في مكان ما في أعماق الذاكرة، سمع صوت هدير نصف منسي وعاد إليه الشعور بتقييد رسغيه أيضًا لا يبدو أن أي شعور يختفي في أي مكان. كل شيء في الحياة يعود. فقد شامراي إحساسه بالوقت والواقع تمامًا، ولم يستطع فيما بعد أن يشرح لنفسه بوضوح المدة التي قضاها في صندوق السيارة. لكن السيارة توقفت أخيرًا، وفتح باب الصندوق فوق رأسه، فشعر برطوبة هواء الغابة. أمسكته الأيدي القوية، وسحبته من جذعه مثل كيس البطاطس، وألقته على الأرض المبتلة بالمطر. ضربوه على قدميه، والمعدة، ثم من خلف، وتحت العصعص، وهكذا عدة مرات. كانوا يضربونه في صمت تام. بعد الضربة العاشرة بدأ شامراي يشعر بأن كل هذا لا يحدث في هذا العالم. لقد نام في المنزل على الأريكة أمام التلفزيون وهو الآن داخل حلم رهيب.

- هيّا - جاء صوت من فوقه فتوقفوا عن الضرب - أمرهم الصوت نفسه. خمن فيكتور أنه كان ذاك الضيف ذا الشعر الأسود الذي يرتدي معطفًا والذي قدم نفسه على أنه آت من قسم التحقيقات الجنائية. رُفع فيكتور مرة أخرى من ذراعيه. ثنى ساقيه، وعندما أفلتوه لم يستطع البقاء واقفًا فسقط على الأرض الرطبة الموحلة.

- ألم يفكر أحد في ضرب وجهه؟ - سأل الرجل ذو الشعر الأسود زملاءه.

- الوجه كله - جاء الردّ.

- ارفعوه. هيّا. وأنت أيها الحيوان قف، لا تسقط.

أطاع شامراي، وعندما رفعوه مرة أخرى، وقف على قدميه. نظرًا لأنه كان بدون نعال، فقد اخترق برد الأرض الرطبة قدميه العاريتين. تناوبت القبضات على لكمه والأقدام على ركله.

- هل فهمت؟ - سأله الرجل ذو الشعر الأسود.

اتضح أن الكيس، أو الشيء الذي غطوا به رأسه سميك للغاية، على الرغم من أنه مصنوع من قماش فاتح اللون. أمامه، رأى فيكتور فقط صورة ظلية لرجل. تألم رأسه، وانكسر جسده، وخطفه البرد والخوف من كعبيه العاريين إلى أعلى رأسه.

- ماذا تريد من أن أفهم؟ - ضغط شامراي على نفسه.

- ما قيمة حياتك في هذا العالم؟ هل فهمت؟

- نعم...

- نحن نراقبك منذ ما يقرب من أسبوع، شامراي. حتى أننا نعرف أشياء عنك تريد أن تنساها بنفسك. عندما علّموك. هل الأمر كذلك؟ نباح، هدير، رعشة سلاسل، رطوبة، أماكن ضيقة.

- نعم...

- لم تتعلم أي شيء. أم تعلمت؟

- ماذا الذي تريده؟

- تعلمت أيها العاهر أم لا؟!

الآن يجب أن يضربوه. لكنهم لم يضربوا، هزّوه فقط.

- تعلمت...

- هذا غير واضح. تذهب حيث لا يطلب منك. ما الذي قالته لك؟

- من؟

- أتمثل دور الأحمق المغفل! ماذا قالت لك؟

- عن من تتكلم؟

- ماذا قالت لك؟ أين كانت؟ ماذا رأت هناك؟

في ظروف أخرى، كان فيكتور ليفكر مدة طويلة عمّن كان يسأل. لكنه فجأة فهم كل شيء بوضوح.

- هل تتحدث عن تمارا؟ - صمت قليلًا - عن توميلينا؟

- أحسنت - مدحه الرجل ذو الشعر الأسود، الذي لم يره فيكتور من جديد، لكن مظهره الخالي من أي علامات خاصة، سيبقى في الذاكرة إلى الأبد. ضيف الصباح سيقف أمام عينيه حتى نهاية حياته، كان شامراي ليتعرف إليه من بين مئات الآلاف من الناس - منذ متى وتعرفها؟

- لا أعرفها على الإطلاق. قبل أسابيع قليلة، جاءت إلى مكتبي بنفسها.

- أعلم، أعلم. وأخبرتك عن نوع من البؤرة القذرة، حيث يبدو الأمر وكأن الناس يختفون ثم يظهرون بدون عقول.

- لا بدون ذاكرة... أو جزئيًا...

- الهراء عينه.. أدمغة، ذاكرة، هراء! لم تقل أي شيء آخر؟

- ماذا تقول؟

- أين كانت على سبيل المثال. من رأت؟ ما الذي رأته. شيء خاص، خاص، سري. لقد سألت. أنت كنت في المستشفى عندها. هناك الشرطة. ما الذي يسألون عنه؟ ما الذي تحدثت عنه معها، حسنًا، تذكر، تذكر، أيها العاهر، لأننا سندفنك هنا!

هذا غير صحيح. هذا لا يحدث الآن. هذا ببساطة لا يمكن أن يكون. كل هذا يحدث له في عالم موازٍ غير معروف لم يسبق له أن ذهب إليه فيكتور.. على الرغم من أنه يكتب عن تلك العوالم منذ أربع سنوات، ويهرب بتهور بعيدًا عن الواقع الذي سقط فيه ولم يعد يرغب في العودة إليه تحت أي ظرف من الظروف.

- أنا... لا أعرف ما الذي تتحدث عنه... لا أعرف تمارا عن قرب... أنا فقط... أعني...

- لا تمضغ المخاط! لماذا أخذك رجال الشرطة إلى مستشفاها؟ أكنت تود التحدث معها من القلب إلى القلب؟

- تمارا هناك... حسنًا... في بيدليسني... لم تعد تذكر، حسنًا، ذلك... فقد...

- لقد سمعت هذه القصص من قبل. ماذا يريد رجال الشرطة منك بحق الجحيم؟

- أتوا بي لتتذكرني تمارا. فهي نسيت أمورًا... تتذكر بعض الأشياء...

- أتذكرتك؟

- نعم.

ماذا تذكرت أيضا؟ ومن؟

- لا أحد.. ولا شيء... بدا أنهم يريدون البحث عن منوم مغناطيسي...

- كذب. لا يوجد منوم مغناطيسي. ومناطقك الشاذة لا وجود لها. والعالم الموازي اللعين الذي تكتب عنه صحيفتك الحمقاء غير موجود أيضًا. عاهر. عاهر. عاهر.

لم يتعرض فيكتور للضرب مع هذه العبارات الغاضبة، وبالتالي خلص إلى أن الرجل ذو الشعر الأسود لن يُجنّ عليه، ولكن لسبب ما وجه غضبه إلى توما توميلينا، التي فقدت جزءًا من ذاكرتها لسبب غير معروف، ويبدو أنها مهمة جدًا لهذا الرجل المجنون ذي الشعر الأسود والتسريحة العادية، الذي يرتدي معطفًا.

ساد الصمت. في مكان ما إلى اليسار، زعق طائر من الغابة. أفلتوا فيكتور. سقط على ركبتيه. فكوا أصفاده، تحررت يداه. لم يكبح جماح نفسه، فمد يديه المحررتين أمامه، ووضعهما على الأرض الرطبة، ووقف على أطرافه الأربعة. لم يخطر بباله ما كان يؤلمه أكثر، أن ينزع الكيس، أو الشيء الذي يغطون به رأسه.

- الوضع كالتالي - تحدث الرجل ذو الشعر الأسود من فوقه - ولا كلمة واحدة عن لقائنا لرجال الشرطة. لأنني سأعود وستكون الأمور أسوأ بكثير بالنسبة إليك. كل تحركاتك تحت المراقبة، سنتابعك أثناء وجود تلك السافلة في المستشفى. إن قمت بأي اتصال سنقوم بزيارتك. وستكرر كلمة بكلمة ما تخبرك به الفتاة. إذا كنت لا تراها، بصراحة، سيجعلك ذلك تشعر بتحسن. لن يخفيك أحد عنّا في أي مكان آمن، لقد مررت بتجربة حزينة في البحث عن العدالة. هل تذكر؟

- أذكر - هذا لم ينس حقًا، كيفما حاول فيكتور أن ينسى.

- إلى اللقاء.

سمع فيكتور وقع أقدام على الأرض الرطبة، هدير المحرك، صوت مغادرة السيارة. عندما اختفى الصوت، جلس بشكل محرج على الأرض وأخيرًا سحب الكيس من رأسه. إنه غطاء وسادة عادي أزرق داكن ذو نقاط بيضاء. عليه علامة تجارية جديدة. حافي القدمين، متسخ، يرتدي ملابس رياضية، جلس بين الأشجار في الغابة بالقرب من طريق سريع ما. في مكان لا يبعد أكثر من عشرين مترًا أمامه، كانت السيارات تسير و... باختصار، تدفقت حياة هادئة عادية بمسارها المعتاد.

بجواره، قرب يده استلقت زجاجة فودكا ربعية. تركها خاطفوه له هدية فأمسك بها فورًا. عرفوا عنه شيئًا.. لا، لقد عرفوا كل شيء عن فيكتور شامراي. لم ينظر فيكتور إلى ملصق الزجاجة كما كان يفعل في السابق. هجرته تلك الرصانة المبدئية المطلقة التي تمتع بها خلال السنوات الأربع الماضية. كأنها لم تكن أبدًا. أخذ زجاجة وفتحها بسهولة، وسكب نصفها في فمه دفعة واحدة. ثم أخذ نفسًا وسكب الباقي.

في غضون دقائق قليلة، تغيرت حياته.

24

بعد يومين.. بعد ثلاثين ساعة بالتحديد، في صباح يوم أحد غائم، جمع شامراي، قبل أن يخرج من المنزل باحثًا عن زجاجة أخرى، بقايا الفطرة السليمة التي لم يفقدها كلها، وشظايا تفكيره. تذكر جرت الأمور. ربما لو لم يكن مخمورًا لما تنسى له أن يفعل ما فعله آنذاك. بعد مغادرته الغابة متوجهًا إلى الطريق السريع اندفع فيكتور، من دون أي شعور بالخوف، موقفًا السيارة الأولى التي صادفها، حاول سائقها تجاوزه عدة مرات وكان منصفًا في غضبه، بدا أكبر منه بسنتين، وكان نصيبه أن يلتقي فيكتور الذي سُحب من منزله وأحضر قسرًا إلى هنا. هكذا هي الأمور، كما ترى يا أخي، كما يحدث في الحياة... نظر السائق إليه من فوق كتف فتاة تجلس بجانبه في السيارة وتراقب فيكتور المنهار بتعبير حجري على وجهها، استوعب شيئًا من مظهر فيكتور وفكر "جميع النساء عاهرات يا أخي". سمح له بالدخول إلى السيارة، وألقى كفّه على كتف الفتاة أن "أقفلي فمك!".

اتضح أنهم لم يقتادوه بعيدًا عن جيتومير. على بعد ساعة أو ساعة ونصف تقريبًا. في المنزل، كان التلفزيون مشعلا، والباب لم يكن مقفلا، إلا أن الغاز تحت ركوة القهوة كان مطفأ بحكمة. لم ينزعج شامراي من ذلك. من الجيد أنه مطفأ. ارتدى سترة، انتعل حذاء على قدميه العاريتين، أخذت بعض المال، كما لو أنه يفعل ذلك كل يوم، توجه إلى أقرب محل بقالة. اشترى نصفية وبدأ يشرب هناك، ثم استدار حول زاوية المحل.. ثم بقع سوداء في الذاكرة. لا حاجة لتلك المنطقة الشاذة في قرية بيدليسني التي هجرها الله والناس. الذكرى التالية هي قضاؤه ليلة كسولة باردة، في الحذاء نفسه على قدميه العاريتين وفي السترة نفسها. أمام مدخل المبنى حيث شقته وبيده اليسرى نصفية فودكا. وهو واقف هناك ينظر إلى السماء ويحاول بعناد رؤية النجوم. لم يرها. سمع صوت هدير وضع فتحة الزجاجة على شفتيه في ما يسمى وضعية البوق. بضع رشفات، احترق المريء.. ثم بقعة مظلمة في الذاكرة من جديد. في الصباح التالي أو بعد الظهر لا يهم، ها هو يتقيأ في المرحاض ويجلس على الأرض مرتديًا السترة نفسها. يتقيأ بجانب المرحاض ويحاول إبقاء رأسه مستقيمًا. ثم ينهض يحاول الاتكاء على الحائط. هناك زجاجة أخرى على طاولة المطبخ. بدت جديدة لا يهم.. عبّ منها، ثم بقعة سوداء أخرى في الذاكرة.

طوال هذا الوقت، كان التلفزيون يوقظه، لم يرغب فيكتور بعناد في إيقافه لأسباب غير معروفة. لذلك، بعدما عاد إلى رشده مرة أخرى على الأرض بالقرب من الأريكة، أدرك أن ما يراه هو نشرة الأحوال الجوية ليوم الأحد، الثلاثين من تشرين الثاني/نوفمبر. رأسه لم يعد يؤلمه، كان ثقيلًا فقط. جسمه منهك، ومن فمه تخرج أبخرة الكحول المختلط بالقيء. نهض، سار على طول الجدار إلى الباب، ببطء ولكن بعزم، أدخل قدميه العاريتين في حذائه. بعدما نزل إلى الشارع وأخذ رشفة من زجاجة جديدة عند باب المتجر مباشرة، شعر شامراي بقرب وصوله إلى تلك الحالة من الإدمان على الكحول حيث من المستحيل التوقف، وأن هذه المرحلة وشيكة. لذلك، بعدما استعاد من

ذاكرته كل ما يمكن استعادته، تذكر فيكتور: غدًا، إذا لم يتغير شيء، هو يوم الاثنين. هذا يعني أنه يجب أن يظهر في المكتب، وعلية أن يحاول على الأقل جمع شتات نفسه. بدت تجربة الحياة الرصينة المكتسبة خلال السنوات الأربع الماضية وكأنها قد تلاشت في مكان ما، وحلت محلها المشاعر التي عاشها شامراي طوال الأشهر التي أعقبت تلك القصة التي لم يرغب في تذكرها.

أربع سنوات مدة طويلة.. ولكن يبدو أنها لم تكن كافية.

لم يكن قادرًا على كبح جماح نفسه فأخذ رشفة أخرى، لم يتبعها بجرعة جديدة، بل أخذ رشفة فقط. ابتلعها، يمكن أن يعطيه السائل ذلك الشعور المطلوب. وهذا هو بالضبط ما أراده فيكتور على الأقل الآن.. أن يغرق في عالم موازٍ يمزق الذاكرة لأيام. رشفة صغيرة تأتي بالأفكار لا تزال مرتبة. رغب في التدخين، وعلى الرغم من توقفه عن التدخين، إلا أنه اعتبر أن هذه الرغبة إشارة جيدة في مقابل عدم شعوره بأي رغبة أخرى. لم يشعر بالألم ولا الفرح ولا الاحتياجات الجسدية.. حتى أن الغربة بالتدخين لم تكن شديدة. عاد إلى محل البقالة واشترى علبة "بوند" من بائعة سمينة، لم تهتم بمظهرها. خرج شامراي لم يكن في عجلة لإشعال سيجارة. أصابه مشهد السجائر بالغثيان، وذكّره ذلك بحاجته إلى تناول الطعام. على الأقل شيء ما، لكن لا يهم ماذا. ما يهمه الآن هو عدم ترك المعدة التي طالت معاناتها فارغة.

عاد إلى المتجر مرة أخرى، دفع ثمن بيتزا قبيحة المظهر، وطلب تسخينها في الميكروويف، ثم في الشارع بدأ بحشوها في فمه، من دون أن يشعر بالطعم. كاد أن يشعر بالغثيان لكن الشعور غادره. حقق هدفه في تأخير موعد رشفة الكحول التالية. شعرت بثقل غير صحي في معدته، لكنها على الأقل كانت ممتلئة بشيء. بعد احتساب ما تبقى لديه من مال، ذهب فيكتور مرة أخرى إلى المحل واشترى كعكة بكريما الزبدة بكل ما لديه. لم يرغب في تناول أي شيء آخر، انجذب بجنون إلى الحلويات. عاد ببطء إلى المنزل ومعه الكعكة في يده اليمنى، وزجاجة فودكا في يسراه، وعلبة سجائر في جيب البنطال الرياضي المبتل والقذر. أغلق شامراي الباب بعناية للمرة الأولى منذ يومين. خلع ثيابه عنه، ووقف تحت دوش الماء الدافئ لمدة عشر دقائق. خرج من الحمام مبللًا، لف نفسه برداء، وجمع الأشياء المتسخة وحشاها في سلة بلاستيكية. كلها، باستثناء الملابس الداخلية بالطبع، سيأخذها قريبًا إلى المصبغة.

بعدما أكل قطعتين من الكعكة، تناول شامراي رشفة صغيرة أخرى من الفودكا وأجبر نفسه حرفيًا على الاستلقاء على الأريكة. بعد نصف ساعة، نام، لكنه لم يغرق في الظلام، كما حدث في الليلة الماضية، انغمس في نوم ضحل مزعج. لم يطفئ التلفزيون بل خفض صوته. نعم، نام بشكل متقطع، انتظر حتى المساء. بحلول المساء، بات رأسه صافيًا، ليس تمامًا، لكن أفضل مما كان عليه في الصباح. مر الليل بلا نوم. تقلب فيكتور في السرير، كان مبللا بعرق نتن، لكنه منع نفسه من أخذ رشفة أخرى. في الصباح، كان مرهقًا ومحطمًا لكنه متزن نسبيًا، كان يعرف ما يجب عليه فعله. لو كان في حالة عقلية وجسدية مختلفتين لما جرؤ على القيام بذلك.

25

- تبدو في حال مزرية أيها العجوز.

- شكرا لك أخي، أنت تعرف كيف تهدّئني.

حتى من دون عبارة السائق هريشا، عرف شامراي أن مظهره غير جيد. في الصباح، جرح نفسه وهو يحلق ذقنه بيديه المرتجفتين. حلق لحيته التي لم يمسها منذ يوم الجمعة، بعد هذا الاختطاف الذي لا يُنسى. تبين أن الجرح كان عميقًا بشكل غير متوقع. خشي أن يقتلع جلد ذقنه بشفرة حلاقة. استغرق الأمر وقتًا طويلًا لإيقاف الدم، وحتى الآن يخشى أن يتجعد جلده ويعود نزف الدم، كانت الندبة الجديدة ملحوظة من بعيد. عيناه حمراوان، يداه ترتعشان، ضوضاء طفيفة في رأسه. كل هذا يحثه على مقاومة العودة إلى الفودكا. والأهم من ذلك أنه لم يشم رائحة أبخرة من فمه. فقد نظف أسنان بالفرشاة بعناية، احتسى فنجانين من القهوة، أولهما في كافيتريا المكتب قبل عشرين دقيقة من محادثته مع هريشا، ومضغ ببطء علكة بالنعناع مرتين. كانت تلك مقدمات ليقم فيكتور بالجزء الأصعب من خطته. تذكر سريعًا ما عليه فعله حقًا حتى تتوقف يداه عن الارتعاش، فالعلكة والقهوة تفاهات. ولكن إذا كانت المقاومة صعبة، فعليه التحلي بالصبر حتى يتمكن من الحصول على سيارة.

- لم أنم طوال الليل. انظر كيف هو الطقس. ضغط - فرك شامراي بقوة طرفي جبينه بأصابعه.

- نعم، طقس غبي - قال هريشا، مظهرًا اللامبالاة الكاملة فيما إذا كانت السماء تمطر في الفناء أو تتساقط الثلوج أو تعصف الرياح الشمالية الباردة.

- ما خططك لليوم؟

- اسأل الرئيس. الاثنين. أحضرته، ها هو في مكتبه. قبل الغداء، يبدو أنه لن يذهب إلى أي مكان. لم يقل لي شيئًا. أنت تعرف كيف يحدث ذلك. لم يقل شيئًا، ولكن فجأة... هل عليك الذهاب إلى مكان ما؟

- نعم - أومأ فيكتور - تقول إن المدير لم يقرر برنامجه لليوم. لذا، أنا بحاجة للتحقق من موضوع.. أوه! - حكّ شامراي ذقنه بحافة يده.

- طيّب؟ - سأل هريشا بلا مبالاة.

- إذن، الأمر كالتالي، أريد السيارة عند الساعة الرابعة. سأحاول الانتهاء في أسرع وقت ممكن. القضية حرزانة، يا أخي، أنت تعرفني...

هذا صحيح. كان السائق هريشا يعرف فيتيا شامراي جيدًا، أو بالأحرى، قدرته على أن يكون ممتنًا. المسألة أن هريشا يمتلك سيارة خاصة، فولفو قديمة ولكن لا تزال قوية. قبل عمله سائقًا في "حقائق لا تصدق" عمل في شركة سيارات أجرة خاصة. حصل هناك على ربح مقبول والشركة كانت توظف من لديه سيارة خاصة فقط. هذه الشركات منتشرة في البلاد والكثير من الناس يعملون سائقين فيها ويقودون سياراتهم الخاصة، وليس فقط في جيتومير. ولكن بسبب حبه المرضي للنظافة، استقال هريشا في النهاية. لأنه سئم من استغلال الشركة له، ما يعني تلويث سيارته باستمرار. في المقابل، سئمت الشركة أيضًا من السائق النظيف مرضيًا، الذي كان يمكنه أن يرفض أي توصيلة بسهولة إذا كان في الوقت المخصص لتنظيف سيارته من الغبار والأوساخ. وصل مع الشركة إلى حائط مسدود ذات يوم ممطر، فبدلًا من إيصال راكب معه أكياس ثقيلة أسفل بوابة منزله، كما هو متوقع، أنزله هريشا على بعد مئة متر من العنوان المطلوب. صفق الزبون الغاضب باب الفولفو بقوة. لم يكن هناك شهود على ما حدث بعد ذلك. لا أحد يستطيع تأكيد كلام الزبون عن أن سائق التاكسي كان يطارده عبر الوحل والنقع لمئات الأمتار. لم يستطع السائق اللحاق بالراكب، فألقى الأكياس من صندوق السيارة على الوحل. بالطبع، اعترض هريشا، ووفقًا لروايته أن الزبون رفض الدفع ببساطة. ومع ذلك، قدم الزبون شكوى، وهي ما كانت تنتظره إدارة الشركة كي تتخلص منه، فطردت هريشا وسيارته.

لذلك، عندما جاء للعمل سائقًا في الصحيفة وضع هريشا شرطًا، وهو منحه سيارة تملكها الشركة. لم يعترض أحد على ذلك، فأصحاب الصحيفة يخصصون سيارة تحت تصرف مدير التحرير الذي لا يعرف كيف يقودها. لكن سيارة الشركة للعمل فقط. أي، كان على السائق وضعها في مرأب الشركة واستلامها من هناك واستخدامها فقط خلال ساعات العمل ولاحتياجات إدارة التحرير. هكذا كان الاتفاق. فكان هريشا يأتي إلى الصحيفة بسيارته الفولفو، ويركنها في المرأب مكان السكودا التابعة للشركة ولا يدفع بدل موقف لسيارته. بعد العمل، يحدث الأمر معكوسًا، يركن السكودا في المرأب ويعود بالفولفو إلى المنزل. وكان هريشا يرفض بشكل قاطع استخدام حافلات الميكروباص للذهاب إلى العمل. بالطبع، كان يمكنه أيضًا استخدام سيارة الشركة في شأن خاص، ولكن بعد ذلك يمكن غسلها في مغسل خاص، حاول هريهوري تجنبه كي لا يبدد المال فيه على سيارة الشركة، بل على سيارته الخاصة التي تبدو دائمًا كعروس.

كان فيكتور يعرف هذه التفاصيل الدقيقة، ومع أن لديه صلاحية استخدام سيارة الشركة بعد حصوله على إذن، ومع أن لديه سيارته الجيغولي، إلا أنه كان يطلب من هريشا استخدام الفولفو أحيانًا. بطبيعة الحال لم يكن ذلك مجانيًا، إذ كان يدفع ثمن استئجارها بصدق وكان يبرر النفقات. في كثير من الأحيان، منحه الاستقلال عن أسرة التحرير الفرصة للعثور على بعض الموضوعات والعمل عليها بسرعة أكبر، من دون التنسيق مع مديره لأخذ الإذن للحصول على السكودا. في النهاية، ميزت هذه الكفاءة فيكتور عن غيره من الصحافيين، وانعكس ذلك زيادة في راتبه. على الأقل، تلقى فيكتور شامراي مكافآت إضافية في مظاريف بيضاء مستطيلة أكثر من غيره. بالطبع، لم يعرف بها، وظل الاتفاق بين فيكتور وهريهوري سريًا أيضًا. لم يستخدم فيكتور الفولفو كثيرًا،

وإلا لعرف الزملاء بالأمر، كما أن بعض الزملاء كانت لديهم سياراتهم الخاصة. على أي حال، كان بدل استئجار الفولفو قليلًا نسبيًا ولم يكن هريشا مهتمًا بالمبلغ. لقد كان سعيدًا جدًا بأن سيارته القديمة الجيدة تجلب له ربحًا حتى لو لم تكن مركونة في المرأب حيث لا يدفع شيئًا.

بالطبع الشرط الأساسي هو إعادة السيارة نظيفة وألا يلهو مع النساء فيها. حتى الآن، تعامل شامراي مع الأمر بنجاح كبير. بالإضافة إلى ذلك، في حالات اعتبرها فيكتور خاصة، وفقًا لقواعد الشخصية، كان يترك لهريشا زجاجة من الكونياك الفاخر في علبة التابلوه في الفولفو كمكافأة. وكان هريشا يحب الشرب ويحترم الكونياك، وكان شامراي يتلقى تلك الزجاجات الفاخرة هدايا لقاء ما يكتبه أحيانًا، ولم يشترها أبدًا بماله الخاص.

اعتبر فيكتور أن اليوم لديه حالة خاصة، بل خاصة جدًا. لو لم يكن عليه أن يحدد لهريشا إلى أين يتجه، وإلا فلن يرى السيارة. وليس من المستغرب أن تصبح عبارة "القصة حرزانة" حافزًا إضافيًا لمالك الفولفو القديمة الجيدة.

- تحت تصرفك - أومأ هريشا الطريقة نفسها بلا مبالاة - يمكنك قيادتها حتى المساء وإعادتها إلى مكانها، ورحلة سعيدة.

دسّ شامراي الأوراق النقدية التي أعدها مسبقًا بيد هريشا. حصل على المفاتيح. عمل الاتفاق بينهما بشكل لا تشوبه شائبة بمرور الوقت. لقد وثق أحدهما في الآخر. كان حارس مرأب السيارات على علم أيضًا بالأمر. ما إن رأى شامراي خلف مقود الفولفو حتى رفع الحاجز المخطط. بعد خروجه إلى الشارع، داس فيكتور على دواسة البنزين بقوة. كان يحملق في الساعة التي لم تتجاوز العاشرة صباحًا بعد. فقد سمح له هريشا باستخدام السيارة حتى المساء، أي حتى نهاية يوم العمل بين السادسة والسابعة، وعليه أن يكون في الوقت المناسب قبل حلول الظلام.

26

في الواقع، لم يمر شامراي بظرف مشابه. فلولا حال الطوارئ، التي قادته إلى الانهياره الكحولي وبالتالي إلى محاولة الخروج منه، ربما لتصرف بشكل مختلف. لكنه كان متأكدًا من أمر واحد: ألا يقول كلمة واحدة للنقيب براجنيك أو رجال الشرطة على الإطلاق، وتحت أي ظرف من الظروف. فقد كانت لديه تجربة قاسية، للمناسبة، ذكّروه بها يوم الجمعة. إثر ما حصل معه خلال اليومين السابقين، وبعد ليلة بلا نوم، توصل شامراي إلى نتيجة بسيطة للغاية، وهي أن الخاطفين المجهولين كان لديهم الوقت لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه. والمهم أيضًا، أنهم يملكون الأدوات للحصول على هذا الحد الأقصى من المعلومات. لذلك، هؤلاء هم الأشخاص نافذون. من هنا جاء الاستنتاج التالي: لقد كانوا مهتمين بالمنطقة الشاذة في بيدليسني، وعلى وجه الخصوص بما حدث لتوما توميلينا فيها. تحديدًا، أرادوا معرفة ما شاهدته الفتاة هناك. وهنا أدرك فيكتور أن فضول الخاطفين كان له تفسير آخر، لقد أرادوا حقًا معرفة ما إذا كانت تمارا قد رأت هناك، في بيدليسني، شيئًا لم يكن عليها أن تراه. أو إن كانت قد قابلت شخصًا عن طريق الخطأ ولم يكن من المفترض بها أن تلتقي به أبدًا.

تندفع الفتاة الخائفة إلى المنطقة الشاذة وتختفي هناك. سرعان ما يجدونها على الطريق. إنها خائفة وفقدت ذاكرتها جزئيًا. تعرفت على فيكتور. وصف شامراي كل هذا بالتفصيل في الصحيفة. وبالتالي، فمن المنطقي أن تستعيد الفتاة ذاكرتها تدريجيًا. وأن تذكر كل ما حدث لها في الأسابيع الأخيرة، بما في المنطقة الشاذة في بيدليسني. لنفترض أن خاطفي فيكتور، وهم يغطون رأسه بذلك الكيس، كانوا يفكرون على النحو الآتي: لا تزال تمارا تتذكر كل شيء وتضبط نفسها ولا تبوح بما رأته للشرطة. في الوقت نفسه، يمكن أن يكون هو من كتب جزءًا فقط مما قالته في "حقائق لا تصدق"، وقد منعه رجال الشرطة من كتابة المزيد. فما عليهم إلا أن يضغطوا عليه وأن ينتظروا النتائج. لم يعتبر فيكتور نفسه بطلًا منذ أكثر من أربع سنوات. ففي ربيع عام 2004، كان مصير كل بطولاته أن تلقى في كرسي المرحاض وأن تفتح عليها مياه السيفون. كان جاهزًا في الغابة، بعد تلقيه الضربة الأولى أن يخبر خاطفيه الرهيبين بكل ما يرغبون بسماعه. بكل ما يعرفه.

الآن، بعد انهياره الكحولي، بات شامراي أكثر جرأة وهو يعترف بذلك. ليس كثيرًا، ولكن كمية الجرأة كافية لاتخاذ قرار بالذهاب إلى بيدليسني مرة أخرى لمعرفة ما حدث هناك، أو ما يمكن أن يحدث. لم يكن فيكتور متأكدًا مما إذا كان يمكنه رؤية أي شيء في وضح النهار، فقد هرعت تمارا إلى هناك في الليل. ومع ذلك، في منتصف الليل، يصعب عليه العثور على سيارة للوصول إلى المنطقة الشاذة من دون وجود شهود غير ضروريين. أضاف الصداع الناتج عن الفودكا من شجاعته، وإلى جانب ذلك، لم يستطع شامراي الانتظار حتى المساء في ضوء الأحداث الأخيرة. كان يخشى ألا يقاوم ويعود إلى دائرة الكحول. آه، في الحقيقة كان خائفًا.. ستختفي الرغبة في

التصرف، وسيعود إلى الخوف، سينبح الكلب من جديد، وستقرقع السلسلة. بطريقة أو بأخرى، شعر شامراي برغبة غريبة لا تقاوم في العودة إلى بيدليسني في أقرب وقت ممكن. يمكن حتى أن نقول إنها كانت تناديه.

اتصلت بمديره، وأبلغه أنه مشغول في إعداد مادة ولم يتلق أي اعتراض. بشكل عام، بعد فتحه سلسلة ناجحة من المقالات حول المنطقة الشاذة، أصبح جدول عمل فيكتور مرنًا قدر الإمكان، والآن يستخدم حريته التي يستحقها إلى أقصى حد.

في طريقه من جيتومير، لم يستطع فيكتور السيطرة على نفسه. فرمل السيارة بالقرب من مقهى، طلب خمسين غرامًا من الفودكا، شربها دفعة واحدة، ثم طلب الكمية نفسها على الفور. نظرًا لعدم اعتباره سائقًا متمرسًا، أدرك شامراي أن إدارة عجلة القيادة أكثر خطورة من حالة التسمم الخفيف. شرب الفودكا مع القهوة سريعة التحضير، انتظر بضع دقائق. كل شيء على ما يرام. توقفت يداه عن الارتعاش. وبصعوبة أجبر نفسه على النهوض وعاد إلى السيارة. إلى الأمام. نحن لا نخاف من الذئب الرمادي. نحن لا نخاف من المنطقة الشاذة.

27

كان الملازم أول بوزير في الخدمة، في موقعه الثابت المألوف. أشار الضابط إليه بالهراوة، وأمره بالتوقف، عندها استولى الذعر على فيكتور. الآن سيشتم الشرطي رائحة الفودكا، ويبدأ بغناء سيمفونية الشرطة عن القيادة تحت تأثير الكحول، وسيضطر إلى الدفع له. لكن المأساة ليست هنا، إذ إن الضابط سيتذكره إذا لزم الأمر، وسيؤكد أنه خالف قواعد المرور في طريقه إلى الأراضي المحظورة. عرف شامراي أن عليه المحافظة على سرية رحلته. شعر في داخله أن هذا ضروري.

عندما نزل فيكتور من السيارة للقاء بوزير، تعرف إليه، فحوّل الهراوة إلى يسراه، ومدّ يمينه ليصافحه، كما لو أنه أحد معارفه القدامى.

- عظيم. أنت هنا من جديد؟

- نعم، هنا من جديد - حاول شامراي أن يتنفس جانبًا وكان يأمل بشدة ألا تنبعث منه الرائحة وأن تحملها الريح الباردة بعيدًا عن وجهه.

- قرأت، قرأت عن الفتاة التي اختفت هناك - أشار بوزير نحو مكان ما خلفه.

- هل أخبرتك حماتك؟ - استفسر شامراي.

- نعم، وأنا نفسي أتساءل لماذا يندفع الكثير من الناس إلى بيدليسني تلك. لا بد من جود فضائيين هناك؟

- وما دخل الفضائيين؟ - فوجئ فيكتور.

- ما دخلهم؟! - كان الضابط متفاجئًا بصدق - يخطفون الناس ويغسلون أدمغتهم ثم يعيدونهم. حسنًا، ما هو اسم عائلتك؟ للتوثيق.

أدى الانتقال غير المتوقع إلى إخراج فيكتور من المأزق، لكنه كان مستعدًا لذلك. أعطى بوزير بطاقة هويته. نظر إليه واستدار.

- شامراي إذن. أنت كتبت، أليس كذلك؟

- حسنًا، أنا. مقاطعة جيتومير تعرف أبطالها - مازحه فيكتور.

- إذن، هل رأيت تلك الفتاة حقًا؟

- رأيتها. وأنت؟ لقد عثروا عليها في مكان ما بالقرب من هنا... - ندم شامراي أنه سأل فآخر شيء أراده هو الانتظار لإجراء محادثة مع شرطي ممل.

- لم أر أي شيء - أجاب بوزير - لم أكن في الخدمة آنذاك. نعم، ولم أجدها أنا. الحمدلله.

- لماذا الحمدلله؟

- لقد جرّوا الجميع إلى التحقيق بعد تلك الحادثة. وها أنت في الجولة الثالثة ترغب في كتابة حكاياتك. أستكتب الحكايات نفسها... ألم تنته القصة، اللعنة... ماذا تريد من جديد؟

- للعمل. كما ترى، نسميه "إنهاء الموضوع". يطلب مني رؤسائي الآن أن أجد الكائنات الفضائية في بيدليسني أو أي شيء آخر من هذا القبيل. أيمكنني المتابعة؟

- انطلق - هز بوزير كتفيه - ابحث عن الفضائيين. سأخبر حماتي أنني أعرفك ستمنحني مئة غرام إضافية.

- صارمة جدا؟

- أسوأ من ذلك.

عاد فيكتور نحو الفولفو. ثم توقف فجأة وصاح في بوزير:

- اسمع... هل نحن - توقف بوزير استدار نحوه ونظر إليه - هل كنا أول من ذهب إلى هناك، إلى بيدليسني؟

- كيف لي أن أعرف؟ كنت أول من سأل عن الطريق إليها في الواقع. ما الأمر؟

- لا يهم. فقط... إنها مجرد آثار عجلات سيارات الجيب أو غيرها من المركبات الثقيلة على الأرض. إذن، بيدليسني ليست قرية منسية تمامًا؟

- سأريك يا شامراي، إذا أردت، على الخريطة الطرق التي يمكن سلوكها إلى هناك. خاصة في سيارات الجيب. لأكون صادقًا، ليست مسؤولا عمن يذهب إلى هناك إن لم يمر في نقطة حراستي. واضح؟

- نعم واضح.

شعر شامراي بنفسه يتقطع. سارع للجلوس خلف عجلة القيادة. تمسك بها بيديه، أخذ نفسًا، تحسس المفاتيح، أدار المحرك وانطلق. لم ينظر الضابط بوزير نحوه.

28

هذه المرة، لم يضع فيكتور طريقه. خلال الأسبوعين الماضيين بات الممر الذي يقود إلى بيدليسني موحلًا جدًا، حتى أن السيارة المستعارة حظيت بغطاء من رذاذ الوحل حتى السقف. لو رأى هريشا هذا، لخسر شامراى حياته. كانت الفولفو مزركشة بالوحل مثل بالون احتفالي. تعثرت السيارة عدة مرات في الطريق، نزل فيكتور ودفعها للخروج من الحفر. لحسن الحظ، اتضح أن حفر الطريق صغيرة ولم تنم فيها السيارة على بطنها. اهتزت عدة مرات لكن أمكنه المضي قدما بها. حتى أن شامراي نفسه تفاجأ بمدى الشجاعة التي رافقته في هذه الرحلة غير الآمنة ومنحته القوة. ومع ذلك، عند مدخل قرية الأشباح، اختفت تلك الشجاعة، ومعها تبخرت القوة. شعر بذلك، عندها قفزت السيارة بعجلتها الأمامية اليسرى وحطت في حفرة. حاول شامراي إرجاع السيارة إلى الخلف بسرعة للخروج من الحفرة، بدا له أن المناورة نجحت لكن الأمر كان أسوأ. فقد وقعت عجلتا الفولفو الأماميتان معًا في الحفرة. علاوة على ذلك، وبشكل غير متوقع تمامًا وبدون سبب واضح، توقف المحرك على الفور. باءت محاولات إحياء محرك السيارة بالفشل. هوى قلب بين ساقيه، أفلت عجلة القيادة. انزل، هيا! لعن الله أم المنطقة الشاذة!

بعد نزوله من السيارة، انغمست قدما شامراي في الوحل. من الجيد أنه انتعل حذاء رياضيًا شتويًا ذا رقبة تحول إلى اللون الأسود على الفور وغطى الوحل حواف الجينز. هبت ريح باردة، بدا لفيكتور، أنها تحيط به من جميع الجهات. اقترب من مقدمة السيارة الموحلة، وقف شامراي لتقييم الوضع والخسائر المحتملة. نعم، نظريًا يمكن الخروج. الحفرة خطيرة، لكنها ليست قاتلة. الوضع ليس ميئوسًا منه. احفر تحت العجلات، ضع الفروع تحتها، في الوقت نفسه افعل شيئًا مشابهًا من الخلف، ثم قم دس على البنزين بهدوء... لكن هل يوجد رفش في صندوق الفولفو، أو ربما فأس؟ من غير المحتمل أن يكون هريهوري حكيمًا بما يكفي لحمل معدات الإنقاذ في سيارته. لا بد من التحقق من ذلك. توصل شامراي إلى أن عليه أن يزيل الوحول من تحت العجلتين بيديه. نعم.

صفع فيكتور ركبتيه بكفيه ثم استقام. نظر حوله، ثبت عينيه على الشارع الطويل الوحيد في بيدليسني. نظر نحو المكان الذي اكتشف فيه البروفيسور هورباتكو قبل أسابيع قليلة فقط المنطقة الجيوباثية، أين يختفي الناس؟ أين اختفت توما توميلينا بحق الشيطان؟ ارتجف فيكتور من الإشارة اللاإرادية للشيطان. ثم شعر بنفسه يتقطع من دون سبب، على الرغم من عدم وجود شيء حوله يمكن أن يسبب الخوف في قلبه.

كانت الشمس مختبئة خلف غيوم رمادية صلبة، ورائحة الهواء مشبعة بأمطار الخريف السريعة، والريح تتغلغل في الأغصان، وتتلاعب برؤوس الأشجار. كادت الريح أن تطيح قبعته الرياضية عن رأسه، سحبها على جبهته، وضيقها على رأسه. حتى لو أراد المتابعة الآن، لو أراد

المغادرة لما تمكن من فعل ذلك بسهولة، ومن المخجل أن يهرب. سيستغرق الأمر ساعتين في أحسن الأحوال كي يخرج السيارة من الحفرة، ثم عليه أن يقودها إلى المحطة لغسلها جيدًا، وأن ينظفها من الداخل بعناية. لذلك، نظرًا لأنه غارق داخل المشكلة بالفعل، فما عليه إلا أن يفعل ما أتى من أجله.

لم يعرف شامراي حتى الآن سبب مجيئه بالضبط إلى بيدليسني، إلى المنطقة الشاذة. هنا، وفقًا للشائعات، تتقاطع حدود العوالم المتوازية. إذا كنت لا تعرف ماذا تفعل، فافعل ما تستطيعه. في هذه الحال، لم يكن بإمكان فيكتور شامراي أن يتقدم إلا سيرًا على قدميه، على طول شارع القرية، الذي تقع على جانبيه المنازل المتهاوية. بعد السير عشرة أمتار، شعر فجأة بصداع خفيف. توقف. أغمض عينيه. وقف قليلا، ثم فتحهما مرة أخرى. لم يحدث شيء، لم يتغير شيء. أخرج فيكتور هاتفه الخلوي ليتأكد، كما في المرة السابقة، من عدم وجود تغطية. الآن، حتى لو تملكته رغبة قوية طلب المساعدة فلن يستطيع. فالهاتف لا يتلقى الإشارة إلا قرب الطريق السريع، حيث الناس والحياة...

لا بديل عن التقدم إلى الأمام. دس الهاتف الذي أصبح الآن غير ذي فائدة في جيبه وتقدم. اقترب من الحيّ الأول المألوف، وسار على طول الطريق. بعد قطعه مسافة أبعد، اكتشف اكتشافًا جديدًا: هنا، في الواقع، حتى الغربان لا تنعق. بدا الصمت حول المكان صلبًا وسميكًا.. ميتًا.

بعد وصوله إلى مبنى المجلس القروي المنهار، توقف شامراي. لاحظ آثار عجلات لم يلاحظها على طول الطريق. هنا من الصعب إخفاؤها. من الواضح أن سائق السيارة هنا كان يحرص على السير على جانبي الطريق. لذلك، لم يكن يريد أن يترك آثارًا ولم يكن خائفًا من الوقوع في الحفر، فالسيارة كبيرة ومتينة، ربما هي رباعية الدفع أو شيء مثل الجيب. ابتسم شامراي من تلك العبارة التي تشكلت للتو "شيء مثل الجيب". أدار رأسه في المكان، فهو يعتقد أن الجيب يمكنه السير. تذكر: هذا هو المنزل الذي استخدمه السائق هريشا مرحاضًا. بدا له أن من جاء إلى هنا في سيارة الجيب توقف هنا... حملت الريح إليه رائحة كريهة. لم يشم فيكتور فيها رائحة المقابر على وجه التحديد، وهو لم يزر المقابر كثيرًا. لكن بدا له، هنا والآن، أن الرائحة تنبعث من مقبرة. من مملكة الموتى.

شدّ الألم رأسه. تسلل الغثيان إلى حلقه. أخذ شامراي نفسًا عميقا ثم زفر. قام بهذا التمرين عدة مرات. نظرت إليه بيوت الأشباح بشبابيكها المفتوحة كالعيون وأبوابها الفاغرة كأنها ستلتهمه. زج فيكتور يديه عميقًا في جيبي سترته وجذب رأسه إلى كتفيه، تحرك بحذر عبر الساحة إلى الأكواخ الميتة. توقفت ورأى عصا صغيرة على جانب الطريق. انحنى وأمسكها بيده اليمنى. إذا دخل فجأة في عالم موازٍ، فعندئذٍ سيكون مسلحًا بطريقة ما... كلام فارغ. كان رأسه مرتبكًا. عاد إلى تمارين التنفس من جديد.

مشى فيكتور ممسكًا بالعصا في يمناه، عبر الفناء المهجور، دفع الباب المحطم جانبًا، ونظر داخل المنزل. صمت.

خطوة إلى الأمام.

القسم الثاني

العالم الحقيقي

1

- حسنًا؟

ألقى الطبيب نظرة مبهمة تجاه براجنيك وهو يتجاوزه نحو النافذة، حيث تقف كيرا بيريزوفسكا متكئة على حافتها. اسقر قربها، ثم ربّت بكفيه على جيبي بنطاله، وأدخل يده في المريول الأبيض، فخمّنت المحققة ما الذي يبحث عنه. ناولته علبة سجائرها.

- ليست سجائر نسائية - هزّ الطبيب رأسه، أخذ سيجارة، فاقترب منه براجنيك بشعلة ولاعته. أخذ مجّة عميقة، نظر الطبيب عبر زجاج النافذة إلى المطر الحزين في اليوم الثاني من شهر كانون الأول/ديسمبر. اليوم الثاني في فصل الشتاء وفق التقويم.

- حسنًا؟ - سأله النقيب مرة أخرى.

- سيعيش - واصل الطبيب النظر إلى قطرات المطر وهي تصطدم بزجاج النافذة.

- ألديك المزيد من التفاصيل؟

- لا أعلم. استرد وعيه، لكنه لا يتذكر أي شيء.

- لا شيء على الإطلاق؟ - رغب براجنيك في أن يلتقط الرجل ذا المريول الطبي الأبيض بقبضته، وأن يلصقه بالجدار حتى يسقط طلاؤه، أي حسب طريقة استجواب اللصوص محلوقي الرؤوس، التي مارسها خلال السنوات الأولى من خدمته في الشرطة.

- ذكر اسمه. طلب الاتصال بشخص ما ولم يذكر رقم الهاتف. أصيب بالصداع ثم بالغثيان. نحقنه بما نصفه لمثل هذه الحالات. وها هو نائم الآن.

- هل يمكنني استجوابه قريبا؟ - استفسرت كيرا.

- استجواب.. لا أعتقد - رفع الطبيب رأسه أن لا.

- ماذا عن التحدث معه فقط.

- في ما يتعلق بـ "التحدث فقط" لن أسمح بذلك في المستقبل القريب. بشكل عام، لن أسمح لأي شخص بالدخول باستثناء الأقارب المقربين. قريبًا ستكون والدته هنا، ليس لدي الحق في

طردها.

دخلت ممرضة ممتلئة الجسم الجناح على عجل وهي تمسك بهاتف الطبيب الخلوي في يدها الممدودة. نظر الطبيب إليها بتساؤل، أدارت الممرضة عينيها. تنهد الطبيب المحكوم عليه بالذهاب، وبدون حتى أن يستسمح محاوريه، التقط السماعة، ووضعها في أذنه، وقال لفترة قصيرة "أنا أستمع"، وبعد ذلك ترك حافة النافذة وتحرك ببطء صامتًا على طول الممر، إلا أنه نظر نحو بيريزوفسكا وبراجنيك، ومن دون أن ينبس ببنت شفة، غادر وحدة العناية المركزة.

كان فيكتور شامراي قد أحضر إلى هنا منذ ثلاثة أيام فاقدًا للوعي.

2

في البداية، لم يُعد السيارة التي استعارها من سائق إدارة التحرير هريهوري مارتينيوك. كانا قد اتفقا على أن يعيدها فيكتور في الرابعة من بعد الظهر. لكن الرابعة مرّت، ثم الخامسة والسادسة، وأخيرًا حلّت السابعة. خلال ذلك الوقت، كان هريهوري يتصل بشكل دوري بشامراي على هاتفه الخلوي فيصله ذلك الردّ المعهود "رقم المشترك المطلوب ليس في الخدمة حاليًا، يمكنك المحاولة لاحقًا"، وفي لحظة ما بعد السادسة مساءً، خرج الرقم من الخدمة تمامًا ولم يعد المشترك يستطيع تلقي المكالمة. لم يعرف هريشا ما العمل، وكيف يعيد سيارته المفقودة، ولم يجد طريقة أخرى سوى تقديم شكوى إلى مدير تحرير "حقائق لا تصدق" وهو يعيده إلى منزله نحو السابعة مساء. بعد ذلك، وجد هريهوري نفسه مضطرًا لتقديم بلاغ في قسم الشرطة، كان مترددًا جدًا في الحديث عن تأجيره سيارته الخاصة، على الرغم من أن القانون لا يحظر ذلك، ما لم يكن لدى الشرطة رغبة في التحقق حيث يمكن أن يعاقب لتهربه من دفع الضرائب عن تلك الأجور غير المصرح عنها. بطريقة أو بأخرى، وصل الخبر إلى براجنيك نحو الساعة التاسعة مساءً، عندما سمع صدفة بلاغًا عن فيكتور شامراي، الموظف في مكتب تحرير صحيفة "حقائق لا تصدق"، وهو مطلوب للاشتباه في قيامه بسرقة سيارة.

بعد فقدانه سيارته المحبوبة، لم يكن أمام هريشا إلا أن يتهم صديقه بسرقتها، لأنها الطريقة الأسرع لاستعادتها كما ظن. لماذا احتاج شامراي إلى سيارة، لم يعرف هريهوري، لأن ذلك "اللقيط" لم يخبره. ومع ذلك، فإن نقيب الشرطة المفروز إلى دائرة التحقيقات الجنائية سيرهي براجنيك، الذي لم يقض عبثًا نحو عقدين من الزمن في تلك الدائرة، ليس عليه أن يكون أستاذًا في الرياضيات لحل مشكلة كهذه. على الرغم من انعدام المعلومات حتى تلك اللحظة، لكن كانت لديه أسباب كافية للتحرك. أرسل براجنيك طلبات تحر إلى جميع نقاط التفتيش في اتجاه أوفروتش وناروودنيتسك. رغب في التحقق في ما إذا كانت دوريات الشرطة الخاصة هناك، بين الساعة العاشرة والثانية عشرة صباحًا قد رصدت لوحة فولفو الزرقاء رقمها كذا وكذا. ولكي يفكر زملاؤه بسرعة أكبر، شدّد على أن السيارة مطلوبة، ويقودها مجرم خطير بشكل استثنائي. تبين أن نتيجة البحث كانت متوقعة. صرّح الملازم أول بوزير: في الصباح، مرّ رجل في سيارة فولفو زرقاء عبر نقطة التفتيش حيث يخدم، في الاتجاه المشار إليه. بالطبع لم يسجل الشرطي رقم لوحة السيارة. لكنه تذكر السائق الذي قدم نفسه على أنه فيكتور شامراي. شرح بوزير كيفية تذكره أسماء المواطنين العاديين بكل بساطة. وذكر أنه قبل بداية الشهر خلال مناوبته، كان الشخص عينه قد مر بنقطة التفتيش. عرّف الرجل على نفسه بأنه صحافي، وأظهر أيضًا بطاقة تعريفية عليها اسم صحيفة مألوفة، حماة بوزير مشتركة فيها، وتقرأها بانتظام وباهتمام. حتى أن الملازم أوضح أن حماته لا تدفع في مقابل الاشتراك في تلك الصحيفة بل هو، صهرها، مجبر على دفع بدلات الاشتراك

لسنوات من جيبه الخاص. أهكذا تفعل الحماة بزوج ابنتها، فليمد الله بعمرها سنوات عديدة. لكن فلتذهب إلى الجحيم حماة بوزير تلك، قارئة الصحيفة النهمة، ولنعد إلى نقطة التفتيش، فالفولفو الزرقاء لم تعد. ربما هناك طرق أخرى. لكن حاسة المحقق لدى براجنيك أنبأته بأن فيكتور شامراي لم يعد إلى جيتومير اليوم.

لم يكن هناك جدوى من التوجه إلى بيدليسني الآن، في الليل. ولم يكن لدى النقيب شك في أن الصحافي قد ذهب إلى هناك باحثًا عن معجزة أو بسبب الخوف. لا جدوى من التوجه إلى هناك، وليس من المنطقي إطلاق عملية بحث في المنطقة الشاذة، لأن هذا يتطلب التنسيق مع مجموعة من المسؤولين، والأهم من ذلك، مع وحدة خاصة من وزارة الطوارئ. القضية لن تتزحزح حتى الصباح، خاصة أنه لا يوجد ما يثير الدهشة في اختفاء شخص أخذ سيارة شخص آخر وقادها على طول الطريق السريع في وضح النهار. كانت لدى براجنيك شكوك كبيرة في أن عملية البحث يمكن أن تبدأ فعلًا خلال الاثنتي عشرة ساعة المقبلة.

بقي في الانتظار، وفجأة بدأت الأحداث تتخطى الخطط. وهكذا حدث ما حدث، ففي السابعة صباحًا، أفاد الملازم أول بوزير بأنه عثر على فيكتور شامراي، الذي كان مدرجًا على قائمة المطلوبين، بدون سيارة.

وجده فاقدًا للوعي.

3

- فلنبدأ من جديد.

- اسمع أيها النقيب، أتمزح معي، أم ماذا؟ أرى أنك ترغب بإنهاكي، أليس كذلك؟ - لم يهدد بوزير ولم يكن مستاء، بل كان مرهقًا. كل ما في الأمر أن الضابط، قبل انتهاء موعد مناوبته وتسليم نقطة التفتيش إلى ضابط آخر بعد يومين بعد يوم من الخدمة، والتوجه للراحة، كان عليه أن يجلس في قسم التحقيقات الجنائية طوال الصباح وأن يعيد مرارًا وتكرارًا ترداد أجوبته على الأسئلة نفسها. استجوبه النقيب أولا، ثم حل محقق آخر مكانه، فعلى الرغم من أنه كان مساويًا لبوزير في الرتبة، إلا أنه كان أكبر سنًا ومكانة منه، فهو ضابط دورية أما ذاك فموظف في قسم التحقيقات الجنائية في المدينة، وتحديدًا في قسم الاستقصاء. ثم دخل المكتب رجل في ملابس مدنية، وعرّف عن نفسه بأنه رائد، ورئيس قسم، أخرج بوزير من المكتب وبدأ التحقيق من جديد. ثم، ومن دون أن يستمع إلى النهاية، لوح بيده ودفع الأوراق إلى الأمام، وأمره بالإدلاء بشهادة مكتوبة. "لقد كتبت بالفعل..."، ضحك بوزير، ولكن تبين أن الرائد كان حازمًا في طلبه: "سوف تكتب مرة أخرى. ربما تتذكر شيئًا آخر قد فاتك". ما الذي فاته، لم يكن هناك أي شيء آخر...

والآن، عاد النقيب براجنيك مرة أخرى. أراد بوزير أن ينام، أن يتناول الطعام ويشرب كأسين من الفودكا، بل كأسين من الساموغون[22] القوي المقطر من الأعشاب، يحظى بهما الصهر بعد مناوبته عادة من حماته. صحيح أن معظم أيام بوزير تخضع لقانون منع الكحول، فالحماة التي يعيش معها تراقبه عن كثب، وتحرص ألا يشرب صهرها الشرطي بقدر ما يريد لكن بقدر الإمكان. من الأفضل أن يشرب في المنزل باعتدال مع تناول وجبة خفيفة جيدة، على أن يدور من مكان ما خارج المنزل مع أصدقائه المزعومين، فيشرب بدون حساب ويزدرد شطرتين. باختصار، أراد ميكولا بوزير الاسترخاء بطريقته المعتادة وفهمه سيرهي براجنيك تمامًا.

- لا أحد يرغب بإنهاكك يا عزيزي. أرى أنك عندما تركتك، قلت الشيء نفسه عدة مرات. حتى أنك كتبت ذلك - أشار النقيب برأسه إلى الورقة التي ملأها المستجوب على حافة الطاولة - طوال هذا الوقت كررت كل شيء كلمة بكلمة. حفظت قصتك عن ظهر قلب، مثل الاستظهار في المدرسة، أليس كذلك؟

- نعم، الاستظهار في المدرسة ليس كهذا... - عبّ بوزير الهواء من أنفه، ما جعل براجنيك يبدو أكثر تعاسة.

- أنا أتحدث عن هذا.. من الممل أن نكرر الشيء نفسه كالببغاوات. لذا، أأمكنك تذكر شيء جديد خلال هذا الوقت؟ ربما بعض التفاصيل الصغيرة التي طارت من رأسك أثناء محادثتنا الأولى. هل هناك شيء من هذا القبيل؟

- لا أعرف - شهق بوزير مرة أخرى - اسمع، أحضر لي بيرة على الأقل...

- لنتحدث الآن، سأرتب كل شيء، سأدعك تنام - وعده براجنيك من كل قلبه، لقد شعر حقًا بالأسف تجاه زميله، وجد نفسه داخل مشكلة بدون رغبته.

- لكن أولًا، سأصحبك في نزهة قصيرة، نتناول البيرة وسأصب لك مئة. أنا شخصيًا لم أنم في الليل، وأعلم كيف حالك - عند سماعه لفظة "مئة"، انفرجت أسارير بوزير.

- حسنًا، ماذا يمكنني أن أفعل... أنعيد كل شيء مرة أخرى...

- هيّا - شجعه براجنيك - من البداية. كم كانت الساعة؟ السابعة صباحًا؟

- ربما... حسنًا، فلنقل بين السابعة والسابعة والنصف - قدر بوزير. لم يعد هناك ليل، لكن الظلام ما زال مخيمًا. كان المشهد رماديًا هكذا، كما تعلم... نعم، والمطر... باختصار، ضباب فوق الغابة. ليس كثيفا... كان متوسطًا... يعني تركت غرفة الحراسة تلك... بدافع الضرورة باختصار...

- وبعد ذلك؟ - حثّه براجنيك على المتابعة.

- نعم بسرعة! - أيده بوزير عن طيب خاطر - تحديدًا.. يبعد المكان عن غرفة الحراسة نحو عشرة أمتار. أقسم لك إنني لم أر أمامي شيئًا. في الحقيقة، لم يكن هناك شيء ولا أحد. وهنا - فجأة لوح الملازم أول بيده بحدة - لم يكن موجدًا ثم ظهر وكأنه من الضباب. أو من الفراغ. صدقني كدت أن أدوسه.

- فيكتور شامراي؟ - سأله براجنيك.

- هو، هو! - أومأ كوليا[23] برأسه أي نعم - في البداية لم أر سوى رجلًا مستلقيًا على وجهه على الأرض - أغمض عينيه ثم فتحهما موضحًا كيف حصل الأمر بالضبط - كنت ذاهبًا لأتبوّل... لم يكن هناك أحد قبل بضع ثوان. ولم أسمع شيئًا وهذا الأهم. لست وحدي في نقطة التفتيش، لسنا كثيرين هناك...

- لا تشتت انتباهك - قاطعه النقيب - إذن، رأيت رجلًا مستلقيًا على وجهه. ما الذي حدث بعد ذلك؟ تذكر بالثواني إذا استطعت.

- كيف بالثواني أيها النقيب؟

- حسنًا، أخبرني ما الذي فعلته.

- تحديدًا - هز بوزير كتفيه - باختصار، انحنيت ولمسته بيدي. لم أتمكن من معرفة ما إذا كان حيًا أم ميتًا. ثم ادرته على ظهره. في البداية، وجدت نبضًا في رقبته. لا داعي للقلق فهو على قيد الحياة. ثم سحبت مصباحًا يدويًا وأشعلت الضوء على وجهه. كان موحلا فمسحت بعض الوحل بيدي واكتشفت أنه هو، شامراي، الشخص المطلوب. أعني، ناديت على الرفاق على الفور عبر اللاسلكي اليدوي. حملوه إلى غرفة الحراسة، غسلوا وجهه بالماء، واستدعوا الإسعاف...

- هل كان هناك دم؟ - قاطعه براجنيك.

- منه، من شامراي؟ لا أعتقد...

- "أعتقد" أم "لا"؟

- لا - قال بوزير بثقة - لا. كان مغطى بالوحل، كما لو أن أحدًا سحله فوق التراب. لكن لم يكن هناك دم، كنا لنلاحظ ذلك. نعم.

- قبل وصول سيارة الإسعاف، هل عاد شامراي إلى رشده؟

- أحدنا، بيتيا كروهليك، سكب الماء عليه أكثر من مرة، وربت على خديه. فتح عينيه وسأل عن مكانه ومن نحن. بدأت أتحدث معه، لكن أغمي عليه مرة أخرى. هذا كل شيء، أيها النقيب، لن يخبرك أحد أكثر. جاءت سيارة الإسعاف، فنقلوا شامراي إليها. بدا كأن العالم الآخر تقيأه هناك. أخذه الأطباء. وأنت أخذتني في السيارة - نشر بوزير يديه.

- نعم - تنهد براجنيك، وهو يستوعب ما سمعه غير مرة منذ الصباح محاولًا أن يجد بعض فتات المنطق في الأحداث - قلت من العالم الآخر. لماذا قلت ذلك يا كوليا؟

- إذن كيف؟ - بدا مندهشا حقا - لم يكن وفجأة ظهر هناك! مباشرة أمام عيني، كما لو أنه خرج من الضباب فجأة!

- ألم يخبرك شامراي إلى أين كان متوجهًا في الصباح؟

- قال. وقد أبلغت عن هذا أيضًا. كان مهتمًا بإحدى الفتيات، على ما يبدو، قبل أسبوع، أو شيء من هذا القبيل، وقد عثر عليها أيضًا في مكان ليس بعيدًا عن موقعنا على الطريق السريع. لكن ذلك ليس من شأني، الحمد لله... اعتقدت أن شيئًا ما سيصيبني، لكن لم يحصل. ثم كتبوا عن ذلك...

- تحدث عن الموضوع - بدأ الملازم أول بوزير يتعب براجنيك بنقّه - تقصد أنك لم تر الفتاة؟

- لم أرها. أنا لا أعرف عنها شيئًا. لا من هي، ولا إلى أين ذهبت، ولا ما الذي سعت وراءه. من الواضح أن شامراي توجه مرة أخرى إلى منطقة بيدليسني، يا لها من منطقة شاذة...

- منطقة شاذة إذن؟ - سأله براجنيك.

- نعم، هو نفسه كتب في جريدته. للمناسبة لم يعترض أحد آنذاك - ومضت عينا بوزير بمكر. فانحنى النقيب على كرسيه.

منطقة شاذة.

خلال أسبوع، سقط شخصان ضحيتها. الفتاة، تمارا توميلينا، التي من الواضح أنها كانت تعاني نوعًا من الاضطراب العقلي المرتبط ببيدلسني، توجهت إلى هناك في النهاية، بعدما جربت كل الطرق للتخلص من التأثير غير المفهوم لهذه المنطقة عليها. وجدت نفسها في بيدليسني في منتصف الليل، اختفت تمارا وبعد مدة عُثر عليها بشكل غير متوقع. فقدت جزءًا من ذكرتها، فعلى الرغم من أن ذاكرتها كلها لم تختف إلا أن بعض الثغرات فيها. ثم حاول فيكتور شامراي، الذي لم تكن له علاقة ببيدليسني، باستثناء أنه كان هناك، استكشاف المنطقة الشاذة، وكما توصف، كان مقتنعًا بوجود خطي ما في بيدلسني. ليس من الواضح أي مصيبة أرغمته على التوجه إلى هناك أمس من دون أن يخبر أحدا. والنتيجة كانت أنه اختفى فورًا ثم ظهر كما ظهرت تمارا، كأنه خرج من العدم. لم يكن هنا وفجأة صار هناك. الأمر أشبه بخروجه من عالم موازٍ.

في كلتا الحالتين هناك شهود. على الرغم من ذلك، لم ير سائق الشاحنة ولا الملازم أول بوزير بعيونهما كيف انتقل كل من تمارا وفيكتور من عالم إلى آخر. كلاهما، بغض النظر عن مدى كوميدية الفكرة، كانا ذاهبين لقضاء حاجتهما، وفي تلك اللحظة ظهر الآخران حرفيًا أمام أعينهم من العدم. في كلتا الحالتين، سافرت الضحيتان إلى بيدليسني بالسيارة. لم يعثر على بيجو تمار الفضية ولا الفولفو الزرقاء التي كان شامراي يقودها. بحثت الشرطة عن سيارة الفتاة بدون جدوى، ولم تبحث عن سيارة هريشا مارتينيوك بعد، لكن براجنيك كان متأكد لسبب ما أن أحدًا لن يجدها. في كلتا الحالتين، لم تظهر أي آثار للعنف الجسدي على جسدي الضحيتين.. تقريبا، سوى الكدمة الدموية الصغيرة في مؤخرة رأس توميلينا، وإن لم يكن بالخطورة، كدمة مشابهة في مؤخرة رأس شامراي.

ألقى المحقق نظرة طويلة على الملازم أول كوليا بوزير، وقرر أنه اكتفى منه، فليذهب إلى منزله. وعده بمئة غرام وقنينة بيرة. سيفعل ذلك. كما أن زجاجة من البيرة لن تؤذي براجنيك نفسه. كان هناك شيء ليفكر فيه. وقد تجاوزت أفكاره المنطقة الشاذة وتأثيرها المدمر على الناس.. كما اتضح.

4

بعد تسريحه من الجيش، رغب سيرهي براجنيك في الانضمام إلى الشرطة. لم يشجعه أحد. لم يحدث شيء في حياته من شأنه أن يؤثر على اختياره هذه المهنة. على عكس كثيرين ممن عملوا في الشرطة، من أبناء دفعته أو ممن جاءوا من بعده، لم يندم براجنيك أبدًا على خياره. لم يكن لديه وقت للتفكير في فلسفة الخيارات. شعر بأنه في مكانه الطبيعي، ومنذ البداية لم يتوقع أي قصة حبّ في مكان العمل ولم يعتبره مكانًا للحصول على راتب من شأنه أن يسمح لمتذاك بالالتفاف حوله للحصول على مصادر دخل مختلفة. في الوقت نفسه، لم يعتبر سيرهي براجنيك نفسه شرطيًا صادقًا. لقد احتفظ دائمًا بحقه في خرق القانون إلى الحد الذي يخوله الكشف عن الجريمة التالية. يسهل عليه التفاوض مع مدمن مخدرات أو لص أو عاهرة أكثر من التفاوض مع رجل أعمال أو سياسي محلي. كان يتفاداهم ببساطة ويتخلص منهم، ما إن يحاولوا التدخل في عمله بطريقة ما. في الواقع، ساهمت هذه السمة الشخصية في ترسيخ صورة عنه لمدة عشر سنوات تظهر أنه متعصب في عمله ومتزمت في التزامه، وكان زملاؤه مقتنعين بشدة بأنه إن لم يُقتل أثناء أداء الواجب، فإن هذا النقيب لن يحصل على ترقية حتى يحين موعد تقاعده.

عام 1986، لم تعد أفغانستان سرًا عسكريًا، ولم تكن مهمته أداء واجب دولي ما بل الانخراط في حرب مستعرة على الجبهات، في حين أن الدولة لم تعلن حالة التعبئة العامة. كان الفكرة الوحيدة التي تدور في رأس المقاتل من الجيش السوفياتي حين يصل إلى جمهورية أفغانستان الديمقراطية: "أين رمى بي الله". كان المتطوعون لا يزالون هناك، وعلى رأسهم الضباط الذين حاولوا جعل خدمتهم في الخارج مفيدة اقتصاديًا، أما الفتيان من المقاتلين فكانت مهمتهم مشوبة برومانسية ما، غير مفهومة حتى بالنسبة إليهم. ولكن في ذلك الوقت، عام 1986، لم تدر الحرب في أفغانستان فقط، بل كانت حربها ستنتهي قريبًا. كانت هناك حرب أخرى، لم يتحدث أحد عنها بصوت مرتفع، بل كان يُهمس عنها بين أمهات الجنود والقوى ذات العقلية الديمقراطية وفي أوساط المجتمع الدولي. إلا أن الشعور الوحيد لديه كان: لقد سئمت من أفغانستان بالفعل، من الجحيم، من القوات المسلحة السوفياتية والحكومة السوفياتية التي اتجهت إلى البيريسترويكا والديمقراطية والغلاسنوست. لم يتطوع سيرهي براجنيك للذهاب إلى الحرب لأنه لم يكن أحمق، لكنهم جنّدوه. كان مجندًا طويل القامة وممتلئ الجسم ويتمتع بصحة جيدة، باستثناء التهاب الزائدة الدودية المستأصل، فأرسل للالتحاق بالفرقة "الأفغانية". تقبّل الأمر، واعتبره مفروغًا منه، ولم يقضم أظافره، مثل بعض المجندين.

ثم أتت الحياة المدنية بعد التسريح، لم يستطع المحارب الأفغاني تذكر أي شيء مميز من خدمته هناك. لا الزي، ولا المتاريس، وتمشيط القرى، ومرافقة القوافل، وأحيانًا السلاح الأبيض. زرع مع رفاقه قاذفات للقنابل ومدافع مضادة للطائرات من كمائن جبلية أو دخلوا في معارك قصيرة

في مكان ما بالقرب من القرى أو الممرات. لكن، على ما يبدو، كان براجنيك محظوظًا: فقد أصيب مرة واحدة برصاصة وخسر قطعة من لحم فخذه، والتأم الجرح في غضون أسبوعين. وبطبيعة الحال أطلق النار على العدو أيضًا، وكان سيرهي محظوظًا، ربما لأنه حين كانت تنفد ذخيرته كان يسهل عليه الحصول على ذخيرة من الآخرين، أو ربما لأنه خدم في منطقة غير مدرجة في المصالح العسكرية الاستراتيجية لقادة المعارضة الأفغانية المسلحة. بطريقة أو بأخرى، وضع براجنيك لنفسه هدفًا وهو "الخدمة للخدمة". وعندما عاد إلى وطنه جيتومير، لم يعتبر نفسه على الإطلاق بطل حرب أو ضحية للنظام.

في مكتب التسجيل العسكري، عندما حصل على بطاقة الاحتياط، تعرف ضابط شرطة عليه، وعرض عليه مواصلة الخدمة لكن في الشرطة، وباعتباره "أفغانيًا" سيحصل على شقة منفصلة. حسم براجنيك أمره. بعد التخرج من مدرسة الشرطة، عمل مناوب دورية، وتمكن سيرهي من الزواج من زميلة له تتخذ الأمور على محمل الجد أيضًا.. كما في الجيش. عندما وُلد طفلهما الأول، مُنح المحقق المبتدئ الفرصة لتحسين ظروف معيشته، فقد عمل بجد وفعالية خلال السنوات الأخيرة، وتبين أن التقارير الموقعة من قبل السلطات لا تزال تعني شيئًا ما، ولديها فوائد.. ثم انهارت الدولة ونشأت الدولة الحديثة، فعاد إلى قطاع الطرق. شعر في أوائل التسعينيات الحارة أحيانًا وكأنه في حرب تنصب فيها الكمائن وتنتهي بمعارك مسلحة. لن يشكره أحد في ختامها وكذلك لن يغطيه أحد. كل ما في الأمر هو التمسك بمصدر العيش، فلم تظهر لديه أي رغبة بأداء دور البطل للوصول إلى هدف غير معروف. اتسم موقفه في عمله بالهدوء التام بغض النظر عن الخراب من حوله، فحصل على سلطة معينة بين زملائه. لم يخافوه، لكن احترموه لامتلاكه القدرة على التحلي بالحصافة حيث تتطلب الظروف ذلك، ثم التهور في الحالات التي لا تقتضي سوى التهور.

مرت عشر سنوات منذ أن هدأت آخر أعمال الشغب المنظمة في البلاد. أولئك الذين لم يُقتلوا كان مصيرهم السجن لمدة طويلة، أما الذين نجوا وتمكنوا من النزول بسرعة من قطار الجريمة المنظمة، فقاموا بإضفاء الشرعية على رأس المال الذي تمكنوا من توفيره، والآن هم منخرطون في البزنس أو سياسية على المستوى المحلي من خلال تمويل بعض الأحزاب أو التعاون مع قياداتها، فيفسح لهم المجال لمزاولة أعمالهم الخاصة، وما يميّز بينهم بشكل ملحوظ ويقسمهم إلى قسمين هو طبيعة الأعمال إن كانت تتضمن القتل أو السرقة، ففي ذروة مرحلة الجريمة المنظمة السابقة، كانت كل ثماني حالات موت عشر مرتبطة بحروب العصابات والانقسامات وإعادة توزيع الأراضي. لذلك، بقي هؤلاء المجرمون تحت مجهر البحث الجنائي مع كل جثة جديدة تظهر على الرغم من أن الكثير من قضايا القتل لم تُحل. يتداخل هذان القسمان الإجراميان أحدهما مع الآخر أحيانًا ويتعاونان، ويساهم في ذلك موقع جيتومير الجغرافي، فتمتد خيوط الجرائم نحو كييف والحدود الروسية شرقًا، وإلى حدود المقاطعة غربًا. لا يمكن الكشف عن تطور في قضية ما من دون الوصول إلى خيوط تقود إلى محقق متورط قد يكون خضع لعملية ضغط من المجرمين أن نال حظوة ما، فيما يحاول المجرمون المتورطون إيجاد لغة مشتركة وإجراء اتفاقات مجدية مع المحققين للتقليل من شأن القضية. لكن، حتى في تلك الأوقات، كان من المستحيل نظريًا الاتفاق مع سيرهي براجنيك.

لكن على مدى السنوات العشر الأخيرة اختفت الحاجة إلى مثل هذه الاتفاقات. لأن الزمن تغير. كان يواجه نوعًا آخر من الجرائم ومعظمها جرائم منزلية، أو كأن يقتل شخص في حالة سكر آخر لا يقل عنه سكرًا بفأس، ويقطع جثته قطعًا صغيرة، تظهر في المجاري أو حاويات القمامة في المدينة. أو أن يطارد شابًا مدمنًا على المخدرات يسلب المارة هواتفهم الخلوية، ذات مرة قاومته الضحية فطعنها بسكين حتى الموت. باختصار، كان يُكشف عن هذه الجرائم بسرعة كبيرة، وتتضمن عملية الكشف مطاردة ساخنة إذا لم يكن لدى الجاني الوقت للاستيقاظ والخروج من المدينة. لم يكن هناك جدوى من الضغط على المحققين لإغلاق أعينهم عن شيء في مثل هذه الجرائم، وفي الواقع، لم يكن هناك أحد ليضغط. ومع ذلك، كانت هناك حالات أكثر خطورة. فإذا ما كان رئيس قسم التحقيقات الجنائية في اجتماع مع رئيس الشرطة، وأسفر الاجتماع عن أن القضية تحتاج إلى تقص من نوع خاص قد يطول أمده، ويمكن أن تقود القضية المحقق إلى مزالق، كان يُرشح النقيب براجنيك للعمل عليها، لكن ليس وحده بل كان يتشاركها مع المحققة كيرا بيريزوفسكا، كما في قضية قتل المصرفي بيدوبني لأنه، بعد تحليل الوضع من جميع الجهات، توصلت إدارتاهما إلى استنتاج مفاده أن الجريمة ليست لديها أبعاد سياسية. فعلى الرغم من أن نطاق هذه الجريمة محلي بحت، إلا أن مقتل بيدوبني بالنسبة للأشخاص الجادين والمؤثرين قضية مزعجة وغامضة، وبالتالي فإن تفكيكها سيكون على عاتقي المحقق الغريب و"السيدة الحديدية" في مكتب المدعي العام كيرا أنطونوفنا، التي اعتبرتها مؤثرة على المصالح الشخصية للنخبة السياسية المحلية ورجال الأعمال المحليين.

5

التقى براجنيك بالمحققة كيرا بيريزوفسكا عندما حارب المجرمين وقطاع الطرق المحليين بدرجات متفاوتة من النجاح. كان ضابط قسم المباحث الجنائية ومحققة مكتب المدعي العام شخصين مختلفين، وتطورت حياة كل منهما بطرق مختلفة. من المدرسة، تعلمت كيرا أن مظهرها غير ملفت ومستوى جمالها متواضع، وتزيده تواضعًا نظاراتها التي وصفها لها الطبيب في سن السابعة بسبب قصر النظر. انطلاقًا من ذلك قامت الفتاة بتقييم كل ما كان يجري حولها، فبينما التحقت زميلاتها بقطار الزواج وأنشأن أسرًا باتت في الثامنة والثلاثين. طبعًا لم تكن عذراء "بريئة"، فقد "مارست الحب "أيضًا ضمن عدة علاقات، إلا أنها لم تفكّر في الحب نفسه، فقد كانت مغامرات جنسية حدثت بمبادرات منها. وفي الصباح التالي لكل منها، كانت "المغامرة" تغض عينيها بخجل، تضرب خديها بكفيها، وتغادر بسرعة. لم تفهم لماذا لا تمنحها العلاقات الجنسية أي متعة جسدية، ولم تدرك مدى درجة برودتها، فاحتاجت كيرا إلى مغامرات "رومنسية" متتالية والتردد إلى طبيب مدفوع الأجر. فهي من جميع النواحي الأخرى امرأة تتمتع بصحة جيدة في سن الإنجاب ويمكنها أن تنجب مجموعة من الأطفال. لم تشعر كيرا بتحسن يُذكر. كانت ترى بأم عينيها كيف تتزوج النساء، اللائي لا يفقنها جمالًا، وقد تتزوج إحداهن مرات، ويسعى الرجال بهمة للحصول على عاطفتها. تلد النساء أطفالًا ويسعدن، حتى عندما تتصرف الحياة بطريقة تترك هؤلاء الأطفال لقدرهم ويكون عليهم أن يربوا أنفسهم بأنفسهم. لم ترغب كيرا في ذلك.

أولا، شعرت بأنها محكوم عليها بأن تكون أمًا عزباء لو حصل حمل.. كما أن وظيفتها غير ملائمة لتربية طفل. لذلك، قررت التخلي عن الأمومة.

ثانيًا، كيف يمكنها الاحتفاظ بزوجها وأب أطفالها. لقد فهمت تمامًا أن لا قدرة لديها لترغيب زوجها الوسيم في عدم رؤية سواها لبقية حياته. تعتمد السعادة العائلية على جمال الأنثى في المنعطف الأخير، علاوة على ذلك، حتى أولئك النساء اللواتي لا يتمتعن بالجمال يتفوقن على كيرا، فليدهن ما يقدمنه للرجل في السرير وهن قادرات على الاستمتاع كذلك، وراضيات عن أنفسهن. بطريقة ما، من زاوية أذنها، سمعت مرة عن طريق الخطأ وصفًا محددًا لها: "مسترجلة". أحسّت للوهلة الأولى بأنها إهانة، ثم بعد التفكير، أدركت أنها الحقيقة، وهي مسيئة بالفعل لأنها حقيقة، ووحده الأحمق يعتبرها إهانة. لم تعتبر نفسها غبية، فكرت منطقيًا: من الصعب على رجل عادي تحملها حتى لو ولدت منه مئة طفل. وهي نفسها لا تحتاج إلى أي شيء غير طبيعي، فقد أخبرها شخص ما أن هناك علاج لحالتها لكنها قررت ألا تزعج نفسها بالهراء، وأن تضع صليبًا قاسيًا على حياتها الشخصية وأن تنغمس في العمل حتى أذنيها. لم تقلق كيرا أنطونوفنا بيريزوفسكا بشأن أي شيء في هذه الحياة سوى الخدمة كمحققة في مكتب المدعي العام. وبالتالي، كان من المستحيل عليها تقريبًا الاهتمام بأي شيء آخر. حصلت على شقة في وقت ما، وكانت غرفة واحدة كافية لها، ولم

تكن هناك حاجة لمتابعة أحدث صرعات الموضة، ولم يكن لديها هوايات خاصة، ما يعني أنه لم يكن لديها نقاط ضعف.

ليس من المستغرب أن يشعر سيرهي براجنيك بانجذاب غريب إلى هذه المحققة. لا، لم تجذبه كامرأة بالطبع. فهو لم يستغل منصبه للحصول على المتعة الجسدية في يوم من الأيام، فالعديد من القضايا كانت تتعلق بالبغايا ودورهن، كما أن كثيرات عرضن عليه ذلك، لكن معظم زملائه وزميلاته كانوا يستغلون مناصبهم الرسمية للحصول على تلك المتع من دون عذاب ضمير تجاه زوجاتهم وأزواجهن. بهذا المعنى، تبين أن سيرهي قديم الطراز، فقد اكتفى بامرأته ولم يفكر بأي تنويع في العلاقات الحميمية خارج عش الزوجية. لكنه تجاه المحققة القبيحة القاسية شعر بروح العشيرة، كما هي الحال في حكاية ماوغلي.. شعر برابطة الدم. ولم يكتف النقيب والمحققة بتلمّس هذا الارتباط، بل كانت القرابة بين روحيهما محسوسة على أعلى المستويات، خاصة في الآونة الأخيرة، كان عليهما العمل معًا بشكل متزايد. لن يتمكن أحد آخر، سوى هذين المحترفين المتزمتين، أن يحلّ قضية مصرع بيدوبني. وأكدت الاستنتاجات الأولى التي توصل إليها براجنيك، ولم تنكرها بيريزوفسكا، أن الأمر ليس معقدًا للغاية كما يبدو.

6

بعد شربه مئة غرام من الفودكا، وإطفائها بزجاجة بيرة، جلس كوليا بوزير بشكل مريح إلى الطاولة، فوضع براجنيك بين شفتيه سيجارة وأشعلها له، فحاول بشكل واضح مواصلة المحادثة عن طيب خاطر. لم تعد الحياة تبدو سيئة لكوليا، غدت رائعة على الرغم من كل الصعوبات، أراد التحدث إلى سيرهي الآن. إلا أن خطط براجنيك لم تتضمن الترفيه عن الشاهد، الذي تبين أن شهادته لا جدوى كبيرة ترتجى منها. لذلك، انتظره بصبر لإنهاء سيجارته، ثم طلب خمسين غرامًا أخرى له، وحذره على الفور من أنه لديه عمل ينتظره. بدا الانزعاج على بوزير بشكل واضح، شرب الخمسين، وبعد وقفة قصيرة تذكر: "يا أخي، حتى في الكوخ السيء يصبّون ثلاث مرات". بعد شربه الكأس الثالثة، كاد براجنيك أن يسحبه من المقهى بالقوة ويرميه في الشارع، ولكن قبل ذلك، بناءً على طلب كوليا المُلح، سجل رقم هاتف النقيب في ذاكرة هاتفه المحمول، ووعد بالاتصال "إذا ما استجد شيء". ولكن بمجرد اختفاء بوزير خلف زاوية المبنى، وبخ النقيب نفسه لسلوكه الطفولي، فطلب لنفسه نصف ليتر من البيرة في كوب بلاستيكي، وجلس على الطاولة، وأشعل سيجارة، وبدأ في استعادة المعلومات الأساسية عن قضية بيدوبني. أثناء اللقاء مع الصحافي شامراي، لم يقل براجنيك وكيرا بالطبع كل شيء، خاصة أن هذا الدخيل لا يحتاج إلى معرفة كل شيء. في الواقع، كان المحققان قد حددا دائرة المشتبه بهم في اليوم الثالث بعد الجريمة واتضح أنها ضيقة نوعًا ما، على الرغم من صعوبة تحديد أسماء المتهمين..

لذلك، فكر براجنيك: لنبدأ من جديد. لم يكن المصرفي الراحل منخرطًا في السياسة، على الرغم من أنه في أوقات مختلفة، مع أخذ أوضاع معينة في الاعتبار، قرر تمويل بعض المشاريع السياسية. ولم يكن بيدوبني شخصية رئيسة على رقعة الشطرنج السياسية في جيتومير ومقاطعتها، على الرغم من أنه كان يتمتع بحصانة نائب في مجلس المدينة. لكن بالحكم على أداء ممثلي المعسكرات السياسية المختلفة تمامًا وحادثة القتل، خلص مع كيرا إلى أنه: لا توجد رائحة للسياسة هنا. وأكد براجنيك ذلك بحجة قوية: منذ البداية، لم يكن هناك أدنى ضغط على البحث والتحقيق، باستثناء الأمر المعتاد في مثل هذه الحالات: "انته في أقصر وقت ممكن!"

كان من المرجح أن تتجه الشكوك إلى أن الجريمة سببها صراع تجاري تنافسي لو قُتل المصرفي قبل عشر سنوات على الأقل، أما الآن، في ظل الأزمة الاقتصادية متزايدة العمق، تحترق البنوك من دون أي تدخل خارجي. بعد تحدثه وجهًا لوجه مع العديد من موظفي القطاع المصرفي، سمعهم يقولون إن هناك فرص جيدة للغاية حين تبدأ البنوك قريبًا في الاندماج وتشكيل مجموعات مصرفية مشتركة. لذلك هناك فرص أكبر للبقاء على السطح والنجاة من الأزمة التي تلوح في الأفق ولا داعي لتصديق الصحف والتلفزيون. في الواقع، غن فقدان فرع جيتومير في بنك رودوسلاف مديره لن يجعل الحياة المهنية لأي موظف من مرؤوسيه أسهل. لذلك، قدم زملاء بيدوبني وموظفو

البنك شهاداتهم لبراجنيك عن طيب خاطر وبنشاط. وهو لم يصادف مثل هؤلاء الأشخاص إلا نادرًا، إلا أنه كان لديه فكرة معينة عنهم وعن مبادئ حياتهم. على سبيل المثال، فإن موظفي البنوك العاديين كانوا مترددين جدًا في إجراء اتصالات مع محققي الشرطة. وفجأة ها هي المكالمات تنهال عليه والكل يرغب في الإدلاء بشهادته. الكل يريد المساعدة. بدا لبراجنيك كأن القتيل ليس له أعداء، وهو أمر مستحيل ومريب في آن. فمن الطبيعي أن يكون لدى المصرفيين دائمًا أعداء. صحيح أن هؤلاء الأعداء لا يطلقون النار من مسافة قريبة أو يقطعون ضحاياهم بالسكاكين أثناء هجمات الغضب في حالة سكر.

حتى فرضية الانتقام العادية تلاشت. لم يسرق بيدوبني زوجة أو عشيقة أي شخص. على الرغم من عدم معرفة أحد بتاريخ علاقته بتمارا توميلينا، إلا أن هذه القصة، في الواقع، غير مفيدة، لأنها لا تحتوي على عنصر فاضح بشكل علني. حسنًا، التقى رجل ثري بفتاة فقيرة. حسنًا، أصبحت عشيقته. حسنًا، لقد اشترى شقة. حسنًا، إنها كذلك. لا شيء مميز. ولدت فكرة التورط في قتل عشيقته واختفت بسرعة، فقد ترك موته تمارا بلا مصدر رزق. بالطبع، لم ترفض كيرا الفكرة تمامًا، وكان من الممكن التنقيب لفترة طويلة والكشف في النهاية عن بعض الحقائق المخفية في علاقة العشيقين. لكن الحاجة إلى البحث في ملابسهما الداخلية اختفت فجأة.

ظهر دينيس كوفاليفسكي في الأفق واحتل على الفور مكان المشتبه به الرئيسي. شخص غامض، لا يقل حاضره غموضًا عن ماضيه. كان كوفاليفسكي الملقب بدان القرش يظهر يومًا في جيتومير ثم يغوص في مكان ما بعمق. بعد كل غوص من هذا القبيل، تتباعد الدوائر على سطح الماء لمدة طويلة. تحدثوا عن أن القرش إما في لفيف، ثم في كييف، ثم في دونيتسك.. وكان رئيس قسم جيتومير لدى دائرة مكافحة الجريمة الاقتصادية يستضيف زملاءه البولنديين أو الموسكبيين، ويعطيهم ما بحوزته معلومات حول كوفاليفسكي. إلا أن دان القرش على الرغم من تمكنه من العبث في مناطق مختلفة من أوكرانيا وروسيا، وحتى التسبب بمشاكل في بلدان أوروبا الشرقية، لم يقض وقتًا في السجن أبدًا أثناء نشاطه. طبعا أخذوه واحتجزوه واستجوبوه لكن بطريقة غريبة كانوا يفرجون عنه إما من النظارة قبيل المحاكمة أو من قاعة المحكمة نفسها، كما حصل مرتين. كانت لدى دان القرش موهبة غريبة في تجنب السجن، وقد أظهر هذه الموهبة للمرة الأولى عام 1994، ثم ارتبط بمجموعة عصابات قوية، اكتسبت في المعارك الحق في السيطرة ليس فقط على ثلث أسواق جيتومير، ولكن أيضًا على جزء كبير من الطريق السريع، الذي تنقلت شاحنات النقل الخارجي عليه، واستخدمه رجال الأعمال على جانبي الحدود. ابتكر واقترح العديد من المخططات التي نفذت لاحقًا بنجاح. بدأت العصابات تثق به، وبأنه سيطر على "شباك التذاكر الأسود"، والأهم من ذلك، السيطرة على تجارة الممنوعات نفسها. بمجرد أن أصبح معروفًا، استخدم القرش أموال شركائه كرأس مال عامل لإثرائه. لكن لم تكن معاقبته ممكنة. انطلق كوفاليفسكي فجأة، وأدار أكثر من عشر شركات في آن. خلال هذا الوقت، لم يهتم فقط بجيبه ولكن أيضًا بسلامته، حيث قام بإطعام مجموعة صغيرة ولكن قوية من المقاتلين المحترفين. بالطبع، لم يستطع القتال مع مجموعة العصابات بأكملها، لكن إظهار قوته أحرج أولئك الذين أرادوا الانتقام وأعطوه الوقت للمناورة والاختفاء من أراضي جيتومير. للمناسبة، بعد وقت قصير جدًا، قام شخص ما، لأسباب انتخابية، بتسليم الشرطة جميع كلمات المرور وأسماء رفاق القرش. أردت الشرطة بعضهم، وسجنت معظمهم، وهرب من بقي منهم ولم يعاودوا الظهور أبدًا.

ثم ظهر دينيس كوفاليفسكي في جيتومير بعد بضع سنوات. هذه المرة كرجل أعمال قانوني حقيقي، كتاجر عقارات. سارت الأمور بسلاسة، ولكن في أحد الأيام اختفى القرش من جديد، وبالتالي تبين أنه واحد من القلائل الذين تمكنوا من الفرار من وجه العدالة. اتضح أن مجموعة من الشركات الوهمية غير الواضحة نشأت حول شركته، وعبرها بيعت الشقق والمنازل التي حصل عليها أصحابها الشرعيين كإرث. أصحاب هذه العقارات إما انتهى بهم الأمر في مستشفيات الأمراض النفسية، أو انضموا إلى صفوف المشردين في المدينة، أو اختفوا تمامًا. وكقاعدة عامة، كان هؤلاء من كبار السن، ومدمني الكحول عاطلين عن العمل، وكان من المستحيل أخذ أي شيء منهم بخلاف شققهم المؤلفة من غرفة واحدة أو أكواخهم المتداعية. هذا الخبر لم تعد له أي أهمية الآن. شيء آخر مهم، وهو أنه حتى لو لم يختف القرش آنذاك، تبين أن احتمالات سجنه كانت محدودة، فالشركة العقارية، وفقًا للوثائق الرسمية المتاحة، لم يكن يرأسها. والشهادات الصادرة ضده ليس لديها مفعول قانوني. عبارة "الحق على كوفاليفسكي" ليست دليلًا لدى أي قاضٍ في أوكرانيا، حيث يوجد موقف خاص تجاه الإجراءات القانونية. ثم عاد دينيس كوفاليفسكي إلى موطنه الأصلي جيتومير غير مرة. كان مدعومًا من الفرع المحلي لـ "حزب المناطق"، ثم ارتبط اسمه بافتتاح شبكة من الصيدليات تم عبرها تصريف شحنات خطيرة جدًا من الأدوية، ثم استدعي للمشاركة في إنشاء هرم مالي للنخبة. لذلك خلال العام الماضي، بدأ القرش بعض الأعمال المشبوهة في جيتومير. لم يكن قسم التحقيقات الجنائية مهتمًا بأعمال كوفاليفسكي، فقد تتبعه زملاؤهم في دائرة مكافحة الجريمة الاقتصادية. لكن رجال الشرطة كانوا يعرفون جيدًا من هو دان القرش.

شوهد دينيس كوفاليفسكي، للمرة الأولى في مكتب بيدوبني قبل بضعة أشهر من مصرعه.

7

ثم شوهد عدة مرات أخرى. ولم تقتصر لقاءات القرش بالمصرفي على المكتب، بل جمعتهما عشاءات، والتقيا ببساطة في مطاعم صغيرة حيث اجتمع رجال الأعمال للمفاوضات في مكان غير رسمي. كان بيدوبني وكوفاليفسكي يتحدثان دائمًا بدون شهود، ولكن من الواضح أن هناك لحظة سئم فيها المصرفي من شراكة القرش. بغض النظر عما حاول كوفاليفسكي الاتفاق معه عليه، فهو في النهاية لم يوافق. عقد آخر اجتماع بينهما قبل أسبوع من الجريمة. أمر بيدوبني حارسيه بعدم السماح للقرش بدخول مكتبه، لكنه حاول اقتحام المكتب. لم يجرؤ على استخدام القوة، لأنه ثاب إلى رشده في الوقت المناسب، حتى أنه اعتذر من الموظفين الخائفين وغادر مع مرافقيه.

في المحادثات مع زملاء بيدوبني بدا الأمر، عدة مرات، كأن دان القرش اقترح أن يشرك المصرفي في إحدى خططته، ومن الواضح، أنها تتضمن استخدام حسابات مصرفية لغسيل الأموال. بالطبع، لم يعرف أحد التفاصيل، تمامًا كما عُرف القليل جدًا من التفاصيل عن القرش. في هذه الأثناء، قام أحد موظفي المصرف أوليه لوهوفي، بعد يومين من جنازة رئيسه، باجتماع سري مع كيرا بيريزوفسكا. احتاج إلى محقق للتعامل مع هذه القضية، لكنه لم يرغب في معرفة أي شخص بالاجتماع. اعترف لوهوفي على الفور: قبل شهر خسر مبلغًا ضخمًا، بمعايير جيتومير، في الكازينو. لم يلعب هنا، بل في كييف. غالبًا ما كان لوهوفي يلعب بمبلغ صغير، لكن الموقف تطور بطريقة فقد السيطرة على نفسه. اعترف:

- بالطبع يا كيرا أنطونوفنا، لست طفلا صغيرا، ولن أقول إن أعمامي السيئين أجبروني على اللعب. لكن لدي شك قوي أن الأمر كله مدبر، فأحد الرجال قادني إلى كييف في ذلك المساء الملعون، إلى منزل قمار يسيطر عليه كوفاليفسكي بطريقة غير معروفة.

- من اين هذه المعلومات؟ - قدم الرجل مستنداته.

- كما ترين، الأمر لا يتعلق حتى بالمال، ولكن... باختصار، عندما خسرت، كنت في حالة سكر بالفعل. عرض رفيقي، الشخص نفسه، تخفيف التوتر في الساونا. كان لا يزال هناك الكثير من الكحول ومن يدري أين تمت دعوة العاهرات. وأنا...

- أنت لا تتذكر أي شيء عن تلك الساونا، أليس كذلك؟ - ساعدته كيرا.

- هذا صحيح.

- لديك زوجة. كم عدد الأولاد؟

- واحد... ابن... زوجتي حامل في الشهر الثامن... أترين، حسنا، تلك الحياة الجنسية غير المنتظمة... إشكالية، بكلمة واحدة...

- أنا لا أفهم - أجابت كيرا بجفاف، ولم تهتم فيم يفكر فيه المذنب الذي جاء للتساهل بشأن فهمها أو سوء فهمها للموقف - هل ذكرك أي شخص آخر بذلك المساء؟

- ليس بعد. المال، بالطبع، آسف. اختفى مصروف المنزل. زوجتي لا تعرف بعد... بشكل عام...

- لكنك تفترض أن أحد سيتذكرك؟

- في ضوء الأحداث الأخيرة، نعم.

- ما هي هذه الأحداث؟

- حسنًا... جريمة القتل... الأمر لا يتعلق به حتى... كما ترين، إذا... حسنًا، في هذه الحال، على الأرجح، بمرور الوقت، ستتم الموافقة عليّ كمدير للبنك. صدقيني، أنا محترف ولدي سمعة طيبة... حسنًا... - بدا الإحراج عليه، وصمت.

- ثم ماذا؟ - شجعته كيرا.

- باختصار، حاول كوفاليفسكي الاتفاق على شيء ما مع بيدوبني، لإدراجه في مخطط ما. أعتقد أنك تعلمين أن الناس العاديين يحاولون ألا يكون لهم أي علاقة بكوفاليفسكي. لكن كوفاليفسكي.. إذا لم يكن بيدوبني، فسأحل محله لمدة من الوقت. بعد ما حدث في كييف، من السهل جدًا الضغط علي. لكن إذا قدمت إليكم الآن بيانًا رسميًا، فلن يضر ذلك بأي شكل من الأشكال بكوفاليفسكي. أنت تفهمين: من الصعب التحقق من مشاركته الشخصية في ما جرى. لقد سُكرت، وخسرت في الكازينو، وأنا لا أعرف بحق الجحيم ما الذي كنت أفعله مع العاهرات في الساونا. بعد هذه الاعترافات، لا حاجة لقتلي.. ستكون فضيحة وتنهار الأسرة، ولن نحصل على كوفاليفسكي.

- إذا فهمت بشكل صحيح، هل تريدنا أن نقبض على كوفاليفسكي قبل أن يقدم لك عرضًا لا يمكنك رفضه؟ - أستوضحت كيرا.

- أريدك فقط أن تعرفي أين جذور جريمة القتل - اقتصر لوهوفي على هذه الإجابة، ثم انتهت المحادثة.

بالطبع رفض تدوين اعترافه على الورق كشهادة رسمية. لأنه حتى الآن لم يكن هناك من يشهد ضده إلا لنفسه. فلو كان من الممكن القبض على دان القرش، وتوفرت ضمانة بنسبة مئة في المئة بأنه سيسجن بتهمة القتل، وفي الوقت نفسه تساق له تهم أخرى، يقضي بموجبها وراء القضبان مدة طويلة، فإن لوهوفي سيساعد في ذلك عن طيب خاطر حتى في الذهاب إلى المحكمة كشاهد. صحيح، لكن بشرط ألا يطلق سراح كوفاليفسكي هذه المرة من قاعة المحكمة. وبالتالي، بعد التشاور

بين كيرا بيريزوفسكا وسيرهي براجنيك لم يعد أمامهما أي شكوك: اتضح أن دان القرش متورط في القتل. لم يكن أي من الأشخاص باستثنائه، بحاجة إلى إخراج بيدوبني من اللعبة. وخلال بحث استقصائي قصير اكتشف براجنيك أن لدى كوفاليفسكي تصريحا رسميا لحمل الأسلحة النارية، بالتحديد مسدس والتر مسجّل باسمه ولا يحمله في كثير من الأحيان معه، بل يحتفظ به غالبًا في مكان آمن. وكان حارسه أنطون كونوفالوف مسلحًا بمسدس من ماركة بيريتا سيجار، بجواره باستمرار. من هذا السلاح أطلق النار على المصرفي بيدوبني.

إذن، كان يمكن للأحداث أن تتطور على الشكل الآتي. يحاول دان القرش الغاضب من عدم قدرته على التفاوض مع هريهوري بيدوبني إرضاخه بشتى الوسائل، حتى أنه يصبح وقحًا لدرجة أنه يأتي إلى منزله في وقت متأخر من الليل. من الواضح أن كوفاليفسكي في ذلك الوقت درس جيدًا الجدول الزمني للمصرفي وعاداته اليومية. وصل مع الحارس أنطون ودخلا صالون المنزل. لم يسمح المالك للضيفين غير المدعوين بالدخول عند الباب، لكن كانا ملحين على الأرجح. كلمة بكلمة تشاجرا مع صاحب المنزل. على ما يبدو، كان دان القرش قد خطط لعملية القتل لفترة طويلة، وإلا فلن يحتاج إلى وضع فخ للوهوفي. ربما قرر أن يقوم بمحاولة للمرة الأخيرة، وإذا نجح في ذلك، يحتفظ بلوهوفي كورقة احتياطية قد يحتاجها فيما بعد. لكن المحادثة لم تنجح، غضب شارك دان وأمر أنطون بقتل بيدوبني، أو ربما أخذ المسدس من حارسه وأطلق النار بنفسه على المصرفي. المعلومات المتوفرة عن دان القرش أعطت براجنيك كل الأسباب لعدم الشك في أنه كان بإمكانه أن يطلق النار على أي شخص وأن يعتبر الأمر مسألة عادية. بعد بحث آخر، تعرف المحقق إلى نوبات الغضب التي كانت تنتاب القرش قبل هجماته غير المتوقعة على أشخاص مختلفين، وكان يطلب منه السيطرة عليها. أما من كان كوفاليفسكي يصب غضبه عليهم، فكانوا يُنصحون بأن يختبئوا بعيدًا وألا يزحفوا خارج ملاجئهم لمدة طويلة. لقد تراجع بسرعة. فالغضب قد وقع وهو أمر لا يمكن إصلاحه. ربما نفذ صبر دان القرش بعد مفاوضات طويلة وعقيمة مع المصرفي. بالإضافة إلى ذلك، كان يعلم على وجه اليقين أن بيدوبني سيكون في المنزل بدون حارسيه في ذلك المساء. وبالتالي، فهو إما أنه لم يعرف بوجود شاهد غير مرغوب فيه في المنزل آنذاك، أو أنه لم يأخذ هذا الظرف في الاعتبار، أو... أو كان هذا الشاهد جزءًا أهدافه التالية. شخص مثل أوليه لوهوفي.

إلا أن كيرا رفضت في البداية هذا الافتراض. وفقًا لروايتها، تغلب الغضب قدرة دان القرش ضبط نفسه لمدة من الوقت، ولم يأخذ وجود شاهد ما في الاعتبار، حتى لو أخذ ذلك في الحسبان، فإنه لم يخش منه على الإطلاق. لم يكن لدى بيريزوفسكا أدنى شك في أن أنطون كونوفالوف كان شاهدًا أيضًا. إذ يمكن أن يتحرك كوفاليفسكي مع حراس أكثر أو أقل، لكن بالنسبة إليه فإن التوجه إلى مكان ما بدون هذا الحارس لم يحدث منذ مدة طويلة. وفقًا للمعلومات التي تمكّن براجنيك من الحصول عليها، فإنه كان يثق بكونوفالوف تمامًا. لذلك، من المرجح أنه كان في مسرح الجريمة، فأطلق النار على المصرفي متبعًا أوامر رئيسه أو أعطاه مسدسه ليطلق النار. يمكنه أن يكون القاتل، والمتواطئ، والشاهد.

الآن، بعدما انتهى سيرهي من البيرة، توصل مرة أخرى إلى نتيجة غير سارة: كل هذا كمن يرسم بالمذراة على صفحة الماء، بلا دليل. إن محاولة المضي قدمًا مع كوفاليفسكي لم تفد بشيء. لقد تحدث بحضور محاميه، وليس مع المحققة أو النقيب، لكن مباشرة مع رئيس قسم

التحقيقات الجنائية، وقال: في ذلك المساء، كان في الساونا خارج المدينة بحضور عشرات الشهود. كل واحد منهم سيشهد على ذلك طبعا، ومن يشك في ذلك... الأمل الوحيد هو شاهد لم يأخذه دان القرش في الحسبان. لكن من يمكن أن يكون ذلك الشاهد إذا لم تذهب تامارا توميلينا إلى منزل عشيقها في ذلك المساء وبقيت بالفعل في شقتها... إذا كانت الفتاة صادقة في ما تدعيه، فقد كان هناك شخص آخر رأى كل شيء، عرف من هو دان القرش، وأدرك أن الاختفاء هو الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياته، فاستغل أنه ظل مجهولًا، وهو الآن إما خائف مختبئ، أو بالعكس فرح بأن أحدًا لا يعرفه، ولا أحد يبحث عنه. لذلك توقف التحقيق. وبعد ذلك أتت تلك المقالة الغرائبية. فلنفترض أن كلام هذا الشاهد فيه حل القضية، سيبدو الأمر بسيطًا... انقطعت أفكار براجنيك بسبب رنين هاتفه الخلوي. فانزلقت نظرته على الشاشة - إنها كيرا.

- نعم.

- أين أنت الآن؟

- كيف أقول لك...

- أرى ما أنت عليه. انته من البيرة واتصل بي.

- لكني انتهيت منها بالفعل. اسمعي، ربما نلتقي في مكان محايد؟

- هناك أخبار - قالت بسرعة - من الملائم أكثر بالنسبة إلي أن أخبرك إياها في المكتب.

8

عندما دخل سيرهي المكتب، كانت بيريزوفسكا تنهي محادثة هاتفية. قالت بحدة في سماعة الهاتف وأشارت إليه برأسها أن اجلس.

- لستَ بحاجة إلى تحذيري، فأنا أعرف ذلك بنفسي. أنا بصحة جيدة وطبيعية. لا، لست بحاجة إلى إجازة مرضية. لو أردت لأخذت إجازة - صمتت تستمع لبرهة، استقرت على كرسي في مقابل براجنيك - إيهور ستيبانوفيتش، المرضى حين يريدون الراحة يأخذون إجازة مرضية. والآن، كما ترى، لا وقت لدي لأرتاح. أريدها - وافقت مع محاورها - أرغب بإجازة، أريدها حقًا. لكن ليس لدي الحق فيها. هذا كل شيء، من الأفضل أن تتصل بنفسك، لأن لديّ أناس هنا - وضعت سماعة الهاتف في مكانها، ثم ضغطت عليها برفق.

- المدعي العام؟ - أومأ سيرهي نحو الهاتف.

- أنهكني بالفعل... لكنه محق: غدًا، أو كحد أقصى بعد غد، ستنطلق موجة جنون. نصحني بالاختباء في المستشفى إلى أن تمرّ هذه الموجة على الأقل.. كي لا تتسرب المعلومات، وهي ستتسرب على أي حال. إزعاج لا يطاق...

- ماذا تقصدي بذلك؟

- بيدليسني الملعونة.

- وما شأن بيدليسني هنا؟

- ماذا تعتقد أننا كنا نفعل خلال الأسابيع الماضية؟ تمامًا مثل مولدر وسكالي24، بصراحة!

- من هما؟

- أنت لا تعرفهما حقًا؟ - نظرت إليه كيرا عبر نظارتها. بقي النقيب صامتًا مستغربًا. لوح بيده.

- حسنًا، لا يهم... خلال بضعة أيام، في المنطقة الشاذة تلك، يختفي شخص على صلة بقضية القتل ثم صحافي محلي معروف قرر التحقيق في ظاهرة غريبة. ثم ظهر كلاهما من العدم، وكلاهما فقد الذاكرة جزئيًا.. كما أنهما فقدا سيارتيهما في طريقهما إلى بيدليسني. لدي يا سيرج إحساس. ستتجمع هنا فرق تلفزيونية من كييف، وسيظهر العديد من العلماء واللجان والبعثات البحثية.

- لا يهم - هزّ براجنيك كتفيه - سيختفون في عالم مواز، وسيعودون مثل "تشيبوراشكا"25. حيوانات مجهولة السلالة.

- أنا لا أمزح، سيرج! سيختفون، وعلينا أن نبحث عن الجميع!

- هل أنت جادة؟

- جادة؟ هل تؤمنين حقًا بوجود نوع من العالم الموازي؟ - فكرت المحققة للحظة.

- بصدق؟ لا أعرف. قراءة الصحف شيء وأن تري بأم عينيك أولئك الذين يزعمون أنهم - نظر سيرهي. فكر للحظة - هل تعرفين ما أؤمن به حقًا؟ لدى كل منهما ورم دموي خلف الرأس.

- اوه! - رفعت كيرا سبابتها منتصرة - لقد استشرت اختصاصيًا، لا أتحمل المصطلحات العلمية... ولا حاجة لذلك. لن أفعل. لا يسعني إلا أن أقول: يمكنك أن تصدم رأسك بشيء فتحصل على نتوء كذاك وألا تفقد شيئًا من ذكرياتك. وهناك حالات تصبح فيها الذاكرة أكثر حدة بعد مثل هذه الحوادث. والعكس صحيح: يمكنك أن تضرب رأسك برفق في مكان معين، حتى في نقطة معينة.. وتفقد كل شيء.

- كل شيء؟

نشرت كيرا يديها. قد تموت، أو تحدث لديك مشاكل في الذاكرة. فقد شامراي وعيه، توميلينا، كما في فيلم "جنتلمان الحظ"26. أتذكر هذا، لا أتذكر هذا. لكن المثير للاهتمام أن النتوء لدى الصحافي أكبر. لذلك، تبين أن الضربة أقوى إلى حد ما. السؤال الأول: من ضربه؟ ومن ضربها؟ - أخذت نفسًا - السؤال الثاني: أين أصيبا؟ ثم الثالث - من أجل ماذا؟

- المسألة هنا أسهل - أخرج براجنيك سيجارة من العلبة. وضعها بين شفتيه.

- اسحبها من بين شفتيك. تعلم أنني لا أحب رائحتها - تقول ذلك في كل مرة يلتقيان في مكتبها. لذلك، لم يعجب سيرهي مكتب كيرا.

- نعم - أخرج السيجارة، أمسك بها بإصبعين - هنا، أقول، الأمر أسهل. كلاهما عانى، ومن الواضح أنهما كانا في بيدليسني اللعينة. وإذا لم يكن هناك حقًا عوالم موازية، فقد رأت الفتاة وكذلك الصحافي شيئًا لا يجب أن يراه أحد. شخص ما ضربهما على دماغيهما ضربتين غير قويتين. ومع ذلك، كان يمكنه قتلهما.

- لماذا لم يقتلوهما؟ موافقة، الأمر أسهل..

- كيرا أنطونوفنا، - تنهد سيرهي، - أنت تعلمين جيدًا أن أي جريمة إضافية تخلق مشكلة إضافية. جثتان مكان هجره الله والناس. جثتان جديدتان...

- موافقة، لكن ظهورهما هكذا سارع في جذب الانتباه. ماذا لو أنهما اختفيا في المنطقة الشاذة؟ في الواقع، كان ذلك أسهل وأكثر فاعلية، كأن يقتلا ويدفنا في مكان ما سرًا. لا جثة يعني لا جريمة. أنت تدرك ذلك. كان من الممكن اعتبار توميلينا وشامري في عداد المفقودين. ولا علاقة لقسم المباحث الجنائية بهما.

- لا - كان سيرهي ينظر إليها ممسكًا سيجارته بطرفي أصبعيه، وهو يرسم خطًا غير مرئي في الهواء أمامه، كما لو أنه يرسم خطًا تحت سطر - ضربا ورميا في مكان ظاهر، يعني بالنسبة إليهما اخرسا لا تنبسّا بكلمة. القتل والدفن أكثر موثوقية لكنه يلفت الانتباه أكثر. فقدان الذاكرة أفضل خاصة إذا ارتبط بالمنطقة الشاذة. هما على قيد الحياة، على الرغم من أنهما ليسا بصحة جيدة. ذاك المكان، في بيدليسني، إذن، هو مكان سيئ. مسحور، أود أن أقول.

- قلت إنك لا تؤمن بكل هذا!

- لا أصدق ذلك! - ضغط أصابعه بشدة فانكسرت السيجارة، وتناثر تبغها البني على الأرض. انزعجت كيرا، فركع سيرهي محرجًا ينظف القمامة تحت الكرسي، فيما اتكأت المرأة على كرسيها

- أنا لا أؤمن بالمعجزات اللعينة أو الأشباح - صاحت المحققة مائلة إلى الأمام.

- فكري في الأمر. توما، عشيقة المصرفي.. تعيش في الشقة التي اشتراها لها، لكن لا توجد لديها مصادر دخل. بالنسبة إليها، لم توجد وصيّة لصالحها بأي حال من الأحوال في حالة وفاته، لأن الرجل يبلغ من العمر أربعين عامًا فقط!

- لا. لحظة. لا يعجبني ذلك - قاطعته كيرا.

- ما بالك! - لوح براجنيك بيده - أنت استمع إلى الجوهر، وليس الكلمات... باختصار، الوضع هو أن الرجل قتل في مقتبل العمر. سواء رأته توما أو لم تره، فهذا ليس الهدف الآن.

- من الواضح أنها واجهت بعض المشاكل قبل ذلك - نقر النقيب على جبهته بطرف سبابته - ما الذي يمكن أن يرتبط بذلك؟ لا أعرف. دعي المتخصصون يشرحون. هناك شيء آخر مثير للاهتمام. لقد وجدت تمارا نفسها في موقف حرج. إنها لا تعرف ما الذي سيحدث بعد ذلك، مما يعني أنها خائفة. هل يمكن أن يؤدي ذلك إلى تفاقم مرضها؟ - نقر سيرهي على جبهته مرة أخرى.

- الفتاة تعاني بالفعل من اضطراب عقلي. لنفترض أنها كذلك - اقرّت كيرا.

- لا تعرف تمارا ما يجب أن تفعله بنفسها، وإلى من تشكو، وماذا يجب أن تعالج. ذهبت تمارا إلى المكان الوحيد حيث تجد من يستمع إليها ويفهمها، إلى تلك الصحيفة المجنونة. أخذوا كلامها على محمل الجد وذهبوا إلى بيدليسني...

- توقف! - تدخلت بيريزوفسكا مرة أخرى - مجموعة من الأشخاص ذهبوا إلى هناك آنذاك.. لم يروا شيئًا، وعادوا جميعًا سالمين. لماذا؟

- لا أعلم. يمكننا أن نفترض أنه في تلك اللحظة لم يكن هناك شيء مميز... حسنًا، ما لا يمكن رؤيته - هز براجنيك كتفيه، وأخرج سيجارة جديدة، وألقى نظرة على صاحبة المكتب، ثم أعادها إلى العلبة من جديد - هذه تفاصيل، ليست مهمة الآن. المهم أن الصحافي شامراي يكتب مقالًا عن المنطقة الشاذة. أولئك الذين يعرفون الأمر يقرؤونه ويفرحون. يا له من محتال. لكن هذا لم يهدئ الفتاة. لقد انهارت، واندفعت إلى بيدليسني، وعثرت عن طريق الخطأ على شيء ما، فقرروا التعامل معها كما لو كانت بالفعل في عالم موازٍ. ثم يتبع فيتيا شامراي خطى تمارا في المنطقة الشاذة، حيث يتصرفون معه بالطريقة عينها، بالطريقة التي كتب عنها شامراي نفسه. وماذا بقي من العالم الموازي في المحصلة؟ - كان براجنيك في تلك اللحظة راضيًا عن نفسه، أخرج سيجارة وهو غير قادر على كبح جماح نفسه، تجاهل نظرة كيرا إليه، أشعلها. نظرت إليه بصمت. أخذ مجتين ونفث دخانهما، نهض، وذهب إلى النافذة، فتحها، وألقى عقب السيجارة منها، وتركها مفتوحة، وعاد. كانت كيرا صامتة، ثم غدت تجول في المكتب.

- دعنا نقول، سيرج، أنت على حق. ليس بشكل عام، لأن هناك الكثير من الأسئلة المتبقية. ولكن فيما يتعلق بالنقاط الرئيسة هذه حقيقتك. خاصة في هذا الجزء من استنتاجاتك المتعلق بالصورة العامة. لذلك، هؤلاء الذين أرادوا تقديم بيدليسني كمنطقة شاذة، نالوا مرادهم. وهذا يعني، سيرج - أسندت بيريزوفسكا ظهرها إلى الحائط، ولفت ذراعيها على صدرها، ولمعت عيناها بشكل ملحوظ

تحت النظارات السميكة - لا جريمة ولكن هناك دسيسة. الصحافة تريد سبقًا ولا يمكن لأحد أن يمنع أي شخص من دخول الأراضي المحظورة. بالطبع، يمكن القيام بذلك لكن أحدًا لن يحاول. بيدليسني ليس مكانًا ترتكب فيه الجرائم ولكنها منطقة تحدث فيها ظواهر خارقة للطبيعة. تحتل منطقة جيتومير مركز الاهتمام فيما لا ترى الإدارة المحلية أي ضرر من هذه الشهرة. الموضوع جديد والشهرة ليست فاضحة.

- ما الذي ستفعله؟

- وإلى جانب ذلك، سيرج، حتى الآن يبدو لي ولك فقط - وجهت المحققة إصبعها إليه - يبدو أن نوعًا من الجرائم ارتكب في بيدليسني. لذا، ما يعتبره الآخرون منطقة شاذة، بالنسبة لي ولك هو مسرح جريمة. لذا، سيرهي بتروفيتش، بعد غد ستدوسه جحافل من الصحافيين والباحثين والمتفرجين. لذلك، إذا أردنا البحث والحصول على بعض الأجوبة علينا نتصرف بشكل أسرع. حتى، من الأفضل عدم التنسيق مع أحد. موافق؟

حك النقيب رأسه.

- ماذا يمكنني أن أقول.. هناك الخطة النموذجية "أ". نحتاج إلى وضع خطة بديلة في حالة الطوارئ. لدي استيضاح واحد يا كيرا..

- أنا أستمع.

- ستبقين هنا. ستحمين ظهري بهدوء - دفع يده إلى الأمام بسرعة، كما لو كان يدافع عن نفسه ضد ضربة ردًا على اقتراح ينتهك المساواة بين الجنسين - بهدوء، هنا أيضًا، نحتاج إليك هنا. أنت قلت ذلك بنفسك. الوقت قصير، وهناك العديد من الأسئلة. سأتوجه غدًا إلى ذلك بيدليسني الملعونة. إذا لم يستيقظ شامراي بحلول ذلك الوقت، ولم تسترد تمارا بعضًا من ذاكرتها، اذهبي إلى المستشفى وحاولي المناوبة بجانب الصحافي. أو لعل تمارا تتذكر شيئًا مفيدًا. أخبرني على الفور، فلنبق على اتصال. تابعي الأمر يا كيرا أنطونوفنا.

- كيف؟

- نعم، لعل أحدًا من ذوي المعرفة في الجريدة يخبرك عن العوالم الموازية. ربما يكون التحدث معه مفيدًا أيضًا. لكن... لا تخبري أحدًا، حسنًا؟ - غمز بعينه - ماذا لو كانت هناك عوالم متوازية بالفعل، ونحن نحاول عبثًا... حسنًا، هل تمانعين؟

- لا بأس - تنهدت كيرا - لا بد لأحدنا أن يبقى هنا ليحمي ظهر الآخر. اليوم، - نظرت إلى ساعتها - لا داعي الذهاب إلى هناك. سيحلّ الظلام عمّا قريب. لا أعرف ما الذي عثرت عليه تمارا في بيدليسني في منتصف الليل. لكن التوجه إلى هناك ليلًا لا يستحق العناء. خاصة وأنك سمعت ما الذي قاله ضابط شرطة المرور. لكن، - ابتعدت من الحائط وعادت إلى الطاولة، - في الحقيقة، لم أتصل بك من أجل كل هذا الآن. لو لم يتصل المدعي العام لما أثرت الموضوع.

- لا بأس، من الجيد أننا تحدثنا فقد ظهرت الخطة "أ".

- في الواقع، هناك شيء آخر. معلومات جديدة تتعلق بفيكتور شامراي.

9

حدث ذلك في صيف العام 2004.

لكن كيرا لم تبدأ بالقصة نفسها، لكن بشرح سبب اهتمامها بوجه الصحافي. تبين أن الأمر بسيط، فعند طلب نشرة تمارا من ملفات الشرطة والبحث الأولي في داتا الوجوه لدى الاستقصاء، تبين أن لا شيء عليها. لكن بالنسبة إلى شامراي تبين أن الأمر مختلف تمامًا، على الرغم من أن المحققة لم تتوقع أي معلومات محددة.. لدهشتها اكتشفت بسرعة أن فيكتور كان على تماس مع قضية جنائية بارزة إلى حد ما. أولًا كشاهد، ثم كضحية. لكنه سحب دعواه آنذاك ما يعني أن القضية لم تُثر. آنذاك، حتى من دعوى شامراي كانت المشاكل كافية.

تذكر كيرا بيريزوفسكا قضية كوستريتسا جيدًا. في 3 حزيران/يونيو 2004، في وسط المدينة، في شارع كييفسكا، قاد سائق مخمور سيارته مباشرة على الرصيف، هرب المارة خائفين، وصدم جدة وحفيدتها البالغة من العمر سبع سنوات. لم يتوقف، حتى أنه لم يبطئ من سرعته، ترك الرصيف واختفى عن الأنظار. حدث ذلك أمام عشرات الأشخاص.

في مكان قريب رُكنت "جيغولي" قديمة. كان صاحبها يشرب الشاي ويتحدث مع صديقة له في مقهى قريب. عندما رأى ما حدث، قفز من مكانه، طار إلى خلف عجلة القيادة وطارد الجاني. بالطبع، لم يستطع اللحاق به، كما هي الحال دائمًا في مثل هذه الحالات، إذ أوقفته شرطة المرور. لحسن الحظ، كان هناك مجموعة من الشهود الذين أكدوا أن هذا الشاب غير مذنب بأي شيء، على العكس من ذلك، حاول اللحاق بالمجرم.

تبين أن الشاب الشجاع هو فيكتور شامراي، الذي كان موظفًا في دار نشر محلية خاصة. حفظ رقم لوحة سيارة الجاني. لحسن الحظ لم يكن الشخص الوحيد الذي يتمتع بذاكرة جيدة، فقد سجل رقم السيارة ثلاثة شهود آخرين. لكن، لم يستطع فيكتور ولا أي شاهد آخر تحديد وجه الجاني، أو ما إذا كان هناك شخص آخر يجلس في السيارة إلى جانبه.

نُقلت الجريحتان بسيارة إسعاف. أثناء الحادث، كانت الجدة قد تمكنت في اللحظة الأخيرة من حماية حفيدتها، فتلقت معظم الضربة بجسمها. ماتت في المساء. نجت الفتاة، ولكن كان لا بد من علاج العديد من الكسور في جسمها لمدة طويلة، فنقلت إلى كييف، حيث لم يكن لدى أطباء جيتومير القدرات اللازمة.

تعرفت الشرطة إلى رقم السيارة بسرعة، فهي مسجلة باسم إدوارد كوستريتسا، ابن شقيق فاسيل كوستريتسا، رجل الأعمال المعروف في جيتومير. في ذلك الوقت كان العم الثري والمتنفذ

في الخارج، لذلك لم يمنع أحد الشرطة من التوجه إلى منزل ابن أخيه. كان إيديك27 في حالة سكر، بعدما احتفل أمس بعيد ميلاده الثامن عشر بصخب. كانت هناك فتاة مخمور نائمة بجانبه. كانا في شقة إيديك الشخصية التي أهداها إليه والداه عيد ميلاده الثامن عشر. وكان والده تاجر عقارات ناجح. كانت السيارة هدية من عمه. لم تكن مخصصة لعيد ميلاد إيديك، فكل ما في الأمر أن ابن أخيه أراد سيارة فأهداه إياها. في الواقع، سيارة "بومر" جديدة لم تكلف فاسيل كوستريتسا شيئًا، فقد نالها لقاء بعض الديون، لم يكن بحاجة إليها لكن كانت الطريقة الوحيدة لسداد أحدهم ديونه إليه. أهداها إلى ابن أخيه ونسي أمرها على الفور.

لم يفقه "السائق الجهنمي" المخمور شيئًا في البداية، بات يشتم الجميع من حوله (كل ذلك دُوّن بشكل تفصيلي ودقيق في المحضر)، وعندما كبلوا يديه اعتقد أن هذا مقلبًا ما. ولكن، بعدما أدرك الأمر رفض كل التهم وأصر على الصمت. كذلك الفتاة رفضت الإفصاح عن أي شيء، حتى رفضت إعطاء الشرطة اسمها لإثبات هويتها.

قلب العمّ كوستريتسا المدينة بأكملها، وكانت النتيجة أن أحد المحامين تلقى مبلغًا مهولًا من المال، فأخرج إيديك من النظارة في الصباح. اختفى الشاب عن الأنظار، أخفاه والداه في أحد المستشفيات، موضحين أن ابنهما يعاني من صدمة عصبية، ونتيجة لذلك، بات لديه اضطراب في الجهاز العصبي المركزي. لكن التحقيق لم يتوقف، ولم تنجح رغبة رجل الأعمال في إخراج إيديك من القضية. في النظارة، أقر الشاب أن "البومر" التي رقم لوحتها له، ولم يسرقها أي ابن حرام، ومن يجرؤ على القيام بذلك. لكنه أصر على أنه لم يصدم أحدًا. لكن سبعة شهود تمكنوا من تحديد الرقم، حتى أن الشاهد الأول، فيكتور شامراي، طارد "البومر" وألقى نظرة فاحصة على السيارة وأرقامها. لم يسرق أحد السيارة ولم يتمكن أي شخص باستثناء إيديك من قيادتها في ذلك اليوم، فالاستنتاج الطبيعي أن إدوارد كوستريتسا هو المتسبب بوفاة الجدة وإصابة حفيدتها الطفل القاصر. أما المحاكمة والحكم فمسألة وقت.

فهم والد إدوارد أبعاد المسألة فبذل قصارى جهده لتضييع الوقت، انتظر عودة أخيه الأكبر. وصل فاسيل كوستريتسا إلى المستشفى لرؤية ابن أخيه، كما قيل، أخرج الجميع ليس فقط من الجناح، ولكن حتى من الممر، وبعد عشرين دقيقة كانت الممرضة الخائفة تمسح بصمت الدم من وجه إيديك بمنشفة مبللة، فيما كان يبصق شظايا أسنانه الأمامية في المنشفة. لكن هذه التفاصيل ظهرت في وقت لاحق، عن طريق الصدفة، ولم ترتبط بالقضية في شكل أدلة. قرر فاسيل كوستريتسا أن مهمته التربوية في هذه المرحلة قد انتهت، وبدأ العمل بجدية. بدأت المكالمات من كييف إلى الهواتف الصحيحة والمكاتب الصحيحة. ثم قام ستة شهود عيان، واحدًا تلو الآخر، بتغيير إفاداتهم فجأة. أنكر اثنان منهم إفادتيهما السابقة، قائلين إنهما لم يريا شيئًا على الإطلاق، وكانا يريدان ببساطة مساعدة الشرطة المحلية بطريقة ما في البحث عن الوغد. قال ثلاثة منهم إنهم أخطأوا في الأرقام، وأفادوا بأرقام أخرى ما أربك المحقق تمامًا. أصر أحدهم على إفادته لفترة أطول، ولكن بعدما احترقت سيارته، صرح بأنه كان مخطئًا، فأنكر ما قاله، وصرح بأنه لم يتمكن من تحديد رقم لوحة السيارة.

في غضون ذلك، نقلت الفتاة المشوهة على الفور إلى كييف في سيارة مجهزة خصيصًا للخدمة الطبية التجارية. هناك أدخلت المستشفى وعولجت، وهي الآن تمشي على الرغم من أنها تعرج، وأحيانًا تشعر بدوار في رأسها. لكن بشكل عام، قدمت لها المساعدة الطبية اللازمة في الوقت المحدد من دون تأخير. كم كانت تكلفة العلاج ومن دفع. هذا لغز. الشيء المهم أن والديْ الفتاة لم يدعيا على أحد. لم يكن لديهما أي شكوى. بعد كل شيء، لم تراجع ستة شهود عن إفاداتهم. نعم، وأقسم إيديك أنه كان في حالة سكر في اليوم السابق للحادث، ولديه شهود، ولم ينهض من الفراش طوال اليوم. وقد تذكرت الفتاة التي كانت معه كل شيء، وكتبت أربع أوراق بخط يدها بما يتلاءم ورواية إيديك. قد يكون الشهود مخطئين. كان إدوارد في المنزل بين البطانيات والوسادات في حالة سكر، وهل سيارات البومر قليلة في جيتومير؟ بالإضافة إلى ذلك، لم ير أحد وجه الجاني. حتى الشاهد السابع، فيكتور شامراي، الذي صمد بعناد ولم يغير شهادته. ظل هو الشاهد الوحيد، وبدونه لا يمكن للقضية أن تنهار بالكامل.

- لقد كانت قضية غريبة - قال براجنيك - مقرفة. آنذاك، على ما يبدو في الربيع التالي، بعد تلك الثورة، أزيح كثيرون من مناصبهم بسبب الفساد. وذكرت آنذلك قضية كوستريتسا.

- فقد بعض موظفينا هنا مناصبهم كذلك - وافقته كيرا - لكن القضية انهارت آنذاك. فقد تراجع شامراي عن إفادته السابقة مثل بقية الشهود. أخطأ. هل تعرف كيف حدث ذلك؟

- ترغيب أم ترهيب؟

- ذات صباح، في نهاية شهر تموز/يوليو، أوقف فيكتور مباشرة في الشارع وحُشر في صندوق سيارة - تحدثت كيرا بهدوء وببعض الحزن - عصبوا عينيه واقتادوه إلى قرية ما، خارج المدينة أو المحافظة، لا يهم. وضعوه في قبو مُجهز خصيصًا له. تركوا مصباحًا صغيرًا معلقًا بالسقف. في مقابله، ربطوا كلبًا غاضبًا بسلسلة معدنية. كان طول السلسلة محسوبًا، ولا تتيح للكلب الوصول إلى الأسير القابع في زاوية القبو. لكن الكلب كان يترقب أي حركة خاطئة من جسم الأسير، فإن مد يده أو ساقه فيناله بأسنانه. صاح فيكتور، حاول أن يستنجد. لم يسمعه أحد، ولم يتحدث إليه خاطفوه. تُرك مع الكلب في قبو شبه مظلم ليوم كامل، جائعًا في سرواله الداخلي فقط. بحلول الصباح، كان المخطوف قد غرق في بوله وبرازه. وكان الكلب مترقبًا، ينشط عند أدنى حركة من المخطوف - توقفت بيريزوفسكا، أخذت نفسًا. ولم يكن براجنيك يعرف ما يقول، على الرغم من أنه كان على تماس مع قضايا مختلفة كهذه في الماضي.

- صباح اليوم التالي، جرّوا شامراي إلى الهواء الطلق. لم ير وجوه معذبيه التي كانت خلف أقنعة سوداء. رشوا عليه ماء مثلجًا من خرطوم، وألقوا ملابسه إليه. عندما ارتدى ملابسه، وضعوه مرة أخرى في صندوق السيارة. أعطوه كأسًا من الفودكا ليشربه، وسلموه قطعة من الورق وقلمًا. لم يشرحوا أي شيء، لكن شامري فهم ما عليه فعله. فكتب كما كان قد نُصح سابقًا أن يفعل عدة مرات. ثم اقتادوه إلى مكتب المدعي العام. كانت أمه هناك تقف بجانب مكتب المدعي العام خائفة تبكي. توجهت مع ابنها إلى المحقق. قدم له فيكتور إفادته. هكذا أقفلت قضية كوستريتسا. قيل إن شامراي بعد ذلك بدأ يشرب بكثرة. انتفضت والدته في البداية للبحث عن الحقيقة، حتى أنها

رفعت دعوى ادعت فيها أن ابنها تعرض للاختطاف، لكن سرعان تراجعت عنها. غرق فيكتور في شرب الخمر وكان عليها أن تأخذه إلى مكان ما في كييف، وتنفق المال على الأطباء ذوي الأجور المرتفعة، ثم أن تضعه في مستشفى ما. استمر هذا حتى أواخر الخريف. هل تعرف ما هو المثير للاهتمام؟ لقد تمكن من الحصول على وظيفة في "حقائق لا تُصدق" عندما لم يكن أحد مستعدًا للعمل على الإطلاق في الكتابة عن تلك الأمور - صمتت كيرا قليلًا، وتابعت - لكن في الحقيقة، لقصته علاقة بالقضية الحالية.

- كيف بالضبط؟

- لنفكر معًا. لهذا السبب اتصلت بك. الشخص الذي سرب لي تفاصيل تلك الحادثة الرهيبة مع شامراي زل لسانه. قال إن فاسيل كوستريتسا في مرحلة ما طلب المساعدة من دينيس كوفاليفسكي. وحصل عليها.

- وبشكل أكثر تحديدا؟

- بشكل أكثر تحديدًا، انخرط الأشخاص الذين نظمهم دان القرش في المفاوضى على شراء ذمم الشهود. هناك رأي مفاده أن القبو والكلب أسلوبه الشخصي في التعامل.

- حسنًا.. لكن شامراي ليس متورطًا بأي شكل من الأشكال في مقتل بيدوبني. لديهما مجالا اهتمامات مختلفان تمامًا ولا يلتقيان في دائرة اتصال واحدة. حتى الآن... أم... حتى الآن، الشيء الوحيد المشترك في القصتين هو أن دان القرش يظهر كمجرم ومن المستحيل إثبات ذلك. لا أعرف يا كيرا أنطونوفنا. لكن ما علاقة ذلك بجريمة القتل التي نعمل عليها؟ وما علاقتها ببيدليسني والمنطقة الشاذة؟

- لا أعرف - اعترفت بيريزوفسكا بصدق - اعتقد أن هذين الشخصين يكملان الصورة.

10

لم تكن هناك خطة "أ" ولا خطة "ب". قرر براجنيك التصرف وفقًا للخطة الواقعية الوحيدة في مثل هذه الظروف، أي عدم رسم أي خطة واحدة. بالإضافة إلى ذلك، لا يمكن التنبؤ بأي شيء قد يحدث في المناطق الشاذة، كما هو شائع، فقد تحدث أمور غير مألوفة حتى لو لم تكن خارقة للطبيعة، فليس من الحكمة وضع خطط. يمكن أن تغدو كل واحدة منها غير قابلة للتطبيق وتتغير بشكل كبير. قرر سيرهي التصرف على طريقته التي ألفها. لذلك، ارتدى حذاءً عسكريًا، وسروالًا مموهًا، وسترة خضراء بياقة مدورة، وسترة دافئة ولكن خفيفة مرقطة، واعتمر قبعة سوداء. وضع مصباحًا يدويًا وبطاريات احتياطية ملفوفة في كيس بلاستيكي في جيبه، وفي الآخر وضع مشطًا احتياطيًا للمسدس. بالطبع، لم يأخذ سلاحه الأميري "ماكاروف". في مهمات كهذه، تصرف براجنيك مثل معظم المحققين ذوي الخبرة. كان قد صادر هذا المسدس في قضية سابقة ولم يودعه في المضبوطات ولم يقيّده في المحضر. كان لديه منذ خمس سنوات ولم يضطر لاستخدامه سوى ثلاث مرات، ولله الحمد.

في كثير من الأحيان، تلعب المهمات غير المصرح عنها لإدارته دورًا حاسمًا في حل القضايا. لأنه كان من الأفضل والأكثر كفاءة أن يقوم بالمهمة على مسؤوليته ووفق تقديره، وبعد ذلك يمكنه أن يغير بعض التواريخ على الورق أو أن يبقى صامتًا. من حيث المبدأ، لم تكن رحلة براجنيك إلى بيدليسني انتهاكًا خطيرًا للخدمة. لكن الميدان ليس ميدانه، بالإضافة إلى أنه مسلّح ولم يبلغ أحدًا، فإذا ما وجد في بيدليسني يندرج تحت القانون الجنائي، فلا صلاحيات لديه للتدخل، بل يقع على عاتق زملائه في القضاء الذين يحق لهم إبلاغ السلطات المحلية. وعليه، سيتعاملون مع المعلومات عنها بأوامر خاصة داخل القضاء، وإذا لزم الأمر، يمكن أن تصل القضية لتغدو على صعيد المحافظة. أما دائرة عمله فهي المدنية، على الرغم من أنها مركز المحافظة لكن لا صلاحيات لديه ولا أمر مهمة بحوزته. إذن، هو يتصرف من رأسه، وينتهك التراتبية في عمل الشرطة، وهي مسألة بالغة الأهمية. إلا أن براجنيك، مثل بعض زملائه من المحققين ذوي الخبرة الواسعة، لا يقيم للتراتبية وزنًا وينتهكها بشكل متكرر ومنهجي. وفي النتيجة، يصل إلى حلّ قضايا ينتظرها رؤساؤه، وتلقى تقديرًا من زملائه.

لا يقتصر الأمر على ذلك، فقد كان سيرهي مستعدًا أحيانًا لانتهاك حقوق الإنسان واللجوء إلى أساليب غير قانونية أثناء الاستجواب. لأنه كان يؤمن بصدق أن مدمن المخدرات القاتل ليس لديه الحق في أن يُدعى إنسانًا، ما يعني أن قانون حقوق الإنسان والحريات لا ينطبق عليه. وإذا لم يعترف هذا القاتل، يمكن أن يحبسه براجنيك ليوم واحد في شقة ويقيد يديه بالشوفاج، ويغلق فمه بشريط لاصق، وبعد مدة، عندما يكون المتهم ملتويًا من الألم، يريه المحقق حقنة أو حبة ما. ويمنحه ورقة للحصول على اعترافه. لقد خاض حربًا طويلة مع المجرمين، وهو يعرف أنه من المستحيل

القضاء على الجريمة في البلاد، لكنه يعرف كيف يحصل على اعترافات من المجرمين إن وقعوا في يده. وهو على عكس بعض زملائه التابعين لنظام التراتبية وتبعية كل محقق لدائرته، والملتزمين بالنظام.

للمناسبة، هذا سبب آخر يجعل من غير المرجح أن يغدو النقيب براجنيك رائدًا قريبًا.

كان معدل حل القضايا على يده متوسطًا. في بعض الأحيان حتى أقل من المتوسط بقليل. وكان يتلقى بشكل دوري تهنئة إلزامية من رؤسائه الذين كانوا يعرفون أن أيًا من الاعترافات التي كان يحصل عليها براجنيك من المتهمين يقتصر فحواها على المعترفين فقط. بطبيعة الحال كان المجرم المعترف مجرمًا، لكن اعترافه لا يتخطاه إلى أي شخص آخر. لا يقرّ على آخرين. باختصار، لم تحب السلطات النقيب براجنيك بسبب شخصيته المستقلة للغاية وعدم رغبته العنيدة في تحسين أدائه. لكنها كانت تحترم، في الوقت نفسه، النتائج التي كان حصل عليها، فهي نتائج لا يرقى إليها الشك. وهذا أيضًا أحد الأسباب التي منحت سيرهي براجنيك، على مدى ما يقرب من عشرين عامًا من العمل في قسم التحقيقات الجنائية، حرية التصرف إلى مقدار معين.

11

في الصباح، هطل ذلك المطر الخفيف المثير للاشمئزاز، لا يشبه مطر كانون الأول/ديسمبر على الإطلاق. براجنيك لم يحب الشتاء كثيرًا. في الآونة الأخيرة، بدأ الطقس البارد يؤثر على مفاصله، خاصة على كتفه الأيسر. بالنسبة إليه، الشتاء القارس المثلج أفضل من هذا المخاط القذر، الذي يطلق عليه المتفائلون منذ عدة سنوات بفخر "الشتاء الأوروبي"، أما العلماء فيرون فيه مثالًا حيًّا على بداية كارثة بيئية عالمية.

بعدما وزع أطفاله إلى المدارس، وهو ما كان يفعله دائمًا قبل العمل، ما لم يعمل على مدار الساعة في أمر طوارئ، هرع براجنيك بسيارته نحو الشارع المؤدي مباشرة إلى مخرج المدينة، ثم أبطأ عند حافة الرصيف. لقد أخرج خريطة وحاول مرة أخرى أن يجد عليها تلميحًا تقريبيًا على الأقل لمكان بيدليسني، ثم بصق وقرر التحرك معتمدًا على الحظ، بما أن هذه البدة المهجورة عثر الصحافيون فسينجح محقق الشرطة في الوصول إليها أيضًا. لم يتوقف المطر، فاستسلم النقيب لاحتمال التجول حول القرية الميتة في جو رطب غير مريح. لا تدوم الأمطار الغزيرة أو أمطار العواصف الرعدية طويلا، إلا أن هذا المطر الرذاذي السيئ لا ينتهي، خاصة في شهر كانون الأول/ديسمبر، على الرغم من أن جميع قوانين الطبيعة تقول إن على الثلوج تتساقط الثلج وتستمر في التساقط طوال اليوم.

وصل سيرهي إلى نقطة الشرطة الخاصة قبل بدء الأراضي المحظورة بسرعة كبيرة وبدون حوادث. ولكن بمجرد وصوله إلى الحاجز، كانت تنتظره مفاجأة صغيرة. وقف كوليا بوزير حزينًا، ملوحًا تجاهه بعصا مخططة. عند رؤيته براجنيك، لم يكن الملازم أول أقل دهشة.

- ياه! أهلًا... إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى هناك، - أشار النقيب أمامه - لماذا أنت هنا؟ هل تداوم لليوم الثالث؟ ألم تقل يومين؟ ألم تبدل أمس...

- آه - لوح بوزيرز بيده وبصق أمام قدميه - أخبرتني حماتي بالأمس الشيء نفسه. ظنت أنني سأصطحبها إلى كوروستين إلى شقيقتها. أختها تعيش في كوروستين وهي مريضة. أخبروها أن حماتي صنعت لها خلطة أعشاب جافة قيل لها إنها تشفي من جميع الأمراض باستثناء الإيدز.

- كلها باستثناء الإيدز؟

- ربما لم يقولوا ذلك - هز بوزير كتفيه، موضحًا بمظهره الكامل إنه لا يصدق أن هذه الأعشاب تشفي من شيء - لم أهتم، فبكلمة واحدة لعنتني.

- لعنتك؟

- حسنًا، فلنقل إنها لم تلعنّي... فأنا صهرها الشرطي ولدي سيارة، وعلي أن أخدمها ومن الخطيئة أن تلعنني. لكنها تذمرت،... أنا، أنوب عن سيري رفيقي في الخدمة هنا، تبادلنا الأيام... تعلم - انحنى بوزير قليلًا نحو نافذة سيارة براجنيك - مؤخرًا، كلما مكثت وقتًا أقل مع حماتي كان ذلك أفضل... أنا، كما تعلم، وافقت على المناوبة لأنني لا أريد الذهاب إلى المنزل وهي... ما الذي فعلته بالضبط - قرر بوزير وتوقف قليلًا عن الكلام، ولوح بيده بيأس - إذن إلى أين أنت ذاهب؟

- وما رأيك؟ إلى بيدليسني، ميكولا. أريد أن أرى أي نوع من المنطقة الشاذة هذه حيث يختفي البشر. أن ألقي نظرة، أن ألمس...

- نعم... ربما ليس عليك ذلك؟

- يجب علي يا زميلي. أنت تعرف عملنا. للمناسبة، من الجيد أنك هنا اليوم. أرني مرة أخرى أين وجدت ذاك الرجل.

كان النقيب قد عاين المكان من قبل، لا شيء مميز. متر مربع عادي من التراب. مع ذلك، ترجل من السيارة تحت المطر، ووصلت القشعريرة إلى عظامه، دفع يديه في جيبي سترته، وسار إلى المكان الذي وصفته "حقائق لا تصدق" أنه يمكن أن يشكل نقطة تلاق غير مرئية بين عالمين. شامراي لم يسقط من السماء...

- أترى، لا توجد معجزات، أخبرني؟ - تنهد بوزير من خلفه.

- لا. سأذهب - تفحص النقيب المكان حوله - دعنا نذهب، انظر في الخريطة على الأقل حدد مكان بيدليسني تقريبًا. فليأخذها الشيطان.

- يا زميلي لا تذكر الشيطان هنا.

بدا تحذير الضابط غير متوقع لدرجة أن سيرهي ارتجف. وشعر بصقيع طفيف يخترق جلده تحت السترة، كدبيب نمل بارد.

- الآن انظر - حاول بوزير النظر في عينيه مباشرة، لكنه سرعان ما نظر بعيدًا.

- تكلم - قال براجنيك باقتضاب.

- ليس هناك ما أقوله - زعق بوزير فورًا.

- لماذا لا ينبغي ذكر الشيطان هنا؟ كانت عبارة عادية، بدون أي محتوى مبطن. لكن إذا كنت تعرف أي شيء...

- الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أن الناس في بيدليسني يختفون - قاطعه وزير.

- ماذا تعني بيختفون؟

- فلنفرض أن رجلا ما موجود أمامك، ثم فجأة... خلص.

- هل رأيت الأمر بنفسك أم همس لك به أحد؟

- لقد رأيت كيف ظهر الرجل أمامي، هكذا، من العدم. هذا هو المكان حيث تقف الآن. ربما خطوتين أو ثلاث إلى اليمين. قبل ذلك، اختفت الفتاة، ثم ظهرت من الفراغ.. كانت هناك شائعات أخرى من قبل... البلدة ليست نظيفة يا كابتن.

تفحصه النقيب بنظرة، فسحب الملازم أول رأسه إلى كتفيه.

- المكان، كما تقول، سيء. والناس هناك، كما تقول، يختفون. لكن بما أن الناس يختفون هناك، فهذا يعني أن بيدليسني فيها أمر ما شيطاني؟ أم لا؟

- لا أعرف - ابتعد بوزير بضع خطوات لسبب ما عن النقيب - لم أر ذلك بنفسي، ولا سبب لدي للذهاب إلى تلك البلدة. الناس يتحدثون، ثم... الصحف تكتب... نعم، أشعر: الأشياء السيئة مستمدة من هناك...

- نعم - تضاعفت رغبة النقيب في الذهاب إلى بيدليسني. بدا الأمر وكأن شيئًا ما يدعوه للتقدم إلى الأمام، يدفعه في الخلف، يناديه.

- إذن ربما... لا تذهب. دع العلماء المختلفين ذوي النظارات يخاطرون بنظاراتهم. لأنني، أيها النقيب، كما تعلم، شخصيًا لا أنصح الآخرين بفعل ما لا أفعله بنفسي. ولن أزج أنفي في بيدليسني هذه للحصول على مكافأة بمقدار راتبي الشهري.

12

بغض النظر عن محاولة النقيب الوصول مبكرًا، إلا أنه وصل إلى الهدف النهائي من رحلته قبيل الظهر تقريبًا. وهكذا كان شفق كانون الأول/ديسمبر على بعد أكثر من أربع ساعات بقليل. إما أن بوزير، مع بعض الخوف المجهول، لم يشرح الطريق جيدًا، أو أن بعض الأشياء الغريبة تحدث بالفعل في هذا المكان وقام شخص ما بإبعاد النقيب عن مقصده فدار في بعض المسارات لنحو ساعة. بحذر قاد سيرهي السيارة في نواح منسية غير مألوفة منذ مدة طويلة، وكانت النتيجة الإيجابية فلم يعلق عند مدخل القرية المهجورة، واستعد للفخ على الطريق، وتغلب على جور خطيرة. وصل إلى شارع بيدليسني الرئيس. توقف ولسبب ما شهر مسدسه، نزل براجنيك من السيارة ممسكًا به أمامه. حركه في اتجاهات مختلفة، ثم أنزل المسدس وضحك قليلًا ضاحكًا على نفسه. لو كان هناك من ينظر إليه الآن للاحظ أن النقيب يتصرف كما في الأفلام والبرامج التلفزيونية الأمريكية. دفع حافة قبعته إلى منتصف جبهته، نظر حوله.

بدت القرية، التي هجرها الناس منذ أكثر من عقدين، رمادية اللون وباهتة بشكل خاص في ظل المطر الممل. أول ما صدم سيرهي، الذي اعتاد على حياة المدينة، كان الصمت الغريب وغير طبيعي، بل حتى الخارق للطبيعة. حتى أنه بدا له أن قطرات المطر الخفيفة تصطدم ببعضها ببعض بطريقة غير مفهومة، كما لو أن كرات البلياردو الأمريكية تتلامس بلطف.

كان براجنيك قد عانى بالفعل من أحاسيس مماثلة في مكان ما. أول ما يتبادر إلى ذهنه تلك الأفلام السوفياتية عن الاحتلال الألماني لبيلاروس.. عن القرى البيلاروسية الصغيرة، التي كانت تجوب شوارعها مفارز من رجال القوات الخاصة. في الأفلام، وفي الصور التي شاهدها سيرهي في المتاحف تحت الزجاج وفي كتب التاريخ المدرسية، بدت تلك القرى وكأنها كائنات ميتة وتركت انطباعًا محبطًا. كائنات ميتة. في ذمة الله... كلمة تختصر المشهد. شعر براجنيك فجأة أنه لا يزور مملكة ميتة أسطورية فحسب، بل دخل مقبرة حقيقية. لم يستطع شرح مشاعره حقًا. لم يستطع أن يعطي لنفسه إجابة، لكن بدا له أن الأرض خلال نصف ساعة أو كحد أقصى بعد ساعة، ستبدأ في التحرك وسيزحف الموتى النتنون خارجين منها. تمامًا كما رأى المشهد في أفلام الرعب الأمريكية، التي كان من الممكن مشاهدتها في أحد الطبقات السفلية المجهزة كصالون فيديو، في السنوات الأخيرة من حياة الدولة السوفياتية. لسبب ما، كان من الرائع آنذاك حضور أفلام الرعب عن الموتى الأحياء برفقة فتاة. في الظلام الخانق في الطبقة تحت الأرضية، عندما يمسك الموتى الحقيرون ضحية ما من ساقها، تصرخ الفتاة، ترتعب. فيستغل الشاب الحذق تلك اللحظة بجرأة، يضمّ الفتاة، ويتحسس جسدها بيده. لا بد أن هناك خطأ ما هنا. سيرهي براجنيك لم يكن خائفًا من أفلام الرعب، لأنه رأى جثثًا حقيقية لن تبعث أبدًا. كان يعلم أن على الإنسان أن يتوقع الحزن من الأحياء. لذلك، ضحك على الرعب ومحبي قصص الرعب السينمائية ولم يفهم أسباب الخوف الخرافي الذي يمنع

الناس حتى من المرور عن طريق الخطأ بسور المقبرة ليلًا. ناهيك عن المشي في المقبرة، إذ كان هذا العمل يعتبر إنجازًا تقريبًا.

ولكن، على الرغم من ذلك، هنا، على مشارف قرية مهجورة منذ مدة طويلة، أحسّ براجنيك بعدم الارتياح. الآن، بعدما شعر أنه في مقبرة، بدأ يفهم لماذا يشعر معظم الناس بهذا الخوف الغريب من المقابر. على الرغم من أنها مغلقة منذ فترة طويلة بل وحتى مهجورة. لا يمكنك بناء أي شيء في موقع الدفن إذ ستأتيك المتاعب. هكذا يقال، وربما في مكان ما هنا، على أراضي بيدليسني، قتل شخص ودفن، وبدأ الناس، الذين لا يعرفون ذلك، في البناء مكان دفنه... تساءل كم عدد الأجيال التي عاشت في هذه القرية قبل ذلك اليوم من أبريل/نيسان، عندما أعلن الإخلاء الجماعي... هز براجنيك رأسه، كما لو أنه يطرد مجموعة من الأفكار بعيدًا، وركز على مهمته الأساسية. كانت تبدو بسيطة جدا. من الضروري بشكل منهجي عدم البقاء في أي مكان لمدة طويلة حتى يكون في الوقت المناسب قبل الغسق. عليه أن يفحص القرية المهجورة. سار من منزل إلى منزل. لا يوجد الكثير منها هنا. لم يكن سيرهي يعرف عمّ يبحث. لذلك، قرر الاعتماد على صوته الداخلي وحدسه: الشيء المهم الذي أتى من أجله، لا ينبغي أن يمر أمامه من دون أن يلحظه. لم يخف مسدسه، نظر إلى السيارة لسبب ما، ثم اقترب منها وأقفلها، ثم عاد وتوجه إلى أقرب منزل على الجانب الأيسر.

سياج خشبي متداع. فناء فارغ. بناء متهدم، سقف منهار. يتدلى الباب على مصراع، بالقرب من الشرفة على الأرض الرطبة قفل صدئ. من الواضح أن اللصوص كانوا يرعون هنا لمدة طويلة. دفع الباب بيده جانبًا. دخل حيث لم تكن هناك رائحة سوى رائحة الفئران. ثلاث غرف، ممر، مطبخ صغير. كل ما تبقى من المسكن. من المستحيل أن يفهم كم كان حجم ثراء من عاش هنا. المكان فارغ، رطب، مثير للاشمئزاز. عند الخروج أخذ براجنيك نفسًا قصيرًا، وعبر إلى الجانب الآخر من الشارع، وبالطريقة نفسها تفحص المنزل الأول على الجانب الأيسر. لم يكن النقيب يعرف ما الذي كان يبحث عنه. ولكن، بعد بحث استمر لساعة ونصف الساعة في أحد أزقة المملكة الميتة، شعر أنه وجد شيئًا من شأنه أن يساعده. فتحرك بثقة أكبر.

13

حصلت كيرا بيريزوفسكا على اسم اختصاصي يمكنه تقديم معلومات شاملة بشأن العوالم المتوازية من مكتب تحرير "حقائق لا تصدق". اتصلت المحققة في الصباح على الرقم الوحيد المنشور على الصفحة الأخيرة من الصحيفة، وتحدثت مع كاتيا هوها، التي عرّفت نفسها على أنها مديرة مكتب. أسفت لما حدث مع شامراي. لا أحد في مكتب تحرير غيرها، لكنها ستساعد مكتب المدعي العام عن طيب خاطر بأي طريقة ممكنة. فهمت بسرعة ما الذي تحتاجه كيرا أنطونوفنا، وسرعان ما عثرت على بيانات أحد الخبراء الدائمين المتعاونين مع الصحيفة، أي روستيسلاف توروباس نفسه. وقالت كاتيا هوها بفرح غريب: "لكن ليس لديه هاتف محمول، ونادرًا ما يلتقط سماعة الهاتف الأرضي".

- لماذا؟

- لماذا لا يلتقط سماعة الهاتف أو لماذا لا يوجد لديه خلوي؟ - استوضحت كاتيا.

- كلاهما. هل تتواصلون معه بطريقة ما؟

- لا يثق توروباس بالهواتف. يقول إن الخلوي موصل للطاقة السلبية عبر الأقمار الصناعية. فالقمر الصناعي أقرب إلى الفضاء. ولم يقنعه أحد شخصيًا بإيجابية الطاقة الكونية - تحدثت كاتيا على الجانب الآخر من السلك بهدوء شديد، كما لو كانت هذه التصريحات مرتبة بعناية.

على الرغم من تذكرها للمكان الذي لجأت إليه للمساعدة، وافقت بيريزوفسكا. فكرت إما أنهم هم أنفسهم في ما يدعونه، أو في ما يريدون تصديقه، أو أنهم معتادون بالفعل على كل شيء ويأخذون الشذوذ عن الطبيعة كأمر مسلم به.

- حسنا، ولكن ماذا عن الخط أرضي؟

- لن يلتقط السماعة. يكره المكالمات من الغرباء الفضوليين.

- حسنًا، لكن مع ذلك، كيف تحافظ هيئة التحرير على اتصالاتها مع توروباس؟

- الأمر بسيط جدًا. لديه جهاز الرد الآلي على المكالمات في المنزل. وهناك عدة أرقام يعرفها عن ظهر قلب ويعتبرها آمنة وضرورية: أمه، زوجته السابقة، شخص آخر لا أعرف من هو على وجه اليقين، حسنًا، والمحررون. عندما نحتاج إلى طلب رقم توروباس، فإن الجميع يفعل ذلك من رقم الاستقبال. أي من الهاتف الذي نتحدث فيه الآن.

- لا تغادري إلى مكتبك من أجلي... اسمعي، كاتيا، هل يمكنك أن تفعلي... - تلعثمت كيرا، وصححت - من أجل التحقيق... هل يمكنك تقديم خدمة للتحقيق؟

- أن اتصل به وأبلغه أن يأتي إليك؟ - خمنت كاتيا بسهولة - لا مشكلة، إلا أن توروباس لن يأتي إلى مكتب المدعي العام. ونهى عن إعطاء عنوان منزله من دون اتفاق مسبق معه.

- لذا اتصلي به، من فضلك، واطلبي الإذن أن تعطيني عنوانه - بدأت كيرا تفقد صبرها - يمكنني بالطبع أن أستخرج عنوان منزله من قاعدة البيانات. سيذهبون إليه لدعوته بأدب إلى مكتبي، وإذا حاول الاختباء في مكان ما، في عالمه الموازي، فسيسحبونه إلى مكتب المدعي العام. كاتيا، أخبريه عندما. اتصلي به.

- إنه ليس خائفًا - قالت مدير المكتب على الجانب الآخر من الخط بصوت عالٍ - لأنه ليس مسجلًا بهذا الاسم. لن يجده أحد.

- قولي لي، كيف هو؟ هل يعيش بوثائق مزورة؟

- وثائقه حقيقية - طمأنتها - إلا أن قلة من الناس يعرفون ما اسم عائلته الحقيقي، بما في ذلك مكتب التحرير لدينا. توروباس هو اسم مستعار يوقع به المقالات من وقت لآخر حول بعض الموضوعات الخاصة. إنه خجول بعض الشيء بشأن اسمه عائلته الحقيقي.

- هل هو غير لائق؟

- إنه يهودي. إنه مقتنع بأن الأشخاص الذين يحملون لقبًا يهوديًا واضحًا ليسوا محل ثقة على الإطلاق، أو أن الثقة بهم أقل من غيرهم. مهما قيل، ستكون الإجابة واحدة: إنها أمور خاصة باليهود.

- هل أنت جادة في ما تقولينه يا كاتيا؟ - كانت تتصل من الهاتف الأرضي في مكتبها، وقد بدأت بيريزوفسكا تشعر كأنها تتواصل مع غرباء في عالم موازٍ غير مفهوم لها - أتقولين هذا بجديّة؟

- أنا لا. هذا ما يعتقده هو حقًا.

- اسمعي، أليس توروباس لقب يهودي؟ اسمعي كاتيا. اتصلي بي وأخبرني أنك وجدت روستيسلاف توروباس في المنزل. وهو على استعداد لمنحي أكبر قدر من وقته الثمين الذي أحتاجه. مفهوم؟ احصلي على الرقم من فضلك...

بعد عشر دقائق، اتصلت بها كاتيا هوها وأبلغتها:

- كان روستيسلاف ميخائيلوفيتش في المنزل، وسمح لي بإعطاء عنوانه وهو مستعد للاستماع إلى المحقق في القضايا المهمة بشكل خاص. وأضافت: يفضل توروباس أن يُلقب

بالبروفيسور أثناء الحديث.

14

- هل أنت بروفيسور حقًا؟

- ما الذي تعنيه كلمة "حقًا"؟ كما تعلمين، هذه الفئة غير محددة... ليس كل من كتب أطروحة دكتوراه يغدو عالمًا. نعم، إنه مجتهد ومنظم. لكن هل الحصول على الدرجة العلمية يضمن عالمية الشخص؟ أم أن كل جنرال في الجيش يستحق النجوم على كتفيه؟

اتضح أن روستيسلاف توروباس رجل وسيم غير محدد العمر، شاحب، يسرح شعره بأناقة، ويرتدي بدلة وربطة عنق لمناسبة. الباب الخارجي لشقته المكونة من غرفة واحدة خشبي، أما الداخلي فمن الحديد غير المغطى بطبقة جلدية. لم تستطع كيرا أن تكبح جماح نفسها وباتت تنظر عن كثب، رأت أن ألواح الباب الخشبي قد تفسخت، أما ألوانها فمتموجة كأن فنانا حديثا رسم لوحة عليها بمشعل تلحيم.

- أليس كذلك؟ - سأل البروفيسور توروباس.

- لا - وافقته كيرا بصراحة.

- إذن هناك تأثير - قال بفخر - لم يعجبك شكل بابي. هذا هو رد فعلك الأول. لذلك أنت، مثل معظم الناس، غير قادرة على التحكم في مشاعرك السلبية. في حين تخفين الإيجابية منها، كما لو أن هناك شيء مخجل في الإيجابية. لكن - رفع البروفيسور توروباس سبابتي يديه في آن - لم أشعر بتأثير سلبيتك على نفسي. لقد تحطمت جميع حواجزي النفسية الواقية. لم يكن لدي الوقت لأراكم الجزء التالي من المشاعر السلبية. لذلك أنا أتحدث عن الأمن.

- ومتى تكون في أمان تام، هل لي أن أسأل؟ - سألته بيريزوفسكا.

- يمكنك أن تسألي - أومأ توروباس أي نعم - لا تنتظري جوابا. لا يشعر أي من سكان كوكب الأرض بالأمان التام.

- إذن كوكبنا ميؤوس منه؟

- لم أقل ذلك. لا أدعو العالم الذي نحن فيه معكم الآن بأنه ميؤوس منه. لكن هناك عوالم أفضل وأكثر أمانًا - لمّح بجوابه إلى أن مكتب المدعي العام بات فجأة مهتمًا بهذه المشكلة بالذات.

- يبدو أنك فهمت ما الذي أسعى وراءه.

- إذن، تفضلي، امضي قدمًا - أشار البروفيسور توروباس إلى كيرا بالدخول إلى المطبخ، وسمح لها أن تمشي أمامه. مرت من بباب الغرفة الوحيدة التي تتشكل منها هذه الشقة، كان نصف مفتوح، توقفت بيريزوفسكا مستغربة. كان المشهد يستحق ذلك. كانت الغرفة فارغة تمامًا. الجدران جرداء، السقف مكشوف، والأرضية عارية.

- إلى أين... - سألت المالك، فرأته يشير إلى المطبخ.

لم يكن هناك مكان للتحرك فيه. على الرغم من أن هذا المطبخ، وفقًا لتقديرات بيريزوفسكا، تبلغ مساحته نحو ثمانية أمتار مربعة، وهي كافية للطهو وتناول الطعام. لكنها لم تصدق عينيها، فقد رأت أن صاحب المطبخ استغل أمتاره المربعة الثمانية بالتمام. طاولة عليها تلفزيون صغير بجواره كمبيوتر محمول، مقعدان، موقد غاز، خزانتان على الحائط (إحداهما للكتب)، أكوام من الكتب على الأرض، ولا يزال هناك بعض المساحة المتبقية ليتمكن المالك من دعوة ضيف ليجالسه.

- هل تسكن هنا؟

- ألا ترين؟ الغرفة لا تتناسب مع الفنغ شوي28. عموما غير مناسبة. عندما انتقلت إلى المطبخ، شعرت بتحسن كبير. اجلسي. شاي؟

- لا شكرًا. ليس لدي الكثير من الوقت - تجهمت بيريزوفسكا. لم يكن لديها الكثير من الوقت فعلًا، ولكن إذا لزم الأمر، كانت على استعداد للتضحية بساعات إضافية من أجل احتمال المضي قدمًا في التحقيق. لكن فجأة أرادت الهروب من هذه الشقة الغريبة، فتحججت بالوقت.

- أنت أيضًا، كما أرى، ليس لديك الكثير من الوقت.

- من أين أتاك هذا الاستنتاج؟

- بدلة. ربطة عنق. أنت ذاهب إلى مكان ما.

- المنطق، مثل السيد هولمز. هذا هو منطق الشخص العادي الذي اعتاد التفكير التحليلي. منطقك غير قادر على الإيحاء بأن هذه البدلة إلى جانب ربطة العنق هي ملابسي اليومية. على هذه الهيئة أتجول في الشقة بصراحة.

لم تقل شيئًا ردا على ذلك، جلست كيرا على حافة أريكة واستقر توروباس مقابلها على كرسي.

- مكتب المدعي العام مهتم بالعالم الموازي كيف نفهم هذا؟

- هل الفهم ممكن بطريقة ما؟ - سأل بيريزوفسكا.

- لا أعتقد أنه يمكنك العثور على أي مجرم، أنت تفترضين أنه عبر حدود العالمين واختبأ في مكان ما في نارنيا29.

- مكتب المدعي العام، روستيسلاف ميخائيلوفيتش، مهتم بالعالم الحقيقي. وكل ما هو غير قانوني فيه - قررت كيرا أن تتحدث مع هذا الرجل غير الواعي تمامًا، لذلك فعلت ذلك بدون مقدمات - في الوقت الحالي نحن مهتمون جدًا بظروف حالة واحدة. على الفور اختفى شخصان من دون أن يتركا أثرا لمدة من الوقت وعادا. فقدت الشابة ذاكرتها جزئيًا. الرجل ليس أكبر منها بكثير، ولم يستيقظ بعد. لم يُعثر على أي آثار للعنف في جسميهما - ضبطت نفسها ولم تتحدث عن وجود ورم دموي على مؤخرة رأسيها - حدث الأمر في مكان سمعته مريبة في الآونة الأخيرة. يقولون إن هناك نوعًا من المنطقة الشاذة، والطاقة السيئة، وعلى وجه الخصوص، يتحدثون عن وجود شيء مشابه لعالم مواز في تلك المنطقة. أنا مهتمة بالواقع الذي نتعامل معه، ولماذا يمكن الوثوق بهذه القصة.

ألصق توروباس جفنيه بعضهما ببعض للحظة، ثم فتح عينيه وسأل بهدوء:

- إذن، أنتم، الماديون، ما زلتم مهتمين بما إذا كان العالم الموازي موجودًا أم لا. ويمكن أن يبقى الناس فيه لفترة من الوقت. أنا لست على خطأ؟

- أنت لست مخطئا - أومأت كيرا مؤكدة.

- لا بكلمتين، ولا بجملتين، أستطيع أن أشرح لك كل ما يتعلق بهذه الظاهرة. من الأفضل أن تغادري، أنت تضيعين وقتك.

- الأمر متروك لي لأقرر - أجابت بيريزوفسكا بحدة - لولا ظروف معينة، لما كنت قد اتصلت بك أصلًا. لكن شخصين وقعا ضحيتي ما يسمى بالعالم الموازي. وهاتان الحالتان المعروفتان فقط. بالإضافة إلى ذلك، هناك شهود لا يعرفون بعضهم البعض، أتيحت لهم الفرصة في أوقات مختلفة مراقبة ظاهرة غير عادية، أي ظهور الشخصين من العدم بالمعنى الحرفي للكلمة أمام أعينهم. لا يمكن للشهود أن يحلموا بالأمر عينه. كما قال أحدهم، لبضع ثوان، كان الظلام مخيمًا وفجأة أمام عينيه ظهر رجل. إما أنها خدعة أو... - توقفت مؤقتًا لأنها حقًا لم يكن لديها المزيد من الكلمات. لم تؤمن كيرا بيريزوفسكا نفسها بما كانت تقوله الآن. ومع ذلك، فإن الصورة العامة لما حدث مع توما توميلينا وفيكتور شامراي بدت بالضبط هكذا.

نهض البروفيسور توروباس بصمت، وأخذ كوبًا شفافًا نظيفًا من الحوض، وسكب أكثر من نصف ماء الصنبور فيه، ووضع الكوب على الطاولة ووضع ملعقة صغيرة فيه.

- انظري. هل هذه حيلة أيضًا؟

لم تلحظ كيرا أي شيء في البداية. لكن بعد لحظة لاحظت: يبدو أن ملعقة في كوب من الماء مكسورة - أراك تفهمين - قال توروباس، أخرج الملعقة من الماء وأدارها أمام عيني كيرا -

ليست مكسورة، انظري. والآن مكسورة مرة أخرى - أدخل الملعقة في الكوب.

- يبدو، روستيسلاف ميخائيلوفيتش، أنك توضح لي كيفية عمل القوانين الأولية للفيزياء. برنامج المدرسة الثانوية، إذا لم أكن مخطئة. لقد درست الفيزياء لمدة طويلة، ولكي أكون صادقة، لم يعجبني هذا حقًا. خدعة الملعقة والكوب موجودة في الكتب المدرسية.

رفع توروباس سبابتيه مرة أخرى.

- ومع ذلك، أنت توافقين: كائن متناسق تمامًا، في بيئة معينة في ظل ظروف معينة، يمكن أن يخلق الوهم بتغيير في الشكل. هذه التشوهات في الزمان والمكان، أثبتت، كما لاحظت أنت بنفسك، بطريقة أولية إلى حد ما، سببًا للشك في صحة العبارة القائلة بأن ما نراه بالعين المجردة فقط هو الموجود. هل ترغبين في مثال ابتدائي آخر من المناهج المدرسية؟ الكرتان على الأوتار. لكل واحدة مجال الجاذبية الخاص بها. لكن اعتمادًا على الزاوية التي نعيد بها هاتين الكرتين، فإنها إما ستجذبان إلى بعضهما البعض، أو على العكس من ذلك، تتنافران. هذا يعني أن الجاذبية ليست موحدة في كل مكان. هذا يعني أن الفضاء من حولنا له أبعاد أكثر مما هو مذكور في كتب الفيزياء أو الهندسة. هل تعبت مني أيتها المادية؟

- ليس حقًا - بدأ رأسها يؤلمها، لكن كيرا قررت عدم تقديم رفاهية الاعتراف لمحاورها المجنون - لكنك لم تجب على سؤال مباشر أيضًا.

- الجاذبية والمجالات المغناطيسية والفضاء متعدد الأبعاد هذه فقط المفاهيم الأساسية. بناءً عليها، عندما تريدين، يمكنك الحصول على بعض المعرفة الأساسية حول الموضوع الذي يهمك فيما يتعلق بأداء واجباتك الرسمية. أما الاتصال بالعالم الموازي ممكن فقط عندما تكون كل هذه العوامل متداخلة معًا وفي الوقت نفسه. هنا، كما في المسرح، هناك حاجة إلى وحدة المكان والزمان والفعل. في وقت معين، في ظل ظروف معينة، في مكان معين، يظهر عالم مواز حقًا. هنا، سيدتي، مثال طفولي آخر. مثال الصور. كم مرة حدث أنه في خلفية الصورة، يرى الشخص الذي قام بالتصوير بعض البقع الغريبة أو حتى الخطوط العريضة التي لم يلاحظها عند التقاط الصورة. وذلك لأن الحساسية الطيفية لمواد التصوير أقوى بكثير من حساسية العين البشرية العادية.

- هل تقترح البحث عن علامات لعالم موازٍ بواسطة الكاميرا؟ - فكرت كيرا في ما يفعله براجنيك منذ ثلاث ساعات في قرية مهجورة.

- ليس بالكاميرا الرقمية الرهيبة! - لوح البروفيسور توروباس بيده وكأنه يطرد بعوضة - الفيلم أكثر حساسية لمثل هذه المظاهر الشاذة، لأن التأثير الكهروضوئي الذي سبق ذكره حقيقي. للمناسبة، ما الذي نتحدث عنه بالفعل؟ ما المجال الذي تهتمين به؟

- بيدليسني - ردت كيرا بهدوء - هل سمعت بها؟

- آه - أجاب بخيبة أمل ما.

- قرأت. وكتبت تلك الصحيفة الرهيبة التي اتصلوا بي منها بشأنك...

- لماذا الرهيبة؟ - قفز حاجبا كيرا فوق قوسي نظارتها - أنا أتفق معك، لكنك على اتصال وثيق بالصحيفة، ثم تقول إنها رهيبة...

- هل نحن جميعًا محميين من الاتصال المستمر بأمور رهيبة؟ - وجه سبابتيه إلى كيرا - لا توجد منصات أخرى حتى لمحاولة الحديث عن مثل هذه الأشياء التي لا يلاحظها أحد. ليس فقط في جيتومير. هناك القليل منها بشكل عام. على الأقل يلجأ الكتّاب إليّ عندما يواجهون مسألة غير واضحة. لقد كتبوا عن المنطقة الشاذة في بيدليسني. رغبت في التوجه إلى هناك خلال الأيام الماضية، لكنني لم أفكر بعد في كيفية الوصول. حسنًا، من السهل الآن أن أجيبك - أنزل توروباس يديه، وشبك أصابع كفيه على بطنه - يمكنك الدخول في عالم موازٍ. خيالك المحدود لا يسمح لك حتى بتخيل هذا. لكن قد يتضح أن بيدليسني هي المكان الذي ستعمل فيه جميع العوامل التي ذكرتها في وقت واحد. تخيلي أنا وأنت.

- لا أستطيع أن أتخيل - فكرت كيرا ولم تضف شيئًا، ما أعطى محاورها موافقة ضمنية على الاستماع أكثر.

- بإرادة الظروف، انتهى بك الأمر في عالم موازٍ. لكني لا أستطيع أن أرى كيف وصلت إلى هناك، وأنا أيضًا لا أفهم كيف انتهى بك الأمر. أنت، من ناحيتك، لن تري شيئًا في العالم الآخر. هذه هي الطريقة التي تعمل بها العين البشرية. الآن، إذا نظرنا بعضنا إلى بعض من خلال عدسات الكاميرات... تذكرين، مسلسل الكرتون "موسيقيو بريمن"[30]؟ هناك طاردهم مخبر لامع مع كاميرا مدمجة في عينه. يمكنه النقر عليها، ولم تكن الكاميرات رقمية بالتأكيد. أي طريقة تفضلين لرؤية عالم موازٍ، إيه، طريقة المخبر؟

بدا لكيرا أن توروباس كان يسخر منها، وأن لديه أسبابه. أسفت بالفعل على الوقت الذي أضاعته، وها هي الساعة تجاوزت الثانية من بعد الظهر قد حلّت ولم تسمع شيئًا من براجنيك. لم تكن تعرف حقًا ما الذي تريده من هذا البروفيسور المجنون توروباس، فالبحث عن عوالم موازية مع هذا البروفيسور ليس أفضل طريقة للوصول إلى حل قضية مصرع المصرفي. وصلت إلى فكرة. عليها أن تجد طريقة لإنهاء هذه المحادثة والخروج من الشقة. تحججت بضرورة الردّ على مكالمة هاتفية. لاحظت كيرا كيف تجهم المالك. أخرجت الهاتف بتحد من محفظتها، ونظرت لترى ما إذا كان الرقم مألوفًا، وتأكدت من أنه أحد معارفها، أجابت:

- نعم. يومك سعيد. أستطيع بالطبع. أنا أستمع إليك - كان لا بد من هضم ما سمعته - حتى مع ذلك؟ - سألت، تحسبًا فقط، ونسيت للحظة وجود توروباس.

بعدما استمعت إلى المحاور حتى النهاية، فهمت كل شيء عن العوالم المتوازية. تجاهلت صاحب الشقة وسخطه الواضح. باتت جاهزة للخروج فاتصلت برقم براجنيك. يجب أن يعرف

ويعود على الفور. كلما أسرع في مغادرة المنطقة الشاذة كان أفضل. كان هاتفه خارج التغطية. حاولت مرة ثانية. ثالثة. رابعة. النتيجة نفسها. لم تتمكن من الاتصال بسيرهي براجنيك.

15

منذ توقفه عند مدخل بيدليسني كان براجنيك قد لاحظ آثار عجلات سيارات، فالقرية المهجورة لم تكن مهجورة تمامًا، نظرًا لأن السيارات كانت تزورها، لم يعلق أهمية كبيرة على الأمر. فقد جاء فيكتور شامراي، وسبقته إليها تمارا توميلينا بسيارتها. على العكس من ذلك، كان النقيب ليتفاجأ لو لم ير آثار سيارات أو بشر على الطريق. ومع ذلك، بعد تمشيط جزء من القرية والاقتراب من وسطها، لاحظ سيرهي أن آثار العجلات تمتد على طول الطريق وتنعطف في مكان محدد منه في اتجاه معين. ليس عليه أن يكون متعقّبًا ليعرف الآثار التي تتركها سيارة جيب ثقيلة ويميزها عن آثار عجلات السيارات الأخرى. بعد الوقوف قليلًا، عاد براجنيك إلى الخلف ليتتبع اتجاه الجيب. بدا الأمر كما لو أن شخصًا ما في سيارة جيب قد دخل إلى بيدليسني، ومن دون توقف، أكمل سيره نحو وسط البلدة. قرر سيرهي أن يفعل الشيء نفسه، وسار على الآثار، فانتهى به المطاف في ساحة صغيرة بجوار قاعدة حجرية فارغة، مقابل مبنى مجلس القرية السابق. هنا استدار يمينا. إلى المبنى، مشى فشعر فجأة برائحة غريبة. بالكاد محسوسة، لكن يحملها النسيم فتحط على الأنف المبلل برذاذ المطر. لسبب ما، شعر براجنيك بعدم الارتياح في هذا المكان. قام بفرك صدغيه. غزته أحاسيس غريبة تنذره بشر قريب، أخرج مسدسه، وأزال قفل الأمان.

بدا الصمت غريبًا. لم يكسره حتى نعيق غراب. تذكر براجنيك فجأة أنه سمع في مكان ما أن الغربان لا تنعق في المقابر. تقدم في الاتجاه نفسه متتبعًا آثار العجلات. وصل إلى المبنى الذي كان متجرًا، اقترب من المنزل الأول، دار حوله فوجد نفسه في الفناء. هناك، قرب الحافة انتهت الآثار. كان يتفحص الأرض الموحلة باهتمام، فخلص سيرهي إلى أن هذا المكان الذي استدارت فيه سيارة الجيب وغادرت. فآثار العجلات لم تتخطاه نحو المنازل المجاورة. شعر أن حل اللغز يقع في مكان قريب جدًا. ذهب براجنيك إلى أقرب منزل، مشى حول الفناء، نظر إلى الداخل، أزاح بعض الألواح الخشبية بقدمه. ثم فحص منزلًا آخر، تأكد من أنه لم يشم رائحة البشر منذ مدة طويلة، عاد إلى حيث كانت سيارة الجيب متوقفة. اقترب من منزل، دفع سيرهي بابه بقدمه ودخله. تقدم بحذر إلى غرفة كبيرة، توقف عند الباب وأنزل سلاحه. تنفس الصعداء. لم يكن مخطئًا. قصد المكان أناس وأكثر من مرة. هنا شربوا الفودكا وأكلوا التشيبس والسمك المعلب. تناثرة بضع زجاجات فارغة في الزاوية وامتلأ صندوق قمامة صغير بأغلفة التشيبس والعلب الفارغة. نظر عن كثب فلم يجد أكوابًا بلاستيكية، فهؤلاء الأشخاص، أيًا كانوا، إما أحضروا معهم أكوابًا زجاجية، أو على الأرجح شربوا من الزجاجة مباشرة.

أحس براجنيك بأمر مألوف لدى محققي الشرطة. فمن كانوا في سيارة الجيب قاموا بأمر ما مخالف للقانون هنا. من خبرته، أعقب كل اعتراف خامس بالقتل عبارة مفادها "بعد ذلك اشترينا زجاجة كحول من محل بقالة قريب وشربناها مباشرة لتخفيف التوتر". في بعض الأحيان، كان لدى

براجنيك انطباع بأن معظم القتلة يتفقون بطريقة ما فيما بينهم. كل مرة يغسلون خوفهم بالفودكا، ويصبونه في أنفسهم عبر عنق الزجاجة. هبّ نسيم حمل إليه رائحة مرحاض من الغرفة المجاورة. تجهم براجنيك. في الواقع، كان المرحاض مرتجلًا، إذا كانوا يقضون حاجتهم قرب الجدار أو عليه ويستخدمون أوراق صحف، كانت متناثرة على الأرض، حيث كان الوحل ممزوجًا بشيء آخر. لم يستطع سيرهي فهم سبب انزعاجه من هذه الرائحة أكثر من غيرها. خرج إلى الهواء الطلق. عبّ منه، ثم تجول حول المنزل، ومشط الفناء الصغير. لا يوجد ما يدل على أعمال حفر. كان ابن المدينة على دراية محدود بالأمور الزراعية، لكنه كان يعلم أنه إذا لم تُحرث الأرض لخمس سنوات فستغدو غير مناسبة للزراعة وتفقد خصوبتها. هنا لم تلمس التربة مجرفة أو محراث لعقدين من الزمن.

في فناء منزل الأشباح هذا حيث توقفت سيارة الجيب. ما الذي فعلوه؟ لماذا هنا بالضبط؟ إذ يوجد نحو خمسين منزل آخر مثل هذا... في آخر الفناء توجد حظيرة مهجورة شبه منهارة. بالقرب من برج مثلث من الطوب يوجد مدخل قبو. الحظيرة بلا باب إلا أن مدخل القبو مقفل. كل الأبواب بلا أقفال في هذه القرية سوى هذا. لم ير سيرهي غيره، كما أن أبواب القرية الميتة كلها متهالكة. نظر إلى ساعته، تجاوزت الثانية من بعد الظهر. نقل المسدس إلى يده اليسر وأمسك القفل باليمنى وهزّه. لا جدوى من البحث عن المفتاح، ربما لا يكون هنا. ضرب بقبضته الباب. تراجع خطوة إلى الوراء، أعاد المسدس إلى يده المينى وصوبه. لم يكن يعرف ما إذا كان من الممكن فتح الباب المغلق بإطلاق النار عليه لكن عندما انكسر صمت بيدليسني الميتة بطلقتين متتاليتين أدرك أن ذلك ممكن. سحب الباب نحوه، خطا سيرهي براجنيك الخطوة الأولى المؤدية إلى القبو.

16

دهمت أنفه رائحة مقرفة على الفور، كان قد خبرها عشرات المرات في فرق الدهم مع عناصر قسم الجنايات. يصعب التعود على مثل هذه الرائحة بل يكاد يكون مستحيلًا. رجال الشرطة الشبان الأصحاء يتقيأون منها، ومن الجيد أن يركضوا فورًا باتجاه المرحاض أو إلى المغسلة. لكن في معظم الحالات، يستديرون ويتقيؤون مباشرة على الأرض حيث يقفون. لذلك، يرسلونهم للحصول على قطعة قماش، فيحاولون عدم التقاء نظراتهم بنظرات الأطباء الشرعيين وزملائهم الأكثر خبرة، وهم يمسحون القيء. بدا لبراجنيك أنه ذاهب إلى المشرحة، إلا إن كان هذا الدرج الضيق يؤدي مباشرة إلى الجحيم.

أمسك سيرهي مسدسه بيده اليمنى، وباليسرى المصباح المضاء. خطا ببطء شديد وبحذر، نزل ووقف أمام باب مدخل القبو. أدار المقبض فأحدث صريرًا شريرًا وفتح الباب. عمّت الرائحة الكريهة المكان فانقبضت معدته بشكل تلقائي. ابتعد، أخذ نفسًا عميقًا فلم يشعر بأن الرائحة قد خفت حدتها، بل على العكس من ذلك، بدا له أن القبو مخنوق بنسيج عنكبوت كثيف منسوج من تلك الرائحة المقيتة. أضاء الطريق أمامه، في البداية لم تستطع عيناه التعود على الظلام، ولم يساعده المصباح اليدوي كثيرًا. لكن سيرهي تلمس طريقه وتعثر بشوال ما على أرض القبو. ابتلع ريقه، اقترب ونظر عن كثب، رأى شوالا عاديًا يستخدم لنقل البطاطس. الرائحة الكريهة مصدرها الشوال. لمسه براجنيك بفوهة المسدس، شعر بشيء ما طري فيه. لم يرغب في تصديق ما كان على استعداد لمشاهدته. أمسك الشوال وسحبه باتجاهه بحركة حادة. أمسك مقبض المصباح اليدوي بأسنانه. سحب بيده المحررة سكينًا من جيب بنطاله. فتح الشوال ونظر فيه. رأى الجهة اليسرى من وجه جثة تغطيه دماء جافة. خرجت معدة براجنيك عن سيطرته تمامًا فكل ما كان قد تناوله اليوم وجبة إفطار سريعة. سقط المصباح من فمه. شعر بدوار مفاجئ وتقيأ فوق الجثة والشوال. ارتجف جسم من التشنجات. ضغط بيمناه على قبضة المسدس بإحكام، ومال جانبًا نحو المخرج، زحف خارجًا على أطرافه الأربعة. هز براجنيك رأسه مثل الماعز دافعًا الغثيان عنه بعيدًا. استمرت المعدة في التمرد، ولم تعد تقذف بقايا الطعام بل عصارة مرة. قفزت نقاط من الألوان القزحية أمام عينيه. عند الباب المفتوح، عاد سيرهي إلى رشده، وجلس متكئًا على جدار من الطوب، مسح شفتيه بكم سترته. ثم، وهو يضغط على أسنانه، نهض وعاد إلى حيث كان المصباح متوهجًا، والذي لم ينطفئ عندما سقط. للتغلب على الاشمئزاز، أخرجه براجنيك من قيئه، ومسحها ميكانيكيًا على سرواله، وتوجه مرة أخرى إلى الجثة. نظر إليه القتيل بعين زجاجية غير ملطخة بالدماء. لم يكن ضوء هذا المصباح كافيًا لتفحص الجثة وتحديد وقت مصرع هذا الرجل. لم يكن وجهه مشوهًا بل ملطخًا بالدماء. للتغلب على الغثيان، ركع براجنيك مرة أخرى. انحنى. ألقى الضوء على وجه القتيل. ذكر، متوسط العمر، مصاب في رأسه برصاصة، أو بكسر جمجمته. نهض مرة أخرى، تفحص براجنيك المكان أمامه،

بدأ رأسه يتألم ويدور من الرائحة. كان المحقق مقتنعًا بأن عدد القتلى في هذا القبو لن يقتصر على جثة واحدة.

كشف شعاع المصباح شوالًا آخر من الظلام. أبيض، مصنوع من عدة ملاءات. على الرغم من الاشمئزاز والخوف، تحرك براجنيك إلى الأمام ببطء. كشف الشعاع كومة كاملة من الشوالات. لم يبدأ سيرهي حتى في عدّها. اثنان ثلاثة أربعة... لا يهم. في هذه الشوالات جثث، جثث، وهي ليست مكدسة، بل ملقاة في كومة رهيبة واحدة. لم تسمح برودة القبو لها بالتحلل بسرعة وبشكل كامل، ولكن حتى في مثل هذه الظروف، يجب أن يتحلل الجسم عاجلًا أم آجلًا تمامًا. نظرًا لعدم وجود الوقت أو الرغبة في فحص كل شوال، اكتشف براجنيك، وهو لا يزال يحتفظ بالقدرة على التفكير العقلاني أن هذه المقبرة لم يمرّ عليها أكثر من عام. وفي أسوأ الأحوال سنة ونصف السنة. يجب البحث عن "سكان" هذه المقبرة الأوائل في ركن بعيد، في الجزء السفلي، تحت بقية الشوالات. لكنه لا يريد أن يفعل ذلك. غطى فمه وأنفه بكمه، وتراجع، وغادر القبو الرهيب، وصعد إلى السطح، وهناك، بعد نسمة من الهواء النقي، كاد يتقيأ من جديد. اتكأ على مثلث القرميد، كرر براجنيك التمرين، شهق وزفر بعمق. التقط المصباح اليدوي من الأرض. تذكر أن السكين سقطت منه لكنه لم يرغب في العودة إلى القبر المليء بالجثث للعثور عليها. في لحظة واحدة بات كل شيء واضحًا. المنطقة الشاذة في الأراضي المحظورة باتت واضحة. وهو بحاجة لطلب المساعدة. لقد فعل كل ما في وسعه.

الساعة الثانية وخمس وثلاثون دقيقة. استمر المطر، كما هو متوقع، مطر رذاذي خفيف. سحب النقيب هاتفه الخلوي، كان على وشك الاتصال برقم كيرا. شتم بصوت عالٍ. لم تكن هناك تغطية في بيدليسني. الهاتف لا يعمل.

17

ركض النقيب داخل دائرة قطرها أربعون مترًا محاولًا التقاط إشارة في مكان ما. لكن من دون جدوى. القرية نفسها تقع في واد صغير، وقد أعيد توطين أهلها وأهالي القرى المجاورة، وأعلنت الأراضي محظورة قبل وقت طويل من ظهور عالم الاتصالات الخلوية، ليس فقط في أوكرانيا بل في العالم كله. يمكن أن يكون حظ الهاتف الذي أقوى هنا، إلا أن هاتف سيرهي عادي رخيص، وحتى قديم، بدون نغمات وإضافات عصرية مثل الكاميرا. وهو يعمل بشكل جيد، ويلبي جميع احتياجاته الهاتفية الحالية والمتواضعة للغاية. لم يتوقف المطر، على العكس من ذلك، بدا أنه اشتد. الآن لم تعد القطرات فرادى، لكنها تتدفق في تيارات باردة خلف طوق سترته. أحكم سيرهي القبعة فوق رأسه. أراد الوصول إلى السيارة والاندفاع إلى أي مكان تعمل فيه إشارة الخلوي. على الأقل، إلى نقطة الحراسة على الطريق السريع، حيث يؤدي صديقه الجديد كوليا بوزير خدمته المملة.

سيجد طريق العودة بدون أي مشاكل، ولن يكون مرتبكًا. سيصل إلى مركز الشرطة، ويقول ماذا وكيف، ويتصل بجهاز اللاسلكي بالدائرة المحلية. فليطيروا إلى هنا، حيث عثر على قبو مليء بالجثث. وليساعدوا في حماية مسرح الجريمة. لكن بعد مشي عشرات الأمتار، توقف سيرهي. نظر إلى المنزل الرهيب، فرك فوهة مسدس. لا، لن يجدي ذلك نفعًا. بعد سنوات من العمل رسخت في رأسه إحدى القواعد القليلة التي لا يزال يتبعها وهي تجنبه مشاكل غير ضرورية أثناء التحقيق. من المستحيل مغادرة مكان الجريمة دون أي حماية وإشراف بأي حال من الأحوال. فكيف مع مكان مثل هذا؟ لذلك، استدار سيرهي، وعاد إلى الوراء، وأدار عجلات دماغه بين الخشخشة والصرير وهو يمشي. من ناحية، هذه قرية مهجورة في أحد قبائها مجموعة من الجثث، لو لم يكن براجنيك هنا منذ ساعة ونصف الساعة لم يكن من المحتمل أن يحدث أي شيء. لا أحد يعرف عن نيته استكشاف بيدليسني، باستثناء كيرا بالطبع. لذلك، من وضع الجثث هنا، لا يشك في أن مخبأه قد كشف. الإضافة إلى ذلك، فإن الكشف عن الجثث لا يعني إطلاقا القبض على القتلة أو الذين أحضروا هذه الجثث إلى هنا. لكنه لم يستبعد احتمالًا، وهو أنه خلال هذا الوقت يمكن للمجرمين أن يأتوا بجثة أخرى وأن يروا القفل مكسوًا، وأن يبدأوا في إتلاف الأدلة. بالطبع، لن يتمكنوا من تحميل جبل كامل من الجثث في سياراتهم الجيب أو أي سيارة أخرى وإخراجها من هنا. لكن يمكنهم طمس الأدلة التي قد تقود إليهم، وهو أمر سهل.

عند دخوله المنزل بسرعة، لم يأبه براجنيك بالرائحة المقززة، التقط كيس التشييس، وحاول عدم مسح البصمات عنه ثم التقط إحدى زجاجات الفودكا من فوهتها. بعد التفكير لثانية، خرج وانتزع أحد الألواح الخشبية المهترئة على درج الشرفة ووضع الأدلة المادية بعناية في

الحفرة تحته. هناك، في مكان جاف وآمن إلى حد ما. عندما انتهى حلت الساعة الثالثة، بدأ اليوم المكفهر الملبد بالغيوم يستسلم بسرعة لغسق كانون الأول/ديسمبر الرمادي.

بعد قليل سيبتلع الظلام بيدليسني. لا يعرف كيف يطلب المساعدة. أخرج براجنيك هاتفه المحمول مرة أخرى، وقام بمحاولة فاشلة أخرى للاتصال. وبعد ذلك، دهمته فكرة فرفع رأسه، ونظر مباشرة إلى منزل يبلغ ارتفاعه عشرين مترًا. كان شاهقًا على عكس معظم الأكواخ، فمن الواضح أن مالكه كان ثريًا، فقد قام ببناء عليّة، ما يجعل سطح المنزل في مكان ما أعلى بنصف طابق من أسطح المنازل المحيطة. بالإضافة إلى ذلك، لم يبرز هذا السقف في شكل مثلث، ولكنه ذو انحناء بسيط، ما جعله يبدو أكثر حداثة. فكر براجنيك في الصعود إلى السطح ومحاولة التقاط الإشارة. هل سينجح الأمر؟ خبأ المسدس في جيبه حيث المصباح ركض سيرهي بسرعة إلى المنزل. الباب، كما في أي مكان آخر، قد تطاير عن مفصلاته. لكن عند دخوله قاعة المدخل، أدرك براجنيك أنه لم يكن مخطئًا في ما يتعلق بالمالك السابق الذي كان ثريًا ومهتمًا بمنزله. بين أكوام القمامة الخشبية المتناثرة على الأرض في الزاوية وجد درجًا صدئا مصنوعًا من أنابيب حديدية متينة. نظر سيرهي مباشرة من أسفل الدرج، ورأى ما كان يأمل أن يراه. فتحة مربعة تؤدي إلى العلية. التقط السلم، ووجهه إلى الفتحة وهزّه ليتحقق من قوته، ثم صعد بحذر.

بعد صعوده إلى العلية، خطا بضع خطوات، شعر براجنيك بثقل جسمه فوق الألواح الخشبية المهترئة. خاف أن تهوي به ويسقط بقوة، كما هي الحال في السينما الأمريكية. مشى جانبيًا بحذر. بمساعدة يديه، وصل إلى المدخنة، انحنى عليها، وأخذ نفسًا. أخرج الهاتف، نظر إلى مكان الإشارة. كاد أن يسقط من الفرح غير المتوقع. لقد نجح. خفض يده إلى مستوى الصدر، تأكد من اختفاء الإشارة هنا. رفع يده، ومددها فوق رأسه، وحركها في دائرة، لا تزال الإشارة موجودة. بعد العثور على رقم بيريزوفسكا، ضغط زر الاتصال ورفع يده بسرعة فوق رأسه، محاولًا سماع الإجابة بهذه الطريقة على الأقل. لكن شيئًا ما كان مزعجًا مرة أخرى، وعند النظر إلى الشاشة، فهم سيرهي أنه على الرغم من أن التقاط الإشارة هنا، إلا أنه لم يتمكن من الاتصال بجيتومير. ما العمل... تذكر بسرعة الملازم أول بوزير. كتب رسالة قصيرة: "هنا على الفور. اتصل بالشرطة. براجنيك". ثم رفع يده مرة أخرى، التقط الإشارة وضغط على زر الإرسال. تم إرسال الرسالة. على الرغم من أن كوليا ليس أذكى رجال الشرطة، إلا أنه يجب أن يحسن التصرف، فهو يعرف إلى أين كان براجنيك متوجهًا.

نظر براجنيك حوله من فوق. كانت هناك سيارة تتحرك من الغابة مباشرة إلى القرية المهجورة مثل خنفساء مربعة سوداء بطيئة. نظر. أغمض عينيه. إنها سيارة جيب. رأى الجيب المفترس يقف بجانب سيارته. خرج منه رجلان. سحب كل منهم شيئًا ما من السيارة، شيء يستطيع المحارب المخضرم، المظلي السابق براجنيك، أن يتعرف إليه بسهولة. بندقية كلاشينكوف الهجومية. قفز رجل آخر من مقعد السائق. قرر براجنيك أنهم ثلاثة. ليسوا كثيرين. لا بأس. قال السائق شيئًا للرجلين، مشيرًا بيده كما لو كان يقطع خشبة. لقّم أحدهما رشاشه وأطلق النار على عجلات سيارة سيرهي. علموا أن ضيفًا غير مرغوب فيه كان على أرضهم. فقاموا بحرمانه من إمكانية المغادرة. وبعد ذلك، كما لو أنهم شعروا بشيء، أداروا رؤوسهم جميعًا في اتجاهه. فرأى الشخص الوحيد على السطح رشاشين مشهرين، ولم يتخلف السائق عن زميليه بل أخرج أيضًا مدفعًا

رشاشًا. تحرك الثلاثة معًا، كما لو أنهم في منافسة رياضية أو أنهم في رحلة صيد هدفها اصطياد سيرهي براجنيك.

18

لم يكن لديه خطة "أ" أو خطة "ب" لوضع كهذا. لديه مسدس مع مشط احتياطي. أطلق رصاصتين منه على قفل القبو، وهذا يعني أن مخزونه الكامل من الذخيرة هو أربع عشرة طلقة في مواجهة ثلاثة رشاشات كلاشنكوف، ومن المحتمل أن لدى المجرمين أمشاط احتياطية أيضًا. لكن المجرمين لم يعرفوا أن براجنيك كان قد شارك بالفعل في معارك حقيقية مع قطاع الطرق في أواسط تسعينيات من القرن الماضي، حين كان قطاع الطرق يطلقون النار من الرشاشات ويلقون القنابل اليدوية. لكن أسلحة رجال الشرطة لم تتغير، فهي مسدسات خدمة. بدون أن يتسبب في مشاكل لا داعي لها، جلس براجنيك على لوح خشبي وانزلق لأسفل واختفى عن أنظار جنود العدو. هبط على قدميه، وسقط على جانبه، وتدحرج، وارتطم بالحائط. نظر إلى ساعته: الرابعة والربع. هل تلقى بوزير الرسالة واتخذ بعض الإجراءات. كم يحتاج لهذا؟ خمس دقائق، عشر؟ دع شرطة القضاء تقرر. إن لم يكن بوزير أحمقًا تمامًا، فسيطلب المساعدة من جيتومير. باختصار، إدراكًا لمستوى كفاءة الملازم أول كوليا بوزير وجميع زملائه الآخرين، منحه سيرهي ستين دقيقة كحد أقصى لكل شيء. لذلك قد يستغرق الأمر ساعة. وإذا لم يحدث شيء بعد ساعة؟ من الأفضل عدم التفكير في الأمر الآن. هنا دقيقة واحدة يمكن أن تحدث فرقا. لذا حان الوقت. من الأفضل عدم الظهور خلال هذه الساعة.

نظر براجنيك بحذر من مخبئه، رأى كيف تحرك الرجال شاهرين مدافعهم الرشاشة بثقة وبسرعة. أعادوا ترتيب أنفسهم، يتحركون الآن في نصف دائرة، كما لو أنهم يطاردون حيوانًا. سحب سيرهي مسدسه. من الأفضل عدم المخاطرة. دعهم يطلقون النار أولًا. ربما سيحاول اللعب للحصول على الوقت مفاوضات معهم... شطب سيرهي هذه الفكرة على الفور. إن إجراء أي نوع من المفاوضات مع مجرمين ملأوا القبو بالجثث، ويريدون الآن محو الأدلة هو أمر صعب للغاية وغير مثمر أبدًا. يُفضل التصويب بدقة على أطرافهم. يجب ترك واحد منهم على الأقل على قيد الحياة. لكن حياته هو موضع سؤال كبير الآن. حاول ألا يفكر.

في ذلك الوقت، حجبته عدة منازل مجاورة وجذوع أشجار التفاح العارية عن عيون ذوي المدافع الرشاشة. ملأ صدره بالهواء واندفع مبتعدًا عن الحائط، ثم انحني وأسرع نحو البيت المجاور. آنذاك، بدا لأحد المجرمين أنه رأى هدفًا متحركًا فأطلق رشقًا طويلا من النار، وفقًا لتقديرات المحارب السابق، بدا أن النيران كانت تطلق نحو مبنى المتجر. تناثر الرصاص في سماء المنطقة. تحرك براجنيك، قفز إلى الأمام، كما لو أنه يغوص في الماء، وهبط بهدوء على الأرض، وتدحرج على الوحل واتكأ بظهره على جدار البيت. باتت النيران تطلق بشكل أكثر كفاءة، وضربوا في رشقات نارية قصيرة. تسبب الرصاص في قطع تساقط القرميد، خطف نظرة في ذلك الاتجاه، ثم اندفع إلى الخلف قليلًا، وانزلق على الأرض، ونظر مرة أخرى. تفرق مطلقو النار، أولهم الذي كان

يسيطر على الجناح الأيسر أنزل بندقيته الآلية ووجهها إلى أحد البيوت. وبينما كان يمشي، أخرج شيئًا ما من جيبه. الثاني اتجه يسارًا، أما الثالث فتحرك إلى الجانب الأيمن، جثم، محاولًا تمييز مكان سيرهي، الذي وجد أن من الأفضل التراجع والهرب، ثم المراوغة مثل الأرنب من بيت إلى بيت سعيًا لشراء الوقت. في هذه الحال، لن يتمكن المهاجمون من اللحاق به إلا بمطاردته بسيارة الجيب. الهرب من أمام فوهات ثلاثة رشاشات ليس عارًا. معظم الناس في مكان سيرهي براجنيك سيفعلون ذلك، لكنه لم يرغب في الهروب من مبدأ لا يستطيع شرحه لنفسه. بقي لحراسة مسرح الجريمة وحماية الأدلة. لم يكن مستعدًا للقتال. ولكن إذا وجد نفسه مضطرًا لذلك فسوف يري هؤلاء المجرمين كيف حارب المظليون السوفيات. على الرغم من أن المظليين خسروا الحرب. لكن هذه قصة أخرى وقد انتهت.

كان سيرهي قلقًا من المجرم الثالث الذي كان متجهًا نحو قبو الجثث. لم ير الكثير، لكنه أدرك ما الذي أخرجه الرجل من جيبه، قرر براجنيك عدم الانتظار وعدم التردد، وعدم تضييع الوقت. أمسك المسدس بكلتا يديه، وخرج فجأة من زاوية المنزل. لم يفصله أكثر من عشرة أمتار عن خصومه، تمكن سيرهي أخيرًا من رؤية الثالوث كله. فوجئ برؤية أن اثنين منهم كانا يافعين، بدا له أنهما خائفان قليلًا مما يحدث. ليسوا مقاتلين محترفين، على الرغم من أنهم ربما قتلة محترفون. أظهرت التجربة أنه في عصرنا، يمكن تعلم القتل من سن السابعة عشرة، وهو ما يفعله مدمنو المخدرات في المناطق السكنية. علاوة على ذلك، في معظم الحالات، لا يريدون القتل، ثم يعترفون أثناء الاستجواب: بطريقة ما حدث الأمر من تلقاء نفسه، لم يرغب الضحية في التخلي عن الهاتف المحمول طواعية، قاوم...

لم يعتمر أحد المهاجمين قبعة. غمر المطر شعره الأحمر المشذب. بدا الرجل الذي انتقل إلى المركز أكبر سنًا من الآخرين وأكثر خبرة. ليس محترفًا أيضًا، ولكنه، على عكس رفيقيه كان يتحرك بثقة، ومستعدًا لتمزيق العدو إلى أشلاء. بدا الأكثر خطورة. فكر سيرهي أنه زعيم المجموعة.

أجرى براجنيك تقييمًا للموقف على الفور، كان يعرف بالفعل نقطة الضعف. أطلق سيرهي النار على أحمر الشعر. لم يكن يرد قتله، لكن اقتضى منه الموقف أن يتصرف بسرعة حيث لم يكن من الممكن التصويب بشكل صحيح. والأكثر أهمية بالنسبة لبراجنيك كان أن يكشر عن أنيابه لذي الشعر الأحمر. ما إن أزت الرصاصة فوق رأسه حتى هوى وارتجف غريزيًا، فكسب سيرهي بضع ثوان.. تحرك إلى اليسار، وسار نصف خطوة إلى الأمام صوّب وأطلق النار على المسلح الثالث القصير ذي القبعة. تأرجح الشاب، كان يحمل زجاجة قرب مدخل بيت الجثث. زجاجة مولوتوف.. خليط قابل للاشتعال. أصابته الرصاصة أثناء حركته، نظر حوله في دهشة، ترنح وهوى مادًا يده التي حمل بها الزجاجة نحو الأرض كي يخفف من سقوطه، إلا أنه هوى وتحطمت الزجاجة تحت ثقل جسمه، فاشتعلت النيران فيه بلحظة. صرخ وتدحرج كشعلة حية على الأرض الرطبة. على الرغم من كثافة المطر، إلا أنه لم يكن قويًا بما يكفي لإطفاء الحريق.

- لوجي! - صرخ أحمر الشعر يائسًا، ونسي الحذر، واندفع إلى رفيقه ذي القبعة، الذي كان يتلوى مشتعلًا على الوحل مثل حية ويصرخ من الألم بصوت عالٍ. في الوقت نفسه، أطلق زعيم

العصابة رشقات نارية قصيرة نحو مكان وفق تقديراته، يجب أن يكون براجنيك فيه. لكن النقيب كان يزحف في الوحل نحوهم. بعدما وصل أحمر الشعر إلى رفيقه تجمد كعمود قرب الشعلة البشرية. لم تعد تفصل بين براجنيك وأحمر الرأس سوى أربعة أمتار، كان هدفًا ممتازًا لكنه لم يطلق النار بل اندفع نحوه وأسقطه أرضًا بكل قوته حتى بات يحرث الوحل بأنفه. أفرغ المجرم الثالث مشطًا كاملا بهدف تخويف سيرهي، وبينما كان يهم بتلقيم الرشاش بمشط آخر لم يمهله النقيب، تقدم منه وفرد ساقيه وأطلق نحو الرصاص على كتفه، فوقع الرجل. آنذاك، قفز أحمر الشعر كأرنب ركض نحو بيت الجثث. اقترب سيرهي من الثالث وجده مدمّى، لن يموت، سحب الرشاش من يده ورماه بعيدًا وركض خلف أحمر الشعر الذي كان يحاول تلقيم رشاشه من جديد. فتبين له فجأة أن براجنيك بات أمامه مادًا ماسورة المسدس إلى جبينه مباشرة.

- لا تترحك - صاح سيرهي - ارم سلاحك.

رفع أحمر الشعر يديه ببطء، من دون أن يرفع عينيه الفارغتين عن النقيب.

أسقط المدفع الرشاش قربه، لكن سيرهي ركل السلاح ليبعده إلى أقصى حد ممكن، فيما استمرت الشعلة الحية في التلوي على الوحل والصراخ، فبات صاحبها يئن. كاد النقيب أن يطلب من أحمر الشعر مساعدة رفيقه، إلا شيئًا جديدًا لفت انتباهه. لاحظ حركة عند مدخل بيدليسني بالقرب من الجيب. سيارة شرطة.

19

أمسك سيرهي بأحمر الرأس ولوح بيده. انطلقت نحوه السيارة. كانت تقترب بأسرع ما يمكن لسيارة ركاب أن تتحرك على طريق ترابي موحل. أخيرًا، تباطأت السيارة، ونزل رجل من خلف عجلة القيادة كان خائفًا أو قلقًا بشكل واضح. أزال إشارة الشرطة عن سقف السيارة ورماها على المقعد. أثناء اقترابه أخرج الملازم أول بوزير مسدسه من الحافظة.

- ماذا تفعل؟ - سأله براجنيك. - بطل؟ تلقيت رسالة نصية، أتيت وحدك!

- نعم - قال بوزير بعد برهة. توقف، وحول بصره من براجنيك إلى الشاب المحترق، ومنه إلى الآخر، ثم إلى ذي الشعر الأحمر، ومن جديد نحو براجنيك - ماذا لديك هنا؟

- ما تراه بنفسك. حرب. حتى النهاية.

- نعم - أنزل الباعة مسدسه. وأمسك بأحمر الشعر من رأسه - استيقظ! قلت انهض، أيتها العاهرة!

نهض أحمر الشعر ببطء، محاولًا عبثًا مسح يديه ببنطاله الجينز المتسخ.

- إلى الأمام! اذهب إلى هناك! - أشار كوليا إلى فناء بيت الجثث - مشى أحمر الشعر متثاقلًا إلى الأمام. تبعه الملازم أول كمرافق وكان بين الحين والآخر يدفعه بين لوحي كتفيه. مشى براجنيك خلفهما.

فحص النقيب الشاب المحترق الذي أصبح قريبًا منه، كان مقتنعًا أنه كان خائفًا أكثر من كونه محترقًا. اتضح أنه كان في سترة جلدية بنية اللون وبنطال من الجلد الأسود، وقفازات جلدية في يديه. استعد لدوره بجدية.. كان يئن بصوت هادئ ويقوم بتلطيخ أماكن الحريق بطبقة سميكة من الطين الرطب.

- نعم. نعم، هذا يعني... - قال بوزير، وهو ينظر إلى المشهد كله.

- فلنكبلهم - ثم سأل براجنيك - هل اتصلت بالمجموعة؟

كان بوزير صامتا. ربما لم يواجه ضابط الدورية في حياته المهنية مثل هذا المشهد. لذلك، حاول التفكير في الأمر وتحديد ما يجب أن يفعله في مثل هذه الحال. ما يجب القيام به حتى لا يكون لدى النقيب أي شكوك حول كفاءة واحتراف كوليا بوزير.

كان الأصيل الرمادي قد ابتلع بيدليسني تقريبًا. نظر سيرهي إلى ساعته. استغرقت المعركة بأكملها ما يزيد قليلًا عن عشرين دقيقة. كان قد أرسل رسالة إلى بوزير قبل ذلك بقليل. ربما خمس أو عشر دقائق. دع الأمر يستغرق خمس دقائق لفهم المعلومات واتخاذ قرار... عملت الآلة الحاسبة في رأس سيرهي بسرعة. من لحظة ظهور الجيب حتى ظهور بوزير نحو خمس وعشرين دقيقة. فلنقل نصف ساعة على أبعد تقدير. ومن نقطة الشرطة على الطريق السريع إلى بيدليسني أربعون دقيقة على الأقل. حتى لو كنت تعرف الطريق. وكان بوزير قد أنه لم يأت إلى هنا من قبل. إنه يعرف موقع القرية المهجورة، لكنه لم يسبق له أن زارها. ليست هناك حاجة لذلك. بالإضافة إلى الوحول... في خمس وعشرين دقيقة كيف يمكن أن تصل سيارة الشرطة، ينبغي أن تطير للوصول. لكن هذه السيارة لا تستطيع الطيران. لكن كوليا بوزير هنا الآن. كيف بحق الجحيم؟

صوب الملازم أول بوزير مسدسه على أحمر الرأس، وضغط الزناد. أطلق النار.

تمكن براجنيك من سحب مسدسه في اللحظة التي واجه فيها فوهة مسدس بوزير المصوبة إليه. لكنه نسي أنه كان قد أفرغ مشط المسدس في المعركة، ولم يكن لديه الوقت لإعادة تلقيمه. فات الأوان... التقت عيناه بعيني بوزير للحظة. اطلق النار.

20

كانت كيرا بيريزوفسكا قلقة للغاية لعدم تمكنها من التواصل مع براجنيك. أزالت المعلومات تلقتها معظم الأسئلة بشأن ما يسمى بالمنطقة الشاذة. منذ صباح الثلاثاء، عندما عُثر عليه، عاد فيكتور شامراي إلى رشده مرة واحدة فقط ولفترة قصيرة. لم يستطع قول أي شيء ذي قيمة، ولم يفهم أين كان وماذا حدث. بعد ذلك، قرر الأطباء إعطائه حقنة واستخدموا قطارة لمحاولة إعادة الضحية إلى رشده قليلًا على الأقل. ثم أخذوا دمه لتحليله. جاءت نتائج فحص الدم يوم الخميس. أي، هذا الصباح، عندما كانت كيرا جالسة عند خبير الخوارق. وأظهرت نتائج التحليل العثور على مادة مجهولة المصدر في دم شامراي. لا يزال تحديد اسمها وتركيبتها الكيميائية جاريًا، لكنها بالتأكيد تحتوي على البلادونا.

بعد فحص الضحية، وجد الأطباء أخيرًا علامتي إبرة على جسده. وخزتان في ذراعه اليسرى. بالإضافة إلى ذلك، وجدوا أثرًا يتركه مسدس الصعق. وفقًا للأطباء، فإن الورم الدموي في مؤخرة رأسه هو نتيجة ضربة بأداة صلبة غير حادة. كما أن الصدمة الكهربائية وحقن البلادونا قد تسببان بفقدان الذاكرة في ثماني حالات من أصل عشرة. أي فقدان الوعي ثم فقدان كامل أو جزئي للذاكرة. حوالي الساعة الثانية ظهرًا، عاد فيكتور أخيرًا إلى رشده ويمكنه التحدث.

كل ما قاله، وكذلك جميع المعلومات الطبية، استمعت إليها بيريزوفسكا حين كانت مع البروفيسور توروباس، الذي لم يكن بروفيسورًا بالتأكيد، ما ترك لدى كيرا انطباعًا بأنه مصاب بالفصام التام. اتصلوا بها في الوقت المناسب. كانت المحققة على وشك التسبب بضرر جسدي لخبير العوالم الموازية. ودعت توروباس بسرعة وانطلقت إلى المستشفى من دون التوقف عن محاولة الاتصال ببراجنيك، لكن من دون جدوى.

كان بإمكان شامراي التحدث وإن لم يكن بصوت قوي.

- يجب أن أسأل ما إذا كانت بيدليسني لديها تغطية خلوية - بعدما تلقت إجابة سلبية، تنهدت واتصلت على الفور برؤسائها أولًا، ثم رئيس قسم التحقيقات الجنائية، الذي تواصل مع رئيس الشرطة، وشرطة القضاء. أتت النتيجة المرجوة: في الساعة الثالثة والنصف، انطلقت فرقة خاصة من الشرطة إلى المنطقة الشاذة.

21

انتهى الأمر بكوليا بوزير في الشرطة بعد الخدمة الإلزامية في الجيش. خدم في القوات المدرعة، في البداية قاد ناقلة جند، ثم بفضل الظروف المواتية صار سائق قائد الوحدة. استخدم الأسلحة النارية في ميدان الرماية فقط. بعد تلقيه مسدس الخدمة من الشرطة وعمله لمدة ست سنوات تقريبًا، لم يطلق الملازم أول بوزير الرصاص على أي شخص من مسدسه. لم تكن هناك حاجة حتى إلى طلقة تحذيرية. كانت خدمته عادية، مملة، مرّت من دون أي مغامرات خاصة. الخوف هو ما دفعه إلى إطلاق النار على أحمر الشعر. لقد تعرف عليه، مثل الآخرين، ويمكنه أن يقول إن لم يكن الآن، فلاحقًا. لذلك، لم تتراجع يده، اخترقت الرصاصة الرأس الأحمر. لكنه عندما صوب المسدس على نقيب الشرطة، نقيب قسم التحقيقات الجنائية، اختفى نصف شجاعته في مكان ما. كما أنه، بعدما أطلق النار على رجل للمرة الأولى في حياته وقتله، لم يشعر كوليا، كما يكتب علماء النفس في الكتب ويقولون، بطعم الدم والرغبة أكثر في القتل. اهتزت يده للحظة. لم يكن لدى براجنيك الوقت الكافي لتفادي الرصاصة، إذ كان يقف قريبًا جدًا. لكن بدلًا من تلقيها في الصدر أو المعدة، أصابت الرصاصة جانب سيرهي. وقع. لم يقو على الوقوف على قدميه. عند رؤية بقعة بنية على سترة النقيب، صرخ بوزير، ولم يعد يرغب في إطلاق النار، وركل الأرض. ثم قفز.

انحنى بوزير فوق أحمر الشعر للتأكد من أنه فارق الحياة. بعد ذلك، داس على الجثة، وتوجه إلى الشاب المحترق، سحبه من كتفه، ونظر إلى وجهه المغطى بطبقة من الوحل. توجه إلى الثالث الذي كان يتنفس بصعوبة، ضاغطًا على الجرح.

- نعم - قال بوزير مرة أخرى - أعاد المسدس إلى الحافظة، ثم أمسك الثالث من ساقه وسحبه على الأرض الموحلة بالقرب من شرفة بيت الجثث. حاول أن يقول شيئًا ما، لكن كوليا أغلق سمعه. تركه على الحائط، وعاد إلى المحروق. سحب من يده وسط الشتائم والتهديدات. ثم جرّ أحمر الشعر وضمّه إلى رفيقيه. ذهب الملازم أول إلى سيارته، وسحب غالون بنزين من صندوق السيارة. حمله إلى داخل المنزل أراق البنزين على الأرض والجدران. خرج، أراق بعض البنزين على الجدار وأفرغ ما تبقى على درج القبو.

- توقف، أيها الأحمق! - حاول الثالث التحرك لكن كوليا، الذي يتصرف مثل زومبي ركله في جانبه، ثم - مرة أخرى، ثم داس رأسه بقدمه غاضبًا. تحصص جيوب سترة أحمر الرأس الميت، وجد زجاجة مولوتوف لم تنكسر بأعجوبة أثناء القتال. أخذها من رقبتها مثل قنبلة قتالية مضادة للدبابات، أرجحها بوزير قليلًا وألقاها نحو الجدار، تسلقت النيران الجدار وسارت من المدخل الفارغ إلى الداخل وإلى السقف. بعد بضع دقائق، احتضنت النار البيت والمثلث القرميدي المؤدي

إلى القبو. كان الجرحى الموجودين على الحائط يصرخون ويتحركون، محاولين الزحف إلى مكان آمن، فيما تجمد كوليا بوزير للحظة وهو يتأمل النيران المشتعلة.

فجأة، تذكر شيئًا مهمًا، استدار إلى مكان المحقق المصابة، حيث تركه ملقى على الأرض. اختفى.

22

علمت الحرب سيرهي براجنيك أن الجرح حتى لو لم يكن مميتًا فليس عليه التظاهر بأنه بطل. خاصة الآن لم يكن هناك وقت لهذا، وقد فات الأوان. تلقى رصاصة في جنبه لا يمكنه التغلب على رجل مسلح. إلى جانب ذلك، ليس لدى بوزير ما يخسره. سيتذكره ويكمل المهمة التي لم يكن جاهزًا تمامًا لها منذ دقيقتين. لذلك، كان يراقب تصرفات بوزير بعينين نصف مغمضتين متظاهرًا بأنه فاقد للوعي وإصابته أكثر خطورة مما هي، اختار براجنيك لحظة مناسبة. بالنسبة إلى كوليا، وكذلك بالنسبة إلى المجرمين الثلاثة، كان من المهم في تلك اللحظة تدمير كل الأدلة وعدم إبقاء شهود. وهو شاهد ملطخ بالدماء وآمن نسبيًا. بمجرد أن تحرك بوزير نحو السيارة، تحرك سيرهي، ضغط على أسنانه زحف ببطء رأسه نحو البيت المرتفع الذي وصل إلى عليته قبل قليل. كان كوليا مشغولا عنه، وكان براجنيك يخشى أن يراه كي لا يضطر إلى التظاهر بأنه بطل ويقبل المعركة بشروط غير مواتية له. من الواضح أن بوزير لم يطلب أي مساعدة. لا تتوقع أن يأتي أحد. هذا الواقع جعل سيرهي أكثر شراسة. لم يكن ليستسلم.

عندما اشتعلت النيران في البيت وتذكر الملازم أول أنه لم ينه ما بدأه مع براجنيك، كان الأخير قد اقترب من البيت المرتفع يحاول اجتياز الأمتار الأخيرة، انتصب على قدميه، أمسك جانبه المصاب وترنح وهو يسير. فانطلقت رصاصه في اتجاهه من الخلف.

23

رفع بوزير يده وأطلق النار من دون التصويب. ارتجف النقيب من دوي الطلقة، ترنح وكاد يسقط. لكنه في اللحظة الأخيرة تمسك بالجدار وساعد نفسه بيده ودفع نفسه داخل المنزل، وأغلق الباب المفتوح خلفه. المطر كثيف حقًا... نظر إلى الوراء نحو النار. كيف سأطفئها، اللعنة عليها.

نظر بوزير مرة أخرى إلى البيت المرتفع الذي اختفى فيه النقيب الجريح.

- نعم - قال لنفسه، أدخل مشطًا من المقبض المسدس، لقمه. اتجه إلى المنزل، غمرته رغبة شديدة في مواصلة الصيد. ضغط بإحكام على مقبض المسدس، أراد إنهاء اللعبة. إن إطلاق النار من المسدس الأميري، مسدس الخدمة، أمر أحمق. فضابط قسم المباحث الجنائية ليس صحافيًا غبيًا تفوح منه رائحة الفودكا في الصباح. سيتحققون من كل تفصيل على الفور وبشكل تام. سيكون عليه أن يستبق الأحداث ويني رواية عن تعرضه للهجوم، وكيف استحوذوا على مسدسه، وكيف ضربوه على رأسه، وكيف... ربما لن تبدو الرواية مقنعة للغاية. لكن المنطقة شاذة. كل شيء ممكن هنا... من الأفضل الخروج وعدم ترك أحد الشهود على قيد الحياة. دع الدماغ يشتغل. إن عدم الإبقاء على شهود أحياء وإحراق كل شيء سيكون أفضل. لن أذهب إلى أي مكان. بهذه الأفكار، صعد الملازم أول بوزير إلى البيت المرتفع. سحب الباب نحو، دخل الممر. رأى السلم المعدني على الفور. كانت هناك آثار دماء على الأرض بجانبه.

رفع رأسه ونظر إلى المربع أعلى السلم.

- نعم.

صعد بوزير، متكئًا على يده اليسرى، شاهرًا المسدس في يمناه أمامه، إلى العلية. كان الظلام يلف مكان.

24

- اخرج! - صرخ بوزير في ظلام العلية الرطب.

لم يأته أي جواب.

- اخرج! أنت هنا، أنا أعرف أنك هنا - مرة أخرى، لم يسمع بوزير إجابة، صعد إلى العلية محركًا المسدس بحذر أمامه - سأصل إليك على أي حال.

- ابق حيث أنت - خرج صوت براجنيك من عتمة زاوية العلية، بدا صوته ضعيفًا، يتنفس بسرعة وبصوت عالٍ.

- ماذا؟

- لا شيء... اسمع، كابتن...

- استمع إلي! - قاطعه براجنيك، وعلى الرغم من أن كوليا لم يره، إلا أن شيئًا مظلمًا كان يتحرك في الزاوية، على الرغم من أنه كان مصابًا وغير مسلح، إلا أنه كان واثقًا من نفسه وقوته. هذا جعل بوزير يشعر بعدم الارتياح. الرغبة لديه في إطلاق النار على النقيب تعادل رغبته في إطلاق النار على مخاوفه.

- تكلم.

- لا، أنت قل لي، أي رواية لديك تقدمها للشرطة؟

- ما الفرق بالنسبة إليك؟ - صاح بوزير، محاولًا إيهام النقيب أن لديه أجوبة جاهزة.

- اسمع - اختلط الأنين بصوت النقيب - الفوضى كبيرة جدًا هنا. إذا لم تطلق النار الآن، سأخبرك كيف قمنا بتصفية العصابة معًا.

- آها! ثم ستشي بي.

- لن ينجح الأمر أيها الزميل. إن قلتُ شيئًا وقلتَ شيئًا آخر، سيكون مجرد هراء. لدي امرأة وطفلان، فلنتفاوض. كما أنك تلقيت رسالة مني ولم تمحها. لم تمحها؟

- لا... - اعترف بوزير.

- اسمع كيف حدث الأمر - وصل الأنين من الظلام مرة أخرى - اتصلتُ، جئتَ. لو وجدت الثلاثة قتلى، فلن يكونوا مرتبطين بك بأي شكل من الأشكال. فلندفنهم، كوليا، استمع إلي!

- لن تكون المصيبة - رد بوزير بحزم، على الرغم من أن الهواجس كانت تقضمه من الداخل. ويقول في نفسه: ليس عليك قتل نفسك، يمكنك أيضًا الخروج من هذا الوحل كبطل...

- لقد وقعت المصيبة بالفعل، ميكولا. فكّر!

- انظر... من الأفضل أن تأتي إلى هنا، أقترب... لماذا نتحدث عبر العلية كلها؟

غزت الهواجس بوزير. كان يعرف القليل جدًا عن النقيب براجنيك، لكن لسبب ما بدا له الآن. إنه ذئب وسيشي به. هل يمكنه إجراء مفاوضات جادة مع ذئب كهذا. تفاوض؟ كم عمره؟ نحو أربعين؟ لا يزال نقبيًا. التقى بوزير بنقباء مثله. يجب قتله.

- جيد. دعنا نتفق. تعال! - خطا بوزير إلى الأمام وجهز مسدسه - حسنًا، إذا كان كذلك...

فجأة دوّى صراخ براجنيك من الظلام بعبارة معروفة خالية من أي محتوى. صرخ بكل ما في رئتيه.. لم يصرخ، بل زعق بصوت رقيب في الجيش: قدّم سلاااااحك!!

ذعر ضابط الدورية. هيمنت عليه النبرة الآمرة المفاجئة، انحنى بشكل غريزي إلى الأمام، ضرب الأرض بقدمه. لم يكن كوليا سمينًا، لكن ألواح أرضية العلية التي تعفنت لأكثر من عقدين من الزمن، هوت بثقل 72 كيلوغرامًا من اللحم الحي. سقط بوزير إلى الطبقة الأرضية وهو يصرخ ملوحًا بذراعيه.

القسم الثالث بين عالمين

1

ثماني عشرة جثة.

ثماني عشرة جثة. اثنا عشر ذكرًا وست إناث. طمس الزمن بعض الوجوه، لكن لا يزال من الممكن التعرف على الأشخاص الثمانية عشر جميعًا. الرجال من مختلف الأعمار بين الثلاثين والسبعين، فيما تتراوح أعمار النساء بين الخمسين والثمانين.

عندما وصلت المساعدة كان الظلام قد حل. لم يخمد حريق بيت الجثث فلم يدخله أحد. خلال هذا الوقت، تمكن النقيب الجريح من النزول بحذر كي لا يسقط من فتحة أرضية العلية فوق بوزير الغائب عن الوعي. عثر النقيب عن أصفاد كوليا وكبّل يديه بها، ثم تحرك إلى سيارته. الجرح كان خطيرًا، إلا أنه لم يكن كافيًا لحرمانه من القدرة على الحركة. ما إن وصلت المساعدة حتى حظي بالإسعافات الأولية. لم يكن يعلم أن فرقة الشرطة الخاصة كانت في طريقها إليه... لم يشارك براجنيك في عمليات التحقيق اللاحقة. ضمده أحدهم. ثم حقنه بمخدر، بعد ذلك استرخى سيرهي وغاب عن الوعي. كان قد فقد الكثير من الدم. ظهر الأطباء بعد نحو ساعة، فنُقل بطل هذا اليوم إلى المستشفى، حيث كانت زوجته، وحيث استعاد وعيه في الصباح التالي، فعرف من كيرا التفاصيل.

2

في الواقع، ذاك الصباح، لم تعرف بيريزوفسكا أي شيء. أخمدوا النار في البداية، ثم أبلغوا مختلف السلطات المختصة. في المساء، وصلت الأخبار إلى كييف، إلى قسم الشرطة الرئيسي. جاء أمر من هناك، كان الجميع ينتظره، من حيث المبدأ ينبغي ألا تبدأ أي عمليات نشطة في بيدلسيني حتى الصباح. أولا، حل الظلام ولا كهرباء، وتحت أضواء المصابيح الأمامية للسيارات، لا جدوى من أي عمل بهذا الحجم، لذلك تركت الشرطة نقطة حراسة معززة في مكان الحادث في انتظار طلوع الفجر. ثانيًا، من الضروري تنسيق أعمال الشرطة مع وزارة حالات الطوارئ لأن الأراضي المحظورة ضمن صلاحياتها. ثالثًا، يجب على ضباط الأمن المحليين تحديد صلاحياتهم للتدخل في مثل هذه الحالة. في الوقت نفسه، ينبغي معرفة كيف انتهى المطاف بضابط شرطة في الأراضي المحظورة بدون أي إذن. وبشكل عام، لماذا دخل ضابط من قسم التحقيقات الجنائية في مدينة جيتومير إلى منطقة أخرى وأطلق النار هناك. شيء آخر: لماذا استخدم النقيب براجنيك مسدسًا غير مسدس الخدمة الأميري؟ أخيرًا، في كيف شارك ضابط الشرطة الآخر في هذه القصة، ولماذا أطلق الضابطان النار بعضهما على بعض، ولماذا أصيب أحدهما، وشُوِّه الآخر. باختصار، كان على كل من شارك في القضية، بحلول الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، أن يخربش على الأقل كيلوغرامًا من الملاحظات التفسيرية.

لم يكن سيرهي متفاجئًا على الإطلاق من أن كيرا لم تشارك في كل ذلك. نُقل أحمر الشعر إلى المشرحة، والناجيان الآخران، زعيم العصابة والمحروق، إلى المستشفى الإقليمي، ووضعا في عنبرين منفصلين على بابيهما حراس، واستجوبهما محققون آخرون. فلكون القضايا التي عالجتها محققة مكتب المدعي العام في بيريزوفسكا تتعلق بحادثة بيدليسني. من الناحية الرسمية، من الممكن أن تكون كيرا قد شاركت في أمور قد تضر بالتحقيق. لذلك، لم تصلها الاعترافات المتعلقة بالقضية في تلك الليلة، بل في الصباح. ثم بدأت الأجهزة المختصة في انتشال الجثث من القبو في بيدليسني.

في المساء، ظهرت المعلومات الأولى عن أصحاب الجثث. وبحلول المساء، تلقت شرطة جيتومير صورًا لجميع حالات الاختفاء الثماني عشرة. كانوا أشخاصًا غير متزوجين، سجلوا في مراكز الأمراض النفسية أو العصبية، أو...

3

في الصيف الماضي، غادرت فالنتينا ميكولاييفنا هوروخوفيتس، إحدى سكان بلدة نوفوهرادفولينسكي، وهي عجوز وحيدة تبلغ من العمر سبعين عامًا، المنزل ولم تعد. قبل شهرين، كانت "مؤسسة الأمل الخيرية"، مكتبها الرئيسي في كييف، قد أخذتها تحت رعايتها. وبحسب الوثائق، يمكن تحويل المنزل الريفي الصغير إلى ملكية المؤسسة إذا لم يتم العثور على المرأة خلال عام من تاريخ اختفائها. عاشت المرأة العجوز بمفردها وسقطت تدريجيًا في الجنون وقد تعهدت المؤسسة بالاعتناء بصحتها، فنظمت لها رعاية طبية منتظمة، تضمنت زيارة ممرضة ومساعد اجتماعي ثلاث مرات في الأسبوع. وأكد الجيران ذلك. كما أكدوا أن العجوز كانت تخرج من منزلها، خاصة في الصيف، على غير هدى. وكان يُعثر عليها إما في غابة قريبة، أو في طريقها إلى قرية مجاورة، أو في أحسن الأحوال، في ضواحي البلدة.

ومنذ ذلك الحين، صار الأشخاص المصابون بأمراض عقلية ومدمنو الكحول يختفون في مدن وقرى مختلفة في المنطقة. في جيتومير نفسها، اختفى ستة. كانوا من سكان الضواحي الذين لا يعتني بهم أحد. أربع من حالات الاختفاء تتعلق بأنشطة "مؤسسة الأمل الخيرية"، خمس تعلقت بمؤسسة "مجتمع الخير" الدينية التي يقع مكتبها في ضواحي جيتومير. وتبرع سبعة أشخاص بممتلكاتهم لـ "جمعية الفرصة الخيرية"، وتبرع اثنان بمنزليهما لـ "الجمعية السامرية". اختفى العجوز ميكولا فاسيليفيتش سومشاتوف، في مكان ما يوم الأحد، الثلاثين من تشرين الثاني/نوفمبر. نُشر خبر اختفائه صباح الخامس من كانون الأول/ديسمبر. كانت جثته الأقرب إلى مدخل القبو، وهي التي عاينها النقيب براجنيك. في وقت سابق، يوم الاثنين، كان فيكتور شامراي شاهدًا عرضيًا على جنازة مرتجلة للجثة. كان يتجول حول بيدليسني ويبحث عن علامات المنطقة الشاذة أو عن ظواهر خارقة للطبيعة من شأنها أن تفسر ما جرى مع تمارا توميلينا، رأى فجأة سيارة جيب في طريقها إلى بيدليسني. اختبأ فيكتور بسرعة، ليس بعيدًا عن بيت الجثث. بالطبع، رأى ثلاثة أشخاص، كان واضحًا من حديثهم أنهم انزعجوا كثيرًا من رؤية سيارته. إلا أنهم قرروا إكمال أعمالهم أولًا، ثم البحث عن ذلك الدخيل المزعج. حمل اثنان منهم شوالًا مستطيلا من الخيش، أدرك شامراي على الفور أنه جثة. أما الثالث، الأكبر سنا، ففتح مدخل القبو. عندما اختفوا في الداخل، لم يستطع شامراي التحمل فسارع للهرب. ركض إلى السيارة متهورًا، متناسيًا الحذر. أصيب بشيء ما في مؤخرة رأسه. أصابوه بطلقة بندقية صاعقة. لا يتذكر فيكتور أي شيء بعد ذلك. سمع الطبيب هذه القصة من فيكتور. اتصل على الفور ببيريزوفسكا، حين أخبرها عن أثر الحقن والبيلادونا، وقد توصلت كيرا بالفعل إلى استنتاجاتها.

4

- حسنًا، ماذا لديهم الآن؟ - استفسر سيرهي.

بعد يوم، عاد أخيرًا إلى رشده وحاول النهوض. لكن الطبيب منعه بشكل قاطع وارتفع صراخ زوجته. وبعد زيارة رئيس قسم التحقيقات، أي رئيسه المباشر، وما قاله له، غيّر براجنيك رأيه. الآن، لم يكن لديه مكان يذهب إليه فقرر الاستفادة من الظرف، وأن يسمح لنفسه بإجازة مرضية للمرة الأولى منذ سنوات عديدة. لم يشاركه أحد الجناح في المستشفى فأصر على وضع رفيق بجواره، يمكنه على الأقل لعب الورق معه أو مجرد تذكيره بأنه لا يزال على قيد الحياة. لكن، لم ينقلوا أحدًا إلى جناحه.

- إنهم يديرون القضية بالكامل. لا أعرف من يتولى الأمر، ولكن لست أنا. وبالتأكيد ليست أنت - ابتسمت كيرا بحزن.

- الحمد لله. تعلمين. من الأفضل أن أكون شاهدًا لا أكثر. بالنظر إلى حجم القصة، في المستقبل القريب سيتركونني وشأني. للمناسبة، هل أحضرتِ الدخان؟

- ممنوع، للمناسبة - ضغطت المحققة شفتيها بدقة راسمة بهما خطًا مستقيمًا.

- فليكن - وافقها سيرهي - أحتاج إلى استراحة من السجائر أيضًا. تقولين إن بوزير اعترف أولًا؟

- قيل لي ذلك. لم أكن هناك. الآخران لم يفتحا فاهيهما. أما صاحبك بوزير...

- ليس صاحبي...

- حسنا، بوزير فقط. بعدما استفاق في المستشفى، وقيّم الوضع، قرر أن يتعاون طواعية مع التحقيق. كما قيل لي، تحدث كوليا هذا لمدة ساعة بدون انقطاع، كما لو أنه يطلق النار من مدفع رشاش. أخبروا الآخرين باعترافاته فلم يصمدا طويلا. الآن، على ما يبدو، يجب أن تصل التحقيقات إلى قمة هذا الهرم.

- ما الأمر؟ قيل لي بالأمس أن كل القتلى مرضى أو أشخاص وحيدون. يهمني أن أسمع التفاصيل. فهمت أن القصة كالتالي: في البداية، يحددون الشخص المستهدف ويعملون عليه جيدًا، ثم يجمعون الوثائق المطلوبة، وفي النهاية يقتلونه وينقلونه إلى بيدليسني.

- لقد خمنت ذلك - أومأت بيريزوفسكا، وأخذت برتقالة من الطاولة وبدأ في تقشيرها - جاء محتال محلي بمثل هذا المخطط. تمكنت عشيقته من الوصول إلى معلومات حول المرضى بالذهان والسكارى المسجلين رسميًا. بقي عليهما معرفة إن كان لدى المستهدفين من يسأل عنهم، وإن كان من الممكن الاستيلاء على عقاراتهم أو أراضيهم. كما سجّل أشخاص العديد من المنظمات الدينية والخيرية الصورية. للمناسبة، هذه العمليات ليست سوى جزء من نشاطهم، وقد بدأت منذ وقت غير طويل. بالطبع، هناك شخص واحد وراء كل هذه العمليات. ثم، من خلال وكالة عقارية معينة، لم تباع المساكن وقطع الأرض بأسعار أقل بقليل من السوق. الخسائر صغيرة، لكن الأرباح السريعة مضمونة. حسنًا، لا يوجد مخطط واحد - قسمت كيرا البرتقالة المقشرة نصفين، سلمت نصفًا لسيرهي، ووضعت الآخر على ركبتها، ومسحت يديها من العصير الدبق بمنشفة المستشفى الرمادية - فيتامين - أشارت إليه أن يأكل.

- شكرًا لك - تعامل النقيب مع نصف البرتقالة بقضمتين، ومسح شفتيه المبللتين بالعصارة بظهر يده. كيف دخل بوزير إلى اللعبة؟

- ما يقوله مبهّر يمكن تصديق نصفه. فهو يدعي أن حماته سبب كل مشاكله. أجبرته، دفعته كي ينزلق. في الواقع، في هذه القصة، يتشابك الكثير من الناس. كأنك تشاهد "سانتا باربرا"31.

- هل شاهدت "سانتا باربرا"؟ - تفاجأ سيرهي.

- مر وقت طويل جدًا. ما هي وسائل الترفيه الأخرى التي تتمتع بها امرأة وحيدة؟ خاصة عندما تكون "سانتا باربرا" هي الشيء الوحيد الذي أنقذني من الاكتئاب. هذا كل شيء. أغلق الموضوع. شاهدت عشرات الحلقات، لذا أتخيل... نعم. اتضح أن هذا أحمر الشعر، الذي قتله بوزير، هو أحد أقارب صديقة حماة ميكولا. من غير المعروف لماذا بدأ بوزير يبحث عن طريق إلى الشرطة الخاصة التي تحرس الأراضي المحظورة. وتمكن من الوصول. هناك، كما قيل له، يمكن أن تكون خدمته أربح. حسنًا، ابن صديقة حماته تلك. أما حماته فأقنعت الصهر بأن يجني المال مثل الآخرين، فما الذي يضره إن حصل على المال على أي حال... بالطبع، لم يكن هناك شهود على المحادثة بين أحمر الشعر وبوزير. لا أعرف كيف وجدا لغة مشتركة وما الذي اتفقا عليه. أعتقد أن ذلك سيظهر لاحقًا... والمهم أنه في المحصلة، اقترح كوليا بوزير بيدليسني كأفضل مكان للاختباء. وهو يقسم أنه لم يعرف شيئًا عن الجثث آنذاك. وعندما اكتشف، كان الوقت قد فات للخروج من اللعبة. كان قد غطس في القضية.

- من يدري - هزّ براجنيك كتفيه متجهمًا، متألمًا من جانبه المصاب - ربما حدث ذلك بالفعل. لقاء ماذا دفعوا لبوزير؟

- غطاء. نظريًا، يُسجل كل من يسافر إلى الأراضي المحظورة. وترفع التقارير مرفقة ببيانات المسافرين الشخصية إلى السلطات. ويمكن حدوث الكثير من الانتهاكات، كما تفهم... لكن بوزير كان يتغاضى عن تسجيل سيارة الجيب. وكان يخصص مبلغًا لزميله المناوب.. لماذا لم يكن

من السهل أن تدفن الجثث في مكان ما، لم كان عليهم أن يأخذوها إلى قرية ميتة وتلقي بها في كومة داخل قبو، ليست لدي أدنى فكرة.

- أنا أيضًا. فقط...

- نعم، أعلم، أعلم، أنت لم تتعرف بعمق على مجريات الأمور. لا أعتقد أننا سنعرف التفاصيل على أي حال. لكن هذا ما جرى بالمجمل. بعد ذلك يعرف كوليا من الصحيفة التي تتابعها حماته أن في بيدليسني منطقة شاذة. كما أن الصحافيين ذهبوا إلى هناك. هو، بالطبع، أشار إلى الخطر. وقيل له: فليبق كل شيء على حاله الآن، ابحث عن مكان آخر. لولا الحادثة التي وقعت مع العجوز سومشاتوف، ولولا الحاجة إلى التخلص من جثته بشكل عاجل، لما التقى حفارو القبور بشامراي. ثم...

- أعلم - قاطعها براجنيك بإصبعه - في الواقع، لا أعرف، لكني أعتقد ذلك. أدرك كوليا أن هذه منطقة شاذة. يجب ألا يختفي الصحافي، هذا ليس عجوزًا مريضًا. لكن يجب إعداد الأمر وتقديم كل شيء كما هو مكتوب. كما كتبه شامراي. لا أعرف من أين حصل حفارو القبور على المادة الكيميائية التي يحتاجون إليها، دعي التحقيق يأخذ مجراه، فليعملوا حتى عيد الفصح المقبل، إن لم يكن أبعد من ذلك. لكنهم هناك، ضربوا فيتيا على رأسه وأعطوه حقنة. ثم لعب بوزير دوره كما لو أن شامري خرج من العدم أمامه. أخفوا السيارة، ليبيعوها أو ليكسروها قطع غيار مستعملة. من غير المحتمل أن يضيع أي ربح على هؤلاء اللصوص.

- خطأ - قاطعته كيرا بأصبعها - السيارات المسروقة تغرق في الماء عادة.

- حسنًا، فليكن - اعترف النقيب بسوء تقديره، وقد غادره الألم - ليس هذا المقصود. من الواضح أن فيتيا سيسترد ذاكرته يومًا ما. خلال هذا الوقت، يجب ألا يعثر أحد على الجثث. لذلك، كانوا بحاجة إلى إشعال حريق.

- شيء من هذا القبيل. كما قلت لك، لم أحضر استجواب بوزير. تصورت القضية بشكل عام.

- لماذا أرادوا التخلص مني؟ فاختفاء شرطي أخطر من اختفاء صحافي.

- أثناء اعتراف المجرمين أوضح أحدهما أن الهدف من ذهابهما كان إحراق المنزل والجثث معه. لماذا قُتل ضابط شرطة في قرية ميتة بالقرب من منزل محترق.. لغز لن يتمكن أحد من حله لمدة طويلة. حسنًا، سيستفيق فيكتور ويقول إنهم نقلوا جثة إلى القبو. جثة من؟ من أحضرها؟ هل كانت جثة واحدة؟ من الذي قتل الكابتن براجنيك؟ ماذا الذي دفعه للذهاب إلى بيدليسني بحق الجحيم؟ ما الذي بحث عنه في هناك؟ كما ترى، سيكون هناك الكثير من الأسئلة بدون إجابات. وقد كسرت حلقتهم وكشفت الأمر. للمناسبة، فهم بوزير كل شيء. فهم أن أحمر الشعر سيتخلى عنه. توجه بنفسه لتنظيف كل شيء. نعم، على الأقل، هذا ما قالوه لي. خلص...

- خلص؟ - يعرف النقيب براجنيك المحققة بيريزوفسكا منذ مدة طويلة. لم تعجبه لهجتها. بتعبير أدق، نغمة صوتها حين تقول: "خلص".

- حسنًا...

- بدون "حسنًا"، كيرا... أنطونوفنا؟

- حسنًا... تقريبا كل شيء. هناك بعض التفاصيل الدقيقة.

5

- انظري، تمارا. أتعرفين أيًا من هؤلاء الناس؟

- آه... هل هم... أموات؟

- فقط هذا ميت. عفوًا على التفاصيل، حطمت رصاصة رأسه، لكن وجهه مناسب للتعرف عليه. هذان الاثنان على قيد الحياة. قُبض عليهما. وسيقضيان سنوات طويلة في السجن. يمكنك التعرف إليهما وأنت في أمان.

- لا أستطيع. لم أر أيًا منهم من قبل.

- نعم... انتبهي. انظري مرة أخرى، تفحصيهم، تمارا.

- لم أرَ أيًا منهم من قبل.

- إذن، في تلك الليلة حين وصلت إلى بيدليسني، ألم تقابليهم هناك؟ هل هذا المنزل مألوف لك؟

- هل احترق؟

- احترق. لكن من منظره العام. ها رأيته؟

- لا. لم أرَ أي شيء على الإطلاق. كان ذلك في وقت متأخر من المساء. عتمة. قدت سيارتي إلى القرية. أطفأت المصابيح الأمامية. لسبب ما خرجت. نزلت من السيارة وتقدمت خطوات قليلة. هذا كل شيء. ثم استفقت هناك على الطريق السريع في الصباح.

- يمكن أن هؤلاء الأشخاص كانوا في بيدليسني في ذلك الوقت.

- ربما. لكن لم أر أحدا. ظلام. ليلة خريفية. أنا لا أعرفهم. أبعد هذه الصور السيئة عني، إنها مخيفة...

6

تحدثت كيرا إلى توما توميلينا بشكل غير رسمي.

لم تكن بحوزتها صور حفاري القبور أولئك. لا الأحياء ولا الأموات. جاء بيريزوفسكا ببساطة إلى الفتاة، التي لم تخرج من المستشفى بعد، وسألتها ماذا رأت في تلك الليلة في قرية بيدليسني. من هاجمها، وقام بضربها على رأسها، ووخزها. تمارا بصدق لم تذكر شيئًا على عكس شامري. أيام كاملة، كما قالت، انمحت بشكل قاتم من ذاكرتها. بالإضافة إلى ذلك، لم تكن هناك آثار للحقن على يديها أو جسمها على الإطلاق. ولا يوجد شيء مريب في دمها أيضًا. الورم الدموي لا يزال في مكانه على القسم الخلفي من رأسها، لكن الفتاة تدعي بعناد أن أحدًا لم يضربها على رأسها. كما أن حفارو القبور، بعد اعترافهم بالهجوم على فيكتور شامراي، لسبب ما، رفضوا بعناد الاعتراف بالهجوم على تمارا. في ذلك اليوم، وخاصة في ذلك المساء، عندما اختفت توما، كان لدى كل منهم دليلًا لا يمكن إنكاره على وجودهم في مكان آخر. كانت العصابة كلها تستمتع في الساونا مع الفتيات، احتفالًا بعيد ميلاد أحمر الشعر. قامت الشرطة بتعقب الفتيات. أكدن الأمر. وأكدت إدارة الساونا كلامهم.

بالطبع، نظرًا إلى حجم الجريمة المرتكبة يمكن للمتهمين شراء حجة غياب. إلا أن إحدى الفتيات كانت مخبرة لأحد زملاء براجنيك، محقق آخر في القسم، ولا يمكن أن تكذب على مشغّلها. ونتيجة لذلك، تبين أنه ليلة اختفاء تمارا توميلينا في بيدليسني، لم يكن هناك أي من حفاري القبور. وكذلك لم يكن يوم مناوبة بوزير. هذا يعني أن اختفاء تمارا المريب في المنطقة الشاذة ثم ظهورها المريب بالقدر نفسه، لا علاقة له بقصة الجثث الثماني عشرة والهجوم على شامراي. هكذا يبدو الأمر.

لذا، إنها المنطقة الشاذة والعوالم الموازية. هكذا يتضح أن قضية تمارا شيء مختلف تمامًا. وتحتاج كيرا للتعامل معها بشكل منفصل. من الواضح أنه سيتعين عليها مرة أخرى طلب المشورة من البروفيسور توروباس، المستاء...

7

وعدت فتاة شقراء ذات مظهر نموذجي، عبر شاشة التلفزيون، بتغيّر في الطقس، وبأول صقيع شتوي حقيقي. شعرت كيرا بالبرد فورًا. بحثت على جهاز التحكم عن بعد على الأريكة، عثرت عليه ونقرت أزراره، وجدت قناة موسيقية، أطفأت الصوت. شاهدت صورًا من الحياة الحقيقية. رقصت فتيات ذوات أرجل طويلة في سترات جلدية سوداء وسط المناظر الطبيعية. ثم أتى شبان أنيقون في قمصان بيض مفكوكة الأزرار حتى السرة. كانوا يفكون أزرار قمصانهم بصمت على خلفية مشهد من العصر الكلاسيكي الروسي. بعد ذلك ظهر شاب تقبله فتاة ترتدي باروكة سوداء بشغف. من بين شفتيها المصوبتين إلى عنقه من الخلف تظهر أنياب مصاصي الدماء. فليكن. عندما أرادت كيرا أن تجمع أفكارها، تكون هذه المشاهد مفيدة دائمًا، حتى أنها تنام أمام التلفزيون، أو بالأحرى بتأثير وميض الشاشة الصامت. إذا قمتِ بإيقاف تشغيل الصوت، فستفهمين جيدًا مدى تشابه الحياة على التلفزيون مع الأفكار البشرية عن العوالم المتوازية. أطفأت كيرا لمبة السقف، وأشعلت مصباح الطاولة، قرب رأس الأريكة. كانت قد وضعت كرسيًا قديمًا بجانب التلفزيون بحيث يمكنها الجلوس على الأريكة ووضع قدميها عليه. جلست، ملفوفة برداء حمام رمادي، هكذا تشعر بالراحة. أسندت رأسها للخلف، ونظرت إلى شاشة التلفزيون الصامتة. بعد بضع دقائق، غرقت كيرا بيريزوفسكا في أفكارها، مبتعدة عن شقتها الخاصة.

يجب أن تبدأ دائمًا من البداية. الحقيقة بسيطة، ولم يقم أحد بعد بإلغاء تأثير هذه الطريقة في جمع الأفكار. هكذا بدأ كل شيء... انتظري لحظة. ماذا تعنين بـ "كل شيء"؟ عُثر على ثماني عشر جثة في بيدليسني. لمَ قرروا نقلها إلى هناك، وعدم دفنها في مكان ما أقرب؟ أو كيف وجد سيرهي براجنيك هذه الجثث؟ حتى كلمة "كيف" غير مناسبة هنا. "لماذا" أفضل. وجد المحقق براجنيك مقبرة سرية في قرية ميتة، لأنه قرر أن يرى بنفسه ما الذي حدث للصحافي شامراي هناك. لو لم تكن هي وسيرهي في عجلة من أمرهما، ولو كان هناك المزيد من الوقت، فلن يكون بحاجة ماسة للذهاب إلى بيدليسني. فبعدما استرد شامراي وعيه كان ليخبرهما على الفور عن مغامرته. لكن كان هناك القليل من الوقت. وذهب براجنيك لاستكشاف ما يسمى بالمنطقة الشاذة. نعم. ماذا حمل سيرهي هناك؟ كان في المنطقة الشاذة حيث وقعت حادثة غريبة مع فيكتور. ولم يتضح آنذاك ما إذا كانت هناك جريمة. ولماذا ذهبت فيتيا شامراي إلى بيدليسني؟ الفضول المهني؟ قبل أيام قليلة، في المنطقة نفسها، حدث شيء غريب لتمارا توميلينا. لقد كتب عن ذلك، عن المنطقة الشاذة حيث يختفي البشر.. التي لم تمنح الصحافي المثير للاهتمام السلام.

عادت بيريزوفسكا مرة أخرى إلى شقتها ذات الإضاءة الخافتة. حدقت بصمت في مقاطع الفيديو الموسيقية الوامضة على الشاشة لعدة دقائق. فركت صدغيها بأصابعها. خلعت نظارتها. أطبقت جفنيها. بدأ كل شيء، في الواقع، لم يبدأ كل شيء مع فيكتور شامراي بل مع تمارا توميلينا.

هنا يختفي المنطق. كلما اقتربت من بداية هذه القصة الغريبة، كلما غاص تفكيرها في مقاطع الفيديو التلفزيونية أمامها. في كل منها، لا يرتبط المشهد التالي بأي شكل من الأشكال بالسابق.. أو ربما يكون متصلًا به بشكل غير مباشر إلى حد ما. لكن هذه اللقطات متناثرة ومختلفة. لم يتسق المشهد أو يتكامل في خيال كيرا.

الصورة الأولى: مقتل المصرفي هريهوري بيدوبني في تشرين الأول/أكتوبر. هناك كل الأسباب للشك في تورط دينيس كوفاليفسكي المعروف أيضًا باسم دان القرش في مصرعه، وهو صاحب مخططات إجرامية. هناك مشكلة في قاعدة الأدلة، على الرغم من أن المحققين يعملون بجد في هذا الاتجاه لكن لا أمل لديهم في إيجاد دليل.

الصورة الثانية: لم يُعرف بعد الدور الذي لعبته عشيقته تمارا توميلينا في مقتله. ليس من المجدي للفتاة أن تقتل راعيها. علاوة على ذلك، يبدو أن علاقتهما لم تكن مبنية على الجنس فحسب، بل بدا أن هناك مكانًا للحب، إن كان المصرفي قادرًا على الحب. ولكون كيرا أنطونوفنا بيريزوفسكا لا تفهم في شؤون القلب على الإطلاق، قررت عدم ولوج منطقة مجهولة في الوقت الحالي. بالنسبة إليها، كل ما يتعلق بالحياة الحميمة غدا عالمًا موازيًا منذ مدة طويلة.

الصورة الثالثة: تمارا توميلينا المتورطة في قضية بيدوبني، سواء أكانت شاهدة أو مشتبهًا بها أو ضحية، تلتقي بالصحافي فيكتور شامراي وتخبره قصة عن الظواهر الخارقة في قرية بيدليسني، التي أخليت من سكانها منذ عقدين. وكأنها، تمارا، تشعر بعلاقة غريبة مع ذلك المكان. إن صرحت بذلك علانية فستوصم بالجنون، والأطباء، للمناسبة، متفقون على ذلك. بغض النظر عن مدى تورط توما في مقتل بيدوبني، حتى لو لم تكن لها أي علاقة بمقتل عشيقها، فهي تمر بضغط قد يؤدي إلى انهيار عصبي أو حتى عقلي لديها. يمكن أن يؤدي الإجهاد إلى تفاقم المرض أو الحالة المرضية التي كانت تمارا تعاني منها بشكل دائم، ولكن الآن فقط، نتيجة للصدمة، بدأت تظهر إلى العلن. ذكّرت كيرا نفسها بما قاله الأطباء الذين قابلتهم. وفكرت في أن لقاء شامراي بتمارا جرى بعد أسابيع قليلة من جريمة القتل. ثم ظهرت قصة المنطقة الشاذة لاحقًا على صفحات الصحيفة، حيث يزعم شامراي أنه حصل على تأكيد مدعم برأي خبير متخصص.

الصورة الرابعة: فيكتور شامراى أيضًا شخص ذو ماض. بعد حادثة كانت لها عواقب وخيمة عليه، قرر فصل نفسه بشكل دائم عن العالم الحقيقي. لذلك، فهو منخرط في هلوسات مختلفة. واهتمامه بالمنطقة الشاذة مهني، وليس شخصيًا.

الصورة الخامسة: اتضح أن دان القرش نفسه، أو أحد حراسه، متورط بطريقة ما في اختطاف شامراي والضغط عليه قبل أربع سنوات. قد يكون دان القرش متورطًا أيضًا في مقتل بيدوبني، لكن من المستحيل ربط شامراي بهذه القضية من أي جانب.

الصورة السادسة: تمارا تختفي في بيدليسني. على الأقل هذا ما تقوله. بعد ذلك، يُعثر عليها في ظروف غريبة. فقدت ذاكرتها جزئيًا نتيجة تجوالها في عالم آخر. يقول الأطباء إن فقدان الذاكرة الجزئي ممكن، لكن في حالة توميلينا، لم يجد الأطباء أي سبب واضح لفقدان الذاكرة، مثل آثار ضربات قوية على الرأس، أو وخزها بمواد كيميائية أو أي شيء من هذا القبيل.

الصورة السابعة: أثناء محاولتها، مع براجنيك، تقصي الحقائق بشأن تمارا التي يُحتمل تورطها في قضية بيدوبني، التقيا بشامراي. وسرعان ما سار الصحافي على خطى بطلة قصته. سيرهي، بدوره، سار على خطى شامراي، وكلاهما، بعدما دخلا ما يسمى المنطقة الشاذة، ساهما بشكل غير متوقع في الكشف عن أكثر الجرائم شهرة في هذا القرن. إلا أن كل هذا لا يمكن، بأي حال من الأحوال، ربطه بجريمة قتل المصرفي.

فتحت بيريزوفسكا عينيها مرة أخرى. الآن، من بين كل هذه الصور، عليك أن تحاولي جمع المشهد كله. إذا نجحت، بالطبع. ارتدت كيرا نظارتها، نهضت، ومشت ببطء إلى المطبخ لتحضر شاي أوراق الورد والبابونج. هي لا تشتري ظروف الشاي الجاهزة. تشتري أوراق الورد المجففة والبابونج، تضع خليط الزهورات في الماء المغلي، ثم تتركه يتخمر، تصبه عبر مصفاة في كوب كبير، تضيف إليه القليل من الماء الساخن وتشربه ببطء. ركزت على إعداد الشاي، فهي تحتاج إلى بذل القليل من الجهد ولا يمكنها التسرع في أي حكم على الإطلاق. في ذلك الوقت، حاولت كيرا معرفة المكان الذي لم تفكر فيه. ما هي الصورة المفقودة. هل يوجد ما لم تفكر فيه بشكل صحيح أو ما لم تفكر فيه على الإطلاق؟ وضع غلاية مطلية بالمينا سعة ثلاثة لترات على الغاز، لسبب ما لا تملك غلاية كهربائية. جلست بيريزوفسكا على كرسي تنتظر وصول الماء إلى درجة الغليان. صبت القليل من الماء، أقل بقليل من لتر، كي لا تنتظر طويلًا.

ما هو المفقود من هذه القصة؟ أو ما هو الأمر غير الضروري هنا؟ ثماني عشرة جثة في بيدليسني. عثر براجنيك عليها وبالصدفة على حفاري قبورهم، لأنه أراد أن يكتشف ما حدث لشامراي وتمارا. حسنًا، الجثث قصة أخرى. قالت كيرا لنفسها. فلتتوقف عند هذا الحد في هذا الاتجاه. فكري، أنطونوفنا، فكري. لن يكون أي تحقيق ناجحًا إن لم يضم أكبر قدر من المعلومات عن جميع الشخصيات الرئيسة. فيتيا شامراي دخيل، لكن جمعت الكثير من المعلومات عنه... هناك سيرة مفصلة للقتيل هريهوري بيدوبني. يوجد ملف كامل عن دينيس كوفاليفسكي. هناك معلومات عن أنطون كونوفالوف، حارس دان القرش الشخصي. معلومات كافية للاشتباه بارتكابه جريمة القتل. توجد معلومات حول... خلص! أطلقت الغلاية صفيرًا حادًا. شعرت كيرا بيريزوفسكا بوجود خطأ. وجدته.

بعد عودتها إلى الغرفة، أجرت عدة مكالمات، واعتذرت عن الوقت المتأخر، وسألت عن شيء، وبعد ذلك فقط أخذت كوب الزهورات. كان عليها أن تنتظر اتصالًا من شخص ما.

8

اكتشف فيكتور شامراي يوم الأحد أن لدى كاتيا هوها اهتمام خاص به. عندما استلقى فاقدًا للوعي تحت كيس المصل، حاولت كاتيا اقتحام غرفة الإنعاش عنوة. خلال معركتها القصيرة مع الشرطي والممرضة، تمزق الكيس الذي حملته بيدها، وتدحرجت برتقالاته على الأرض، واندفع وراءها، ثم تمكن الفريق الطبي من إقناع كاتيا بأن تترك المريض وشأنه، فهو يحتاج إلى الراحة والسلام. بعدما نقلوه من العناية المركزة إلى غرفة أخرى، عادت كاتيا فيكتور لليوم الثالث على التوالي، بالإضافة إلى والدته والمحقق المعني بقضية الجثث الثماني عشرة. أحضرت له الفتاة وجبة البطاطس باللحم والفطر، التي أعدتها في آنية فخارية ثم نقلتها إلى وعاء زجاجي. اشتكت كاتيا من أن اللذة تكمن في أن يتناول هذه الوجبة بالملعقة من الآنية الفخارية مباشرة، لكن ما العمل إن لم يكن بالاستطاعة أن تحملها إليه إلى المستشفى. كما قلت له أفخاذ الدجاج وأحضرتها مع قنينة مياه معدنية، وزودته بالفواكه والعصائر بكميات كبيرة. مرة، التقت كاتيا بوالدته، تحادثا، وسرعان ما جاءت الأم إلى ابنها في وقت مبكر لتقول له: "كاتيا هي فتاة جيدة. انتبه يا فيكتور. انتبه يا بنيّ". كما أن كاتيا لمّحت غير مرة إلى أن بإمكانها العناية به في البيت.

لم يكن لدى فيكتور أي فكرة عن موعد عودته إلى المنزل. لم يقل الأطباء أي شيء محدد على الرغم من أنه استعاد وعيه وتذكر كل شيء، وبدأ يستردّ عافيته. على أي حال، لم يشعر شامراي بضرورة بقائه، لكن الطبيب رغب في إبقائه هنا حتى نهاية الأسبوع المقبل.

لم يعرف أحد ما كان يحدث لتمارا وكيف سينتهي مصيرها. وجد شامراي نفسه معها في القسم نفسه. لم يزرها أحد، سوى فيكتور الذي صار يطعمها من بطاطس كاتيا. لم يكن لدى توما أي شهية على الإطلاق. كانت صامتة بشكل عام، وعندما حدثها شامراي باختصار عن المقبرة في بيدليسني لم تظهر أي تفاعل. أبدت اهتمامًا عامًا بالتفاصيل كأي شخص عادي لا علاقة له بالموضوع بشكل مباشر. في البداية، وجد فيكتور الفتاة عند النافذة في الممر، كانت تنظر إلى الشارع البارد، وبدت كأنها تحصي السيارات أو المشاة. ارتجفت عندما لمس شامراي كتفها بيده. لم يجرؤ شامراي على سؤالها مباشرة عمّا حدث معها يوم الجمعة الماضي، إذ ذكّرته عملية اختطافه وعواقبها، بالأحداث التي جرت معه قبل أربع سنوات. لم يستطع جمع أفكاره معًا، ثم فكر في ما يمكن أن تمارا رأته بالضبط في بيدليسني، ولماذا أصبح الخاطفون المجهولون مهتمين بها. الآن، وهو يمشي بجانب تمارا الصامتة، لم يعرف ما إذا كان يريد حقًا إزالة هذا الضباب في تفكيره. لأنه، بالأمس، وبعد محادثة أخرى مع المحقق، فهم شامراي أن تمارا توميلينا إما تكذب، أو، بدلًا من ذلك لا تقول شيئًا.

لقد رأت شيئًا أو شخصًا ما في المنطقة الشاذة. فخاطفوه كانوا خائفين من أنها يمكن أن تتحدث عما رأته. لكنهم كانوا مخطئين فهي تخفي بعناد تفاصيل مغامراتها. لا تريد أن تكشف الأسرار.

أو... أو لا تستطيع ذلك.

9

عانت كيرا لساعات طويلة جدًا من الأرق في تلك الليلة. وعندما غرقت في النوم أخيرًا، لأربع ساعات، أخرجها منه رنين الهاتف. في الواقع، بينما كانت تنتظر أجوبة لأسئلتها، وتأمل أنها ستتمكن من جمع المعلومات التي تحتاجها، شعرت بخيبة أمل بعض الشيء. فالزملاء لم يتصلوا بل كانت المتصلة زوجة سيرهي.

- نعم، لودا - قالت بيريزوفسكا متثائبة.

- آسفة، لقد أيقظتك...

- لا يهم. أنا مستيقظة - كذبت كيرا، وهي تنظر إلى قرص ساعة الحائط التي يشير عقرباها إلى الثامنة وعشرة دقائق صباحًا - أفكر في بعض الأمور وأنا في الفراش...

- وأنا كذلك استلقي وأفكر. اسمعي يا كيرا، أيمكنك التحدث معي على الأقل؟

- ماذا تقصدي بـ "على الأقل"؟

- سيرهي لا يريد. حول هذا الموضوع. تفهمين؟

لم تكن كيرا صديقة سيرهي فحسب، بل كان صديقة لعائلته كلها. لو كانت لبيريزوفسكا عائلة، فيمكن للمرء أن يتوقع أن عائلتيهما ستتصادقان أيضًا. عرفت كيرا لودا براجنيك، وهي أم لطفلين، زوجة صبورة لشرطي محترف تعرض للضرب وإطلاق النار، شعرت بالأسف عليها. من جهتها، حاولت لودا أن تعرّف كيرا إلى رجل وحيد لطيف، لكن بيريزوفسكا أوقفت هذه المحاولات. المرأتان صديقتان، وفارق العمر بينهما نحو أربع سنوات، ويمكنهما بسهولة مناقشة أي نوع من المشاكل، بما في ذلك مشاكل عائلة براجنيك. والآن، على الرغم من أن كيرا لم تعتبر استبعاد براجنيك من التحقيق مشكلة كبيرة أو إقالته من منصبه مشكلة كبيرة. إلا أنه لسبب ما لم يكن في عجلة من أمره لمناقشة الأمر مع زوجته.

- تمام. دعيني أخبرك.

- كل شي؟

- حسنًا، لن تجدي أحدًا يخبرك كل شيء. لكن فيما يتعلق بالنقاط الرئيسية سأخبرك. هل ستأتين إلي أو نلتقي في مكان ما؟

- كما تعلمين - سكتت لودا لبرهة - أنا آسف لتعذيبك... أيمكنك المجيء إليّ؟ سنتناول الفطور. ليس لديك أي شيء في منزلك بخلاف الزهورات، على ما أعتقد.

لم تتقن كيرا بيريزوفسكا فن الطبخ ولم تحبّه. بالعكس، لم تحب الطبخ فلم تتعرف عليه لتتقنه. وأحيانًا كانت تفكر أنها لا تعرف كيف يجب أن يكون مذاق الطبق المُعد جيدًا. حتى البيض المخفوق عادة، المقلي في مقلاة لم تفرق في مذاقه إن تناولته عند لودا براجنيك أو من يد طاهٍ في مطعم. لذلك، تخلت منذ مدة طويلة عن محاولات إضاعة الوقت في المطبخ وإعداد شيء ما. اشترت منتجات نصف مطبوخة تحتاج إلى بذل أقل جهد ممكن. ولم يقلقها الأمر لذلك لم تسأل حتى عما تعده صديقتها على الفطور. همّها الرئيسي كان عدم إضاعة الوقت في تحضير أي شيء لملء المعدة.

- جيد.

- متى؟

- استيقظت للتو. أنا بحاجة إلى الاستيقاظ تمامًا والاستعداد... ساعة، ساعة ونصف، شيء من هذا القبيل...

10

تناول فيكتور شامراي الفطائر باللحم. قالت كاتيا، وهي تضع الطيّبات على طبق بلاستيكي، إن والديها أرسلا المكونات من القرية. سلقت لحم الخنزير مساء أمس، أضافت البصل المقلي، ثم طحنت اللحم والبصل بمطحنة يدوية، ثم حشت الفطائر وخبزتها في الفرن. نهض جار شامراي في الغرفة، العمّ ميكولا المتقاعد، أرسل إلى شامراي إيماءات بليغة من وراء ظهر يكاترينا، غمزه ورفع إبهامه.

- طيّبة، أليس كذلك؟ - استفسرت كاتيا هوها، ما إن وضع فيكتور نصف فطيرة في فمه.

- أيه - تمتم شامراي.

- طيبة يا عمّ، أليس كذلك؟ - استدارت كاتيا إلى المتقاعد.

- كيف لي أن أعيش بدونك يا كاتيا! - ابتسم العم ميكولا ابتسامة عريضة - كانت لدينا تدريبات مهمّة للغاية، وكاد جندي أحمق أن يحرق نفسه...

- أين خدمت يا عمّي؟ - سألته كاتيا بأدب.

- في قسم الإطفاء - أجابها العمّ ميكولا عن طيب خاطر، وبدا فيكتور في حالة من ذعر هادئ، إذ يمكن لجاره التحدث عن خدمته في قسم الإطفاء، ثم عن تعليم أساسيات الدفاع المدني للطلاب وتحديدًا طلاب معهد جيتومير التربوي - لذا، فإن الأبله أضرم النار في نفسه. حسنًا، كقائد، هرعت لإنقاذه. أنقذته، لكن أصبت بجروح طفيفة. لن أريك أين، لكنك، يا كاتيا، تفهمين...

وضعت كاتيا له ثلاث فطائر في طبق منفصل، وبدأ المتقاعد يأكلها بنشاط، متابعًا سرد ذكرياته:

- خصّوني بامتنان، كما ينبغي. ووضعوني في المستشفى العسكري - قال العم ميكولا - حسنًا، في ذلك المستشفى أعدّت لي صبيّة البورش... أنت، كاتيا، تفهمين. اليس كذلك؟

- طبعًا - أومأت الفتاة برأسها أي نعم.

- هناك...، يعني، بدأت أتغزل بها. كما ترين. لم يكن لدي الكثير من الخيارات. باختصار، كان كل شيء على ما يرام هناك. طبخ المستشفى كما تعرفين. من أين لي مثل هذه الفطائر. آه.

بيض، جبن - دهن المتقاعد شفتيه بزيت فطائر كاتيا - صحيح، لم أحصل على ما هو أطيب. كانت تعلمين. أعدته لي امرأة. نعم، لقد ذرفتُ دمعة عندما خرجت...

- ألم تكن لديك امرأة يا عمّ؟ - استفسر فيكتور.

- كانت - اعترف العم ميكولاي - كانت لدي. لكن ليست مثل تلك. ليست مثلها. تعرف كيف.. لن تجد دائمًا شابات يرغبن في إعداد الفطائر لرجل مميز. أتفهمين يا كاتيا؟ -

فهمت كاتيا كل شيء. ولم يكن لدى شامراي أي رغبة في مواصلة الاستماع إلى سيل ذكريات جاره رجل الإطفاء المتقاعد، ولا حديثه عن حصريّة فطائر كاتيا. ويبدو أن كاترينا لاحظت التوتر في صوت فيكتور، وكذلك الجار الذي قطع سيل ذكرياته، ثم نهض وانتقل إلى الغرفة المجاورة حيث يجتمع لاعبو الورق. كانوا يتذمرون من العم ميكولا الممل باستمرار بغض النظر عن كونه لاعبًا جيدًا، إلا أنه كان يرهق الجميع بذكرياته وحركات مفاجئة من يديه اكتسبها من مهنته الخطرة.

عندما ترك فيكتور وكاتيا، وضع شامراي طبق الفطائر الذي لم يكمله.

- أليست لذيذة؟ - فهمت الفتاة ما قام به بطريقتها الخاصة.

- الأمر مختلف - لم يعرف فيكتور من أين يبدأ المحادثة، وبشكل عام، ما إذا كان من الضروري هذه المحادثة مع كاترينا

- ألديك صداع؟ - مدت الفتاة يدها إلى جبهته لكن شامراي هز رأسه منزعجا.

- رأسي بخير. أو... باختصار، لا أعرف...

- أيمكنني المساعدة؟ - سألته كاتيا هوها بعد برهة.

- في الواقع، لا - قال بصراحة أيضًا بعد برهة. لكن هناك شخص واحد أعتقد أنه يستطيع ذلك. هل يمكنك الحصول على رقم هاتف تلك المرأة من مكتب المدعي العام؟ تلك المحققة التي أتت إلى هنا... هل رأيتها؟

- آه، المخيفة - أدارت كاتيا سبابتيها وإبهاميها حلقتين، ووضعتهما أمام عينيها راسمة نظارة - تلك؟

- لا تقومي بمثل هذه الحركات - تمتم فيكتور - ولماذا مخيفة؟ عادية... امرأة... - هز رأسه مثل الحصان. اسمها كيرا أنطونوفنا واسم عائلتها بيريزانسكا... أو بيريزوفسكا، لا أذكر الآن، هل يمكنك إيجاد رقمها؟

- اليوم؟ - فوجئت كاتيا.

- نعم. أفهم، الأحد، يوم إجازتك، وكل ذلك... غدًا سيكون الأمر أسهل... فقط، كاتيا، أحتاج إليه اليوم..

نظرت الفتاة إليه مدهوشة، ثم بدأت في البحث في حقيبتها. أخرجت هاتفًا، ومفكرة، ومفكرة، ووضعت كل شيء على ركبتيها.

- من الضروري الاتصال...

- كاتيا، هل من المستحيل حقًا العثور في جيتومير على رقم محققة مكتب المدعي العام في جيتومير بخبرتك؟

- ربما يمكن... ولكن مع هاتفي هذا لا - أرته الفتاة الهاتف - لدي عشر هريفنات في الحساب، أما ذاك الخلوي ذو الحساب المفتوح ففي مكتب التحرير. تعلم، يُمنع إخراجه من المكتب في الآونة الأخيرة بسبب الأزمة والاقتصاد...

- كاتيا... أتوسل إليك... كاتيا - كان شامراي على عتبة هستيريا ما - اذهبي إلى المكتب. سيسمحون لك بالدخول يوم الأحد. احصلي على رقمها. في الواقع، هذا مهم جدا.

- يهمك أنت؟ - تحولت كاتيا هوها إلى الهمس فجأة.

- يهمني - أومأ فيكتور أي نعم - الأمر سهل يا كاتيا. كيرا أنطونوفنا، محققة في مكتب المدعي العام.

11

اتضح أن طبق البلوف عند لودا لذيذ. حتى كيرا، الذي لم تأبه بالطعام كثيرًا استمتعت به. لم يكن الطفلان في المنزل، كان ابن سيرهي وابنته قد بلغا من العمر ما يكفي كي لا يبقيا صباح الأحد تحت السقف نفسه مع والديهما. شعرت الضيفة أن مضيفتها أرادت البدء بالمحادثة غير السارة مباشرة عند عتبة الباب، لكن سنوات من العيش مع محقق علّمت لودا أن تكبح نفسها وتنتظر بصبر. كيرا كذلك، على الرغم من معرفتها بما ستقوله، لم تقرر بعد كيف تبدأ. لذلك، جمعت أفكارها، وتحدثت في أمور عامة، وفقط عندما قدمت لودا الشاي، بدأت: - جيد. إلى العمل - وضعت لودميلا أوراق الشاي الأسود الرخيص في إبريق، ثم نقرت على زر الغلاية الكهربائية.

- هل لديك زهورات؟

- لا أحد هنا يشربها. لماذا طُرد سيرهي يا كيرا؟

دفعت بيريزوفسكا صحنها بعيدًا. حملته لودا من الطاولة إلى المجلى، وعادت إلى مكانها، ونظرت باستفسار إلى ضيفتها. بدأت كيرا بحذر: - الأمر ليس مأسويًا إلى هذا الحد - لن يطردوه. سيتقاعد. بسبب هذه الإصابة... وبشكل عام... لديه ثلاث إصابات سابقة.. ناهيك عن جروح آخر إصابة. كان أمامه ست سنوات أخرى في الخدمة... لم يصب بإعاقة، يمكنه العمل - صفرت غلاية الماء. قفزت لودا مرة أخرى، صبت الماء المغلي في الإبريق، أحكمت الغطاء، وجلست مرة أخرى أمام ضيفتها - أنت تدافعين عن زوجك كما لو أنني أتهمه بشيء - تابعت بيريزوفسكا - بصفته ضابط شرطة بمستواه وخبرته في التحقيقات الجنائية، لن يبقى بدون عمل لمدة طويلة حتى في جيتومير. وحتى خلال هذه الأزمة... لا تقلقي. لن ينهار.

- سينهار - قالت لودا بعناد - بمبادئه سينهار. تعرفينه.

- أنت أيضًا تعرفينه وأفضل مني بكثير من جميع الجهات. شيء آخر مثير للدهشة. كيف أن براجنيك، بمبادئه، صمد حتى الآن في الشرطة. صمد حتى الآن... - لاحظت بيريزوفسكا.

- مع مثل هذه المبادئ، يا كيرا، حاجة البرجوازيين إلى براجنيك أقل من حاجة الشرطة المحلية إليه. لقد تخلصوا منه. طردوه!

- بما أننا ذكرنا المبادئ، فهذا يعني أننا نفهم السبب. في الواقع، يا لودا، كان يجب أن يحدث هذا منذ وقت طويل.

- لذلك أسألك. اشرحي سبب حدوثه الآن. وكيف حدث ذلك. لأنني لا أخمن السبب.

نهضت لودميلا المتوترة، وصبت الشاي في كوبين، وألقت ثلاث ملاعق من السكر في كوبها، وأخذت رشفة طويلة، فسعلت. نهضت كيرا وربت على ظهرها. ثم استندت إلى حافة نافذة المطبخ، وعقدت ذراعيها على صدرها.

- حسنًا، لنبدأ من الأسباب. لم يخبر الكابتن براجنيك أحدًا بنيته التوجه إلى منطقة بيدليسني الملعونة. رسميًا، يمكن اعتبار هذا انتهاكًا. يحل مشاكله الشخصية خلال ساعات العمل. إذا كانت هناك رغبة، يمكن للإدارة الأمنية اتهام سيرهي بذلك بعد التحقيق معه. براجنيك من القلائل، إن لم يكن الوحيد، الذين لم يفعل شيئًا من هذا القبيل. لم يتدخل في شؤون الآخرين، لكنه هو نفسه لم يصرف وقت خدمته على مسائل شخصية. مبادئ، أليس كذلك؟

هزت لودميلا رأسها بصمت، وضمّت الكوب الدافئ بكفيها.

- لن يثبتوا ذلك - أكدت بيريزوفسكا لنفسها - نعم. لكن دعينا نذهب أبعد. في بيدليسني. استخدم الكابتن براجنيك سلاحًا للدفاع عن نفسه بعدما أطلقوا عليه الرصاص ليقتلوه. ونتيجة لذلك، ساهم في فضح وتحييد مجموعة إجرامية كبيرة. لكن سلاح سيرهي لم يكن سلاح الخدمة. من أين حصل على المسدس؟ أوافق على أن جميع العناصر في إدارة التحقيقات الجنائية تقريبًا لديهم مثل هذه المسدسات. يعثرون عليها أثناء عمليات التفتيش ولا يعلنون عنها. يخفونها. وهذا يعني أن مجرمًا ما صودر منه المسدس وكان متورطًا في حيازة سلاح ناري بصورة غير مشروعة، ولم يعلن عن ذلك. هذه مسألة خطيرة، وسيرهي براجنيك، قام باستغلال منصبه الرسمي، فأخرج المجرم من المسؤولية الجنائية. هنا بالفعل نوعان من الانتهاكات. نوعان - رفعت كيرا إصبعين.

- هل هذا هو السبب...

- ليس هذا فقط - قاطعتها بيريزوفسكا - أعرف حالات طُرد فيها رجال الشرطة بسبب رصاصتين في درج المكتب. ولم يُطرد المشاكسون بل طُرد رجال الشرطة الملتزمون من رتب مختلفة. وإذا ما أساء شرطي لنائب أو رجل أعمال محلي مثلًا، يُنقل، وينتهي به الأمر في كييف أو في هروشيفسكي أو في بانكوفا. هكذا تجري الأمور! كما يقولون.. بالناقص واحد.

- لكن... هذا مخيف، كيرا. لا يمكنك العيش هكذا...

- نعيش ويعيشون - قاطعتها بيريزوفسكا - من الغريب سماع مثل هذه السذاجة من امرأة بالغة ذكية. امرأة قوية، زوجة أحد قدامى المحاربين السوفيات وضابط في حروب العصابات. أنا لست متفاجئة، وأنت ألست متفاجئة! إن انتهاك التعليمات، والتعسف، والأسلحة غير القانونية هي فقط أسباب لتذكر في المحضر، فتغطي هالة أخرى من الخطايا المختلفة. يمكنهم جميعًا إجراء تحقيق رسمي، وهو ما سيفعلونه بكل سرور. سيكون الوضع سيئًا. وبعد ذلك سيزداد الأمر سوءًا! لذلك، اقترح يا لودا، أن يستقيل سيرهي. لن يطردوه بمذكّرة، هل تفهمين؟ - بقيت لودميلا صامتة. - أنت فهمين، زوجك ليس غبيًا أيضًا. من الأفضل أن يغادر هكذا بدلًا من أن يقاتل بلا جدوى. أن

يغادر على أي حال، وألا يقاتل الأشباح. يعرف سيرهي جيدًا نظام الشرطة من الداخل، فليكن مستعدًا للخروج منه بأقل خسائر ممكنة. لأننا في حياتنا، لا نزال نكافح من أجل التغيير، لكن لا رغبة عند أولئك المتنفذين في تغيير شيء في الواقع. الأمر ليس بأيدينا. واضح؟

- أنت... هل تعتقدين أن هذا صحيح؟

- ماذا بالضبط؟

- حسنًا... ألا يقاتل سيرهي... من أجل نفسه...

فليقاتل من أجل نفسه - طمأنت كيرا صديقتها - لا أن يقاتل من أجل إصلاح الشرطة، بل من أجل نفسه. فليقاتل من أجلك ومن أجل الطفلين. وإلا سيزداد الوضع سوءًا. للجميع.

صمتت المرأتان، وشعرت بيريزوفسكا أن وجودها بات غير ضروري هنا.

- شكرًا لك - خطت نحو باب المطبخ.

- انتظري - أوقفتها لودميلا - انتظري. أردت بصراحة أن أسمع شيئًا من هذا القبيل. أرى أن أولئك الذين يحتاجون إليه سيفهمون كل شيء. كيرا... ابقي، استلقي. هناك وسادة وبطانية على الأريكة في الصالة. استريحي بضع ساعات. عند الغداء سنذهب إلى سيرهي معًا، وسنأخذ البلوف إليه. ما رأيك؟

كانت كيرا تنتظر اتصالًا. وليس واحدًا.

- جيد. بعدما أطعمتني لا رغبة لدي في أن أذهب حقًا.

لم تلمس كوب الشاي الذي لم يعجبها.

12

بعد الغداء، ساد الصمت يوم الأحد في المستشفى. حاولت المرأتان جاهدتين التحدث إلى براجنيك عن أي شيء باستثناء فصله من الشرطة. شعر سيرهي بهذا، وكان ممتنًا لزوجته وكيرا: هو نفسه الآن لا يريد أن يعطي شخصًا تفسيرات غير ضرورية ويتحدث في القضية من جديد.

بعد المحادثة مع رئيسه، شعر فجأة بالهدوء الذي لم يشعر به منذ مدة طويلة. غريب. حتى نومه بدأ يتحسن بسرعة. في المستشفى، كان ينام معظم الوقت، وبين الفينة والأخرى يجيب على أسئلة مجموعة من الناس، ومنهم محقق مكتب المدعي العام الذي عُهدت إليه قضية بيدليسني. وقد تبين أن هذا العقيد رجل جيد. حتى أنه روى نكتة مضحكة عندما ودعه. كان براجنيك يستمع إلى لودميلا وكيرا عندما رنّ هاتف بيريزوفسكا الخلوي.

- أنا أستمع! - زعقت، ثم بدت عليها خيبة أمل - نعم، مرحبًا، فيكتور... - استمعت في صمت لبعض الوقت - لا، ليس على الهاتف. حسنًا، أنا في المستشفى الآن، لكن في مبنى آخر. سآتي إليك.

- شامري؟ - سأل سيرهي عندما أقفلت المحققة الخط.

- شامراي.

- ماذا يريد؟

- يقول إنه الأمر جاد. سأضطر إلى المغادرة. هل ستبقين يا لودا أم...

- سأبقى. سأبقى - طمأنتها - سآخذك لتناول الغداء...

13

بعد الاستماع إلى شامراي، أدركت كيرا بيريزوفسكا أنها لن تتناول الغداء اليوم مع لودا.

- لماذا لم تتحدث من قبل؟ - سألته بصرامة.

- لم أعتقد أنه مهم - هز فيكتور كتفيه. وكيلا يوقظ رجل الإطفاء المتقاعد، غادر معها الغرفة، وقفا مقابل جدار مطلي باللون الأخضر في ردهة فارغة.

- لماذا قررت أنه غير مهم؟

- توما هنا... نحن في القسم نفسه... هنا... حاولت التحدث معها. تقول بعناد: إنها لا تتذكر شيئًا من المنطقة الشاذة. بشكل عام، ذاكرتها...

- أعلم - قاطعته بيريزوفسكا بحدة واقتربت منه - وأنت.. أليس كذلك؟.. يبدو أنك... لا يهم.. قلت إن أحدًا لم يهاجم توما. لا توجد علامات عنف، باستثناء ورم في مؤخرة الرأس. نعم، يوجد ورم... لكنها رأت شيئًا. لولا ذلك، لما خطفوني واستجوبوني خارج المدينة، لما بذلوا كل هذا الجهد. وفي المستشفى، على باب توما كان هناك شرطي.. رجل أمن...

- لا يوجد الآن.

- لا.

- ألم ترَ أحدًا من... - تذكرت بيريزوفسكا السلسلة والكلب، فتلعثمت للحظة، واختار كلماتها بعناية أكبر - من الجناة، هل رأيت أي شخص هنا في المستشفى خلال هذا الوقت؟

- لو رأيت أحدًا لقلت لك.

- إذن لم ترَ؟

هز فيكتور رأسه.

- لذا، تعتقد.. أن تمارا فلتت من أيديهم، وإن لم تقل شيئًا للشرطة فقالته لك بشأن ما رأته في بيدليسني؟

- نعم. في بيدليسني... أو في مكان قريب...

- هل أدركوا خطأهم؟

- وكيف لي أن أعرف؟

- هل تتذكر أيًا منهم؟

- واحد بالتأكيد. ذاك الذي قدم نفسه على أنه رجل من المباحث الجنائية.. رأيت أحدهم فقط. رأيته لأقل من دقيقة، لكنني لن أنساه أبدًا.. حتى أنني رأيته في منامي أمس.

- كابوس؟

- طبعًا.

- هل هزمته هناك؟

- كنت أهرب. في الواقع، أردت أن أهرب. علقت رجلاي ولم أستطع التحرك...

- حلم سيئ - أقرت كيرا - لا يزال لديك الكثير من القلق. إنها الأعصاب. لا يوجد ما يثير الدهشة هنا. نعم، هل أنت متأكد أنك لم تره من قبل؟

- مئة في المئة.

- هل يمكنك أن تصفه بدقة؟

- سأحاول. إنه أسود الشعر...

- لا، توقف - قاطعته بيروزوفسكا - ليس لي. عد إلى الغرفة. لا تقل أي شيء لتمارا. سأحاول التفكير في شيء ما بسرعة.

14

- طلبك غير واقعي - قال براجنيك - الأحد اليوم لن يكون من الممكن العثور على أي شخص، وخاصة من الخبراء.

بعد الاستماع إليه في صمت، نظرت كيرا إلى لودميلا، التي شعرت بأن وجودها غير ضروري، وأدركت أن شيئًا مهمًا كان يحدث، جلست بهدوء، ثم سلمت هاتفها لسيرهي.

- اتصل.

- بمَن؟

- بمن يلزم. بحلول نهاية اليوم، أحتاج إلى تحديد هويته. هناك الكثير من الأوغاد في جيتومير وضواحيها. موافق؟ إنها فرصة حقيقية.

- لمن؟ لم؟

- لا أعلم. لكن، يمكنك أن تلحظ أن تمارا تخفي شيئًا ما عمدًا.

- هل تعتقدين أنها تمثل دور فقدان الذاكرة؟

- كل شيء ممكن. يحق لأي شخص ألا يتذكر ما لا يريد. لكن يتعين عليّ معرفة ما يخفيه الناس. اتصل، اتصل، لا تقتصد، لقد ملأت حساب الهاتف أمس.

تنهد سيرهي براجنيك، ورتب الوسادة بشكل مريح أكثر تحت ظهره وأخذ الهاتف.

15

اتصلت كيرا بالطبيب، فسمح لها بنقل شامري من المستشفى حتى المساء. وفي وقت متأخر من ذلك المساء، قام خبير معروف في علم الجريمة، بتقديم خدمة شخصية لبراجنيك، فنفذ رسمًا تقنيًا لبورتريه المجرم بناء على وصف فيكتور.

لا يعطي برنامج الكمبيوتر تشابهًا بنسبة مئة في المئة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الشاهد، على الرغم من أنه أقسم ألا ينسى المجرم أبدًا، إلا أنه رآه لمدة ثلاثين أو أربعين ثانية فقط... حسنًا، فلتكن دقيقة، ولكن ليس أكثر. علاوة على ذلك، لم يتفحص شامراي وجه الغريب بشكل خاص. ومع ذلك، تبين أن الرسم الذي أخرجه الكومبيوتر، وفقًا لفيكتور، متشابه جدًا. خلال ساعات قليلة تأكد الأمر. بدا أن كيرا نفسها رأت في رسم الشخص الذي انتحل صفة محقق في قسم التحقيقات الجنائية، سمات مألوفة للغاية. ولكن لإزالة الشكوك، أزعجت سيرهي مرة أخرى في المستشفى. ولم يكن لدى النقيب براجنيك أي شكوك. بقي أن تخرج كيرا صورة الرجل من ملفات التحقيق الجنائي. يجب أن تكون صورته بين المشتبه بهم في جرائم القتل السابقة، حتى لو يُصوّر المشتبه به خصيصًا لأرشيف الشرطة أو مكتب المدعي العام. عندما عثرت كيرا على الصور اللازمة، وعلى الرغم من الوقت المتأخر، ذهب إلى غرفة فيكتور وعرضتها على الصحافي، فتعرف في خاطفه على أنطون كونوفالوف المقرب من دان القرش.. حارسه الشخصي المخلص.

16

الصقيع الأول لم يدم طويلا. صار الطقس متقلبًا من جديد وأثار تقلبه غضب الناس، الذين كانوا غاضبين أصلًا من التقارير المستمرة عن الأزمة الاقتصادية وتداعياتها.. الأمور من السيء إلى الأسوأ.

يوم الاثنين، 8 كانون الأول/ديسمبر، بدأ يوم محققة مكتب المدعي العام لمدينة جيتومير كيرا أنطونوفنا بيريزوفسكا بشكل جيد للغاية، على عكس المواطنين الذين كانوا قلقين بشأن السقوط في الفقر المدقع. كانت تحصد ما زرعته في اليوم السابق. بحلول الظهر، توفرت لديها معلومات من مصادر مختلفة، على الرغم من أنها لا تزال سطحية، إلا أنها ناسبتها تمامًا. اعتمادًا على الحدس والخبرة، بدأت الصور التي كانت مفقودة للغاية تتجمع في مشهد كامل في ذهنها، والأهم من ذلك، عرفت كيف يجب معالجة كل شيء.

المساء لا يزال بعيدا. أمضت بيريزوفسكا بقية يوم العمل في المكتب تجري الاتصالات بناءً على المعلومات المتوفرة. طمأنت نتيجة الجهود كيرا. الآن، يمكنها توجيه الاتهام، وتعرف ماذا تفعل. والأهم من ذلك أنها تعرف ما لا يجب فعله بأي حال من الأحوال. لذلك، بعد إجراء بضع مكالمات أخرى، أغلقت كيرا بيريزوفسكا الأدراج بإحكام، ارتدت ملابسها، وأغلقت المكتب، وغادرت مكتب المدعي العام، وألقت أثناء خروجها التحية على من مرّت به من الزملاء.

وجدت تمارا توميلينا في الجناح مستلقية تطالع مجلة لامعة سميكة. ما إن رأت الفتاة المحققة حتى رمت المجلة المملة ونهضت. توقفت رفيقتاها الغرفة عن الدردشة، ونظرتا إلى المرأة باهتمام. كانتا تعرفان من هي كيرا بيريزوفسكا.

- مساء الخير، تمارا - ثم نظرت إلى المرأتين في الغرفة - كيف الحال هنا؟

- لا أعرف - هزت الفتاة كتفيها - لا بأس... أعتقد...

- هكذا قال الطبيب. كل شيء طبيعي - رسمت شفتا بيريزوفسكا شيئًا مشابهًا للابتسامة - طبيعي لدرجة أنه سمح لي بأخذك من هنا اليوم.

- لك؟ أن تأخذيني؟ اليوم؟ - لم تفهم توما.

- نعم - أكدت كيرا - على حد علمي، لا يزورك أحد من أقاربك. على الرغم من أن لديك أقارب، وإن كانوا يسكنون بعيدًا. لقد حققت في الأمر...

- وما الداعي؟ - رن صوت توما بنبرة عدائية.

- هذا ما يقتضيه عملي - اقتصرت كيرا على هذا التفسير. سنتحدث عن كل شيء آخر هنا. ستحصلين على الأوراق اللازمة غدًا. سيقوم الطبيب بإعدادها.

- أوراق؟

- أوراق مغادرة المستشفى - أومأ بيريزوفسكا برأسها - بعد ذلك ستتابعين العلاج في العيادة الخارجية. سيخبرونك كيف. لا فائدة من إبقائك في المستشفى. لا يوجد تقدم. علامات فقدان الذاكرة واضحة، أما من جميع النواحي الأخرى، فأنت شخص يتمتع بصحة جيدة. استعدي. نظرًا لأنه ليس لديك أي قريب هنا في جيتومير، أعربت عن رغبتي في مرافقتك. الطبيب لا يمانع.

- حسنًا... ألا يمكننا الانتظار حتى الغد؟ - بدت تمارا مرتبكة.

- لن يتغير شيء غدًا - قالت كيرا بهدوء - لا تجدي أحدًا يرافقك أيضًا، فأنا أعمل نهارًا. اجمعي أغراضك، استعدي، أسرعي، توما.

- لماذا أنت في عجلة من أمرك؟ - لم تفهم الفتاة.

- سأشرح لك ذلك بعد قليل. ليس هنا بالطبع. استعدي.

كانت أغراض الفتاة في الخزانة. تحت نظرات جارتيها والمحققة، خلعت سترتها وبنطالها الرياضي، ارتدت بنطالا تحتيًا وفوقه الجينز، ثم كنزة دافئة طويلة العنق. تلك التي كانت فيها حين ذهبت على بيدليسني. ثم ارتدت معطفًا دافئا. بقي رأسها مكشوفًا.

- وثائقك الشخصية ومحفظتك.. لديك هنا؟

أومأت تمارا برأسها أي نعم.

- إذن، هيا بنا.

خرجتا في صمت. بدلًا من الذهاب إلى موقف الحافلات الصغيرة، سارت كيرا بثقة إلى حافة الرصيف، مدت يدها إلى الأمام وزعقت. أوقفت سيارة أجرة. أعطت السائق عنوان منزلها فورًا، ونظرت إلى توما، التي كانت تشعر بالارتباك.

- هيا. اركبي. - أطاعتها.

جلست على المقعد الخلفي للسيارة. وفقط عندما نزلتا أمام منزل بيريزوفسكا، لم تستطع التحمل أكثر: - أريد أن أعرف ما الذي يحدث.

- لا شيء. حسنا. لا شيء خطير بالنسبة إليك - أجابت كيرا بهدوء - هل هذا كاف؟

- كاف - وافقت تمارا. وأضافت - في الوقت الحالي.

- تماما. إذا دعينا نذهب. سأشرح كل شيء عندما ندخل إلى المنزل.

وصل المصعد إلى الطابق المطلوب. فتحت باب شقتها، ودعت بيريزوفسكا توما إلى الأمام بلفتة مضيافة. مشت وراءها، أشعلت الضوء في الردهة.

- اخلعي ثيابك. أنت في المنزل.

- لدي منزل - أوضحت توما.

- أعرف. ليس منذ وقت طويل. أكثر راحة ودافئًا. هدية، أليس كذلك؟

- ما الذي يهمك! - من الواضح أن أجوبة الفتاة كانت جاهزة عندما يتطرق أحد إلى موضوع مؤلم لها، وهو بلا شك هريهوري بيدوبني ومقتله.

- لا شيء على الإطلاق! - رفعت كيرا يديها ممازحة - اهدئي، اهدئي. ومع ذلك، لا يمكنني أن أعدك بأنني لن أسأل. لهذا جئنا هنا.

- لم؟

- للتحدث. تعالي إلى الغرفة.

لاحظت توما أن شريطًا خفيفًا من الضوء يصل من خلف الباب المغلق المؤدي إلى الغرفة. ربما نسيت المضيفة إطفاء مصباح الطاولة، أو أن هناك شخصًا آخر في الغرفة. خلعت حذائها ومعطفها. دفعت تمارا الباب ودخلت الغرفة. هناك جلس الصحافي فيكتور على كرسي ذي ذراعين تحت مصباح طاولة. على ركبتيه أوراق وقصاصات صحف.

- تعرفان بعضكما البعض - قالت كيرا، وهي تقف عند باب الغرفة - أأشعل الضوء؟

- كما تريدين - هزت تمارا كتفيها - طالما أنت راضية عن هذه المسرحية...

- لحظة! - قاطعتها بيريزوفسكا رافعة سبابتها - أنت نفسك قلت هذه الكلمة: مسرحية. أنا لم أسحبها من لسانك.

- آسفة، لكن كل ما يحدث الآن يشبه المسرحية حقًا. وهي ريفية وسطحية جدًا - لم تستطع تمارا كبح جماح مشاعرها المتراكمة.

- جيد، تتحدثين عن مسرحك - قالت بيريزوفسكا بنبرة غريبة - رائع توما. نظرًا لأن مسارح الأرياف رخيصة، فلماذا أردت بشدة أن تؤدي دورًا في جيتومير؟ بالإضافة إلى أنك تلقيت دروسًا من ممثلة مشهورة. أرى أن هذه الدروس ساعدت كثيرًا. أتساءل، تمارا.

- أنا أيضًا - قال شامراي من مقعده.

- لماذا... لماذا أنت متفاجئ؟ - خففت توما من حدّة صوتها.

- أنا مندهش من أنك تركت التمثيل. أنت تمتلكين موهبة. أداؤك جيد. نعم. اجلسي، دعينا نتحدث.

جلست تمارا توميلينا بطاعة على الأريكة.

17

كانت كيرا أنطونوفنا بيريزوفسكا واقفة تنظر إليهما. قررت الحفاظ على حميمية الموقف. تركت الإضاءة كما كانت. خلعت نظارتها ومسحت زجاجتيها بهدوء، واستعدت للتحدث.. لكن تحدث فيكتور:

- عالم صغير، أخبريني؟ أنا أتحدث عن هالينا هريغوريفنا.. عن هوربانسكا. التقيت بها منذ شهر وكتبت مقالًا. هي على تواصل مع الكون، ألا تعرفين يا توما؟

- قرأته - ردت الفتاة باقتضاب - قرأت مقالك. أشعر بالأسف على هالينا هريهوريفنا. لم أفكر... متى حدث ذلك معها؟

- لا أعلم. أنا لست طبيبا - أجاب فيكتور.

- لكن قبل خمس سنوات، عندما درستك هوربانسكا، اعتبرت أنك طفلة موهوبة للغاية وأعدتك لاختبارات الدخول إلى معهد المسرح. كانت أكثر وعيا، أليس كذلك؟

- أترين كيف تتقاطع مسارات الحياة؟ أولًا، يقوم فيكتور بعمله، يقابل المدرسة، ثم بعد مدة وجيزة يقابل تلميذتها. من الجدير بالذكر أن لدى كلاهما، بعبارة ملطفة، الحالة نفسها - نقرت بيريزوفسكا على جبهتها بسبابتها المنحنية - شامراي معتاد على التعامل مع هؤلاء والاستماع إلى مثل هذه القصص. تجني الصحيفة أموالًا جيدة في منطقة جيتومير، وتظل ثابتة على قدميها. الأزمة بالتأكيد لن تؤثر عليك، أليس كذلك يا فيكتور؟

- صحيح - وافقها شامراي - عندما يسود القلق يقرأ شعبنا هذه الأشياء في الغالب. يبحث عن إجابات. لا يثق بالسياسيين أو ....

- خاطئ.. لكن حكيم - أحنت بيريزوفسكا رأسها موافقة - عندما يمسك العالم الحقيقي بالحلق، ويضغط على الدماغ ويصبح من المستحيل العيش فيه، يركض الناس بوعي أو بغير وعي إلى عالم موازٍ. على سبيل المثال، أنت فيكتور. لقد فعلت الشيء نفسه قبل أربع سنوات. هل يمكنك أن تخبر تمارا قصتك باختصار؟ لولا ما حدث لك في صيف عام 2004، لم أكن لأتكهن بما مرت به تمارا في خريف عام 2008، هذا الخريف.

- الشيء نفسه؟ - سألت تمارا ولم يغادرها الشعور بعدم الثقة، لأنها لا تعرف مدى خطورة ما يجري عليها. ومع ذلك، وهي تشعر أنها سبب كل الأحداث. الفتاة التي أرادت أن تصبح ممثلة،

أحبت حقًا أن تكون في مركز اهتمام. جمهوريا الآن يتألف من شخصين تعرفهما جيدًا. لا بأس، فمن غير المرجح أن يعرف الممثل الحقيقي مشاهديه شخصيًا.

- في حالتك يا توم، لا. فيتيا هل تعارض إن أمسكت أنا بالدفة؟

لوح شامراي بيده.

- سأوجز. قبل أربع سنوات، تعرض هذا الشاب لاعتداء. ولإبقائه صامتًا بشأن قصة واحدة سيئة، ظل فيكتور مقيدًا بسلسلة في قبو مظلم ليوم كامل. من أجل قمع حريته. نجح المجرمون. لا داعي لإدانته، تمارا، في زماننا يمكن لأي كان أن يحل محله...

- نعم... - نظرت توما إلى فيكتور، كما لو كانت قد ألقت به بالصدفة في مكان يعتبره غير لائق لسبب ما، وكان يختبئ من أعين المتطفلين.

- بعدما عانى من ضغوط شديدة، انغمس فيكتور في عالم موازٍ. لم يهتم بأي شيء آخر. هرب بشكل أساسي من الواقع الذي غدا في وقت من الأوقات أمرًا فظيعًا بالنسبة إليه. ولكن بعد أسبوع من اختفائك الغامض يا توما وظهورك الذي لا يقل غموضًا، ومع فقدان الذاكرة جزئيًا، تعرض فيكتور لهجوم آخر. اختطفوه من شقته الخاصة. من منزله، من حصنه. ساقوه إلى الغابة حيث ضربوه واستجوبوه. كانوا يذكرونه بتلك القصة التي حدثت أربع سنوات، ويعدونه بتكرارها إن حاول أن يكون بطلًا أو شيء من هذا القبيل. هل أنا على حق حتى الآن، فيكتور؟ -هز شامراي رأسه موافقا. من موقعها، لم تستطع تمارا رؤية ملامح وجهه بوضوح. يبدو أن دمية محشوة بنشارة الخشب كانت جالسة على كرسي بذراعين، تقوم ببعض الحركات بأطراف اصطناعية، وتلعب دور شخص حي. تابعت المحققة - ثم قبل أربع سنوات أمر رجل آخر الخاطفين. ولم يخفوا وجوههم. هذا ما أعنيه. الآن رأى فيكتور واحدًا منهم فقط، ورآه لفترة وجيزة جدًا ولم يتعرف عليه. إلا أنهم عرفوا كيف شعر بالإذلال والسحق قبل أربع سنوات. جمعوا المعلومات المطلوبة. لماذا؟ ليجدوا المكان الأكثر إيلاما ويضغطوا عليه. مرة أخرى، من أجل ماذا؟ تعد الكتابة عن عالم مواز من أكثر الأنشطة أمانًا في العالم. تنغمس في عالم خيالي وتجد أشخاصًا يعيشون على موجتهم ولا يتدخلون في أي شخص. فيكتور شامراي لا يستطيع أن يؤذي أحدًا. لكن مرة أخرى: لماذا ضغطوا عليه، لماذا بحثوا عن أسراره القديمة؟ أنت يا تمارا على سبيل المثال، لم تستطيعي مشاركة مخاوفك مع الشرطة، لكنك تمكنت من إخبار صحافي ترينه للمرة الأولى بها. هل هناك أي منطق في هذا، تمارا؟

- لا أعرف - أجابت الفتاة.

- فلنحاول أن نكتشف معًا - بدت كيرا الآن كمعلمة مادة الهندسة في مدرسة، تريد أن تشرح نظرية فيثاغورس وإفهامها حتى للمغفلين - لقد أوضح فيكتور لاحقًا أن خاطفيه كانوا مهتمين بما أخبرته أنت، تمارا. لسبب ما لم يؤمنوا بصمتك. أرادوا معرفة ما إذا كنت قد رأيت أي شيء في بيدليسني. وإذا رأيت.. ماذا بالضبط؟ أخبرهم فيكتور بأنك تعانين من فقدان الذاكرة. لقد أقنع معذبيه بهذا الأمر بحماس ويأس كما حاولت إقناعه، وبدون مبالغة. وقد استخدم لتحقيق هدفه، المطبوعة

الأكثر شعبية في منطقتنا "حقائق لا تصدق"، والتي يحسب الكثيرون حسابًا لها. كما علمت، خلال العام الماضي، أثرت الصحيفة بشكل كبير على رأي فئة معينة وكبيرة إلى حد ما من سكان جيتومير والمنطقة. أنت يا تمارا درست هذه الجريدة لمدة طويلة وبحرص، لذلك أنت تعلمين هذا بدوني. وقد أدركت ذلك قبلي بكثير. لذلك، من خلال امتلاك مهارات تمثيلية جيدة، وعقل حاد، وقدرة على التفكير خارج الإطار، فإنك تتظاهرين بفقدان الذاكرة. لكنك تخمنين السؤال الرئيسي الليلة: لماذا فعلت ذلك؟ حسنًا، هل قررت الاعتراف؟ أم يجب أن تستمري؟

- أنت تبلين بلاء حسنًا - وصل صوت الفتاة مكتومًا وهادئًا.

- شكرًا. فلنتقدم خطوة إلى الأمام. هؤلاء الناس الرهيبون لم يتمكنوا من الوصول إليك، فدائمًا كنت تحت حراسة الشرطة. لماذا؟ لأنك اختفيت في عالم موازٍ؟ شرطتنا على الأقل تتعامل مع العالم الحقيقي. إذا لماذا؟ لأنك، تمارا، أعطيتني تعهدًا بعدم المغادرة. أنت متورطة إلى حد ما في قضية جنائية، وهي مقتل هريهوري بيدوبني، الذي كنتِ تعيشين من خيره مؤخرًا. دعينا نتوقف هنا قليلًا، إذا كنت لا تمانعين...

- أمانع! - بدا صوتها المتعجب قاسيًا، لكن هادئًا تمامًا.

- هذا ليس عادلًا - خرج اللوم من فم بيريزوفسكا بصدق - غير عادل، يا تمارا. سمح لنا فيكتور أن نلمس ماضيه القريب. صدقيني، إنه لا يريد أن يتذكر ذلك، ليس فقط مع الآخرين، ولكن حتى مع نفسه. سأتطرق أيضًا إلى ماضيك قليلًا. لدي خبرة كافية في عملي، وعندي فكرة تقريبية بمن اتصل لمعرفة ما أريد. هذا في الواقع خطأي بالتحديد. أثناء جمعي المعلومات عن بيئة المتوفى وأصدقائه وأعدائه بشكل خاص، تركناك لسبب ما إلى وقت لاحق. كنت لأعرف عن حلمك يا تمارا بأن تصبحي ممثلة. عندما التعامل مع شخص يتمتع بقدرات في الحديث نستمع إليه بعناية أكثر وننظر عن كثب إلى كلماته وأفعاله. لقد أعيد توطين والديك من بيدليسني بالفعل مع آخرين قبل بضعة أشهر من ولادتك. ثم، عندما ذهبت إلى الصف الأول، انفصل والداك. لكل منهما حياته الخاصة، ولا أحد منهما، للآسف، يستطيع أداء وظيفة الأهل بشكل صحيح. غالبًا ما تنقلت أنت وأمك من مكان إلى آخر اعتمادًا على من اختارت أن يكون والدك التالي. لذلك، أردت في وقت مبكر جدًا أن تكوني مستقلة. بعد المدرسة، انتقلت إلى جيتومير، وعشت لبعض الوقت مع شخص تصلك بها قربى من بعيد، عرفك إلى هالينا هوربانسكا، التي امتدحت قدراتك. ثم، أمضيت نصف عام في مسرح جيتومير، حيث تمكنت المعلمة من إلحاقك، من وقت لآخر كنت تصعدين إلى خشبة على المسرح. بعد ذلك، قررت الالتحاق بالمعهد، ذهبت إلى كييف وفشلت. في حالة البحث، يمكننا وضع افتراضات بناءً على حقائق متباينة. لكن في الوقت الحالي، يكفينا أن هريهوري بيدوبني عثر بالصدفة على عاهرة تعمل بدوام جزئي تُدعى "الفنانة" في أحد نوادي كييف، - أخذت كيرا نفسًا وتابعت - لم يكن من مدمني هذه النوادي. كانت زيارته للنادي في ذلك المساء استمرارًا لبعض المفاوضات التجارية. كيف كان أداؤك آنذاك يا توما، لا أعرف. لكن سرعان ما أخذك بيدوبني تحت جناحه وأعادك إلى جيتومير. يقول الكثير من الناس، يا توما، إنك شعرت حقًا ببعض المشاعر تجاه هريهوري. أولًا، الامتنان، ثم التعاطف والحنان والحب.. صحيح؟

- هذا كله صحيح. كل ما قالوه.

- تماما. كنت مقتنعة بأنك لست عدوة لبيدوبني، بل على العكس من ذلك، فأنت من الأصدقاء القلائل. لقد فعل الكثير من أجلك، ولكان فعل المزيد لولا...

- خلص! - صرخت تمارا - كفى، كفى، كفى! - ارتجفت، قبضتاها على ركبتيها، فيما واصل فيكتور الجلوس بصمت.

- لن أتابع - اتجهت المحققة إلى الفتاة، مسحت رأسها وأخذت يديها على الفور - لن أتحدث... لكننا سنعود إلى القصة. أظهرت الوقائع أن المجرمين أرادوا حقًا أن يسألوك عن شيء ما، لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إليك. بالأمس، أجهد فيكتور ذاكرته ووصف بشيء من التفصيل الشخص الذي قاد عملية الاختطاف. اتضح أن هذا الرجل مألوف جدًا لدى المحققين. على سبيل المثال، يعرفه سيرهي براجنيك، أي المحقق الذي استجوبك عدة مرات... هذا هو أنطون كونوفالوف، حارس دينيس كوفاليفسكي الشخصي، الملقب بدان القرش. اسم مألوف؟

لم تستطع تمارا توميلينا أن تكبت صرخة خرجت منها.

- صحيح. يجب أن تكوني خائفة. فظيع ورهيب - وافقت كيرا - لكن بعدما عرفت من أنت، نظرت إلى كل شيء بطريقة مختلفة تمامًا. كونوفالوف، بلا شك، نفذ أمر كوفاليفسكي، بالضغط على فيكتور. لذا، فإن كوفاليفسكي مهتم بطريقة ما بما رأيته في بيدليسني، في العالم الموازي، في المنطقة الشاذة. أخيرًا، وفقًا لبعض المعلومات، شارك السيد كوفاليفسكي أيضًا في الأحداث التي وقعت قبل أربع سنوات، والتي تطلبت على وجه الخصوص، كسر شامراي وإسكاته. هذه هي الطريقة التي علم بها الخاطف كونوفالوف عما جرى. وهو ما يؤكد مرة أخرى أن كل شيء في هذا العالم متشابك. لكن هل هي صدفة أخرى عرضية. إلى ماذا يقود الفضول المريض الذي يظهره دينيس كوفاليفسكي، المشتبه به الرئيسي في مقتل مصرفي، بشخصية تمارا توميلينا، عشيقة المقتول؟ خاصة إذا اعترفنا، يا تمارا، بأن مغامراتك في بيدليسني لم تزعجه على الإطلاق؟ فيتيا، رجاءً تذكر بالضبط، كلمة بكلمة: ماذا أراد كونوفالوف وأتباعه منك؟

- سألوا "أين كانت؟" و"ما الذي رأته هناك؟" - رد فيكتور.

- الآن، انتباه - صمتت بيريزوفسكا فجأة. باتت هادئة تمامًا - بعد معرفة من هو كونوفالوف، ولمن يعمل وأوامر من ينفذ، فإننا نتساءل عن مصلحة هؤلاء الأشخاص في بيدليسني وجميع أنواع المناطق الشاذة. يحق لنا أن نفترض أن سؤال "أين كانت؟" ليس بالضرورة عن الليلة التي اختفت فيها تمارا. و"ما رأته هناك" ليس بالضرورة في بيدليسني أو في عالم موازٍ آخر. أنت، تمارا، تنقذين حياتك عبر تمثيلك فقدان الذاكرة والتظاهر به. وأنت تعيشين حتى لا تخبري أحدًا أين كنت وماذا رأيت هناك. لقد كنت في منزل هريهوري بيدوبني الريفي حين قتل. ورأيت هناك، يا تمارا، قاتل هريهوري بيدوبني. من هو كوفاليفسكي أم كونوفالوف؟

غطت تمارا توميلينا وجهها بيديها وانتحبت بصوت عالٍ. بكت.

18

لم يتوقع هريهوري ضيوفًا ذلك المساء.

لم يخطط لشيء خاص. عشاء عادي بعد يوم شاق من العمل. تكررت هذه الأمسيات في حياة المصرفي بيدوبني في الأشهر الأخيرة. عندما بدأ الحديث الكارثة المالية العالمية، ضاعف هريهوري نشاطه. على الرغم من أن توما لم تستطع تخيل ذلك، لأن عشيقها، أو بالأحرى حبيبها، عمل قبل ذلك، على ما يبدو، خمسا وعشرين ساعة في اليوم. ولكن مع زيادة أعباء العمل، بدأ هريهوري يخطط جدول أعماله بحيث يتمكن من قضاء هذه الأمسيات مع تمارا أكثر.

ستتذكر دائمًا ذلك اليوم الدافئ من شهر أيلول/سبتمبر عندما وصف هريشا السهرة بـ "العائلية". حتى أنه شدد على هذه الكلمة، وكررها عدة مرات، وتذوقها. أصبحت هذه الكلمة مثيرة بالنسبة إليه، تذوقها، بزوايا فمه كأنها عصير حلو شفاف. أخذت توما ما قاله وسمعته على أنه نظرة إلى المستقبل... واقتراح زواج... لذلك، في ذلك المساء، لم يتوقعا ضيوفًا وكانا في الطبقة الأولى من المنزل، في الصالة حيث المدفأة، عندما سمع هدير سيارة تقترب من الخارج، وعلى الفور تقريبًا تلقى هريهوري مكالمة على هاتفه الخلوي.

- تبا! اصعدي، ابقي هناك. لا حاجة أن تكوني هنا - أمرها بيدوبني وأطاعت توما. ركضت بسرعة على الدرج إلى الطبقة الثاني، وذهبت إلى غرفة النوم، وأغلقت الباب خلفها. لكن بعد خمس دقائق فتحته قليلًا. تحدث الرجال بصوت عالٍ من الأسفل، وعلى الفور دوّى صوت واحد في صرخة.

من شقّ الباب، استطاعت توما، وهي واقفة على العتبة، أن ترى من مكانها جزءًا من القاعة وما كان يحدث هناك. وقف هريهوري في الوسط وظهره لها. في المقابل لوح رجل بيده فتعرفت عليه الفتاة على الرغم من أنها لم تعرفه شخصيًا. ذات مرة رأته في إحدى حفلات استقبال نظمها رئيس البلدية، حيث لم يرغب بيدوبني حقًا في المشاركة، واختفى بعدما مضي نحو أربعين دقيقة. لكن خلال هذا الوقت، تمكن الكثير من الناس التحدث إليه، ومن بينهم ضيف المساء، دينيس كوفاليفسكي. استقبله هريشا على مضض، وصافحه آليًا، لكن السيد كوفاليفسكي أمسك بيد المصرفي لمدة أطول من المعتاد، وذكره ببعض الفرص والاتفاقيات والشؤون المشتركة. لم تفهم تمارا مثل هذه الأشياء الذكورية. ولم ترغب بذلك حقًا.

- هل تعرفين ماذا يسمونه؟ القرش - قال لها جريشا. واكتفى بشرح وجيز - الأفضل الابتعاد عنه. من الأفضل عدم إلقاء التحية عليه. كل تحية ينظر إليها كوفاليفسكي على أنها بادرة

حسن نية. ما يقود إلى مصيبة.

ها هو المدعو القرش يصرخ بل ويضرب بقدمه. ذكره ببعض الاتفاقيات والتحذيرات وأجاب بيدوبني بهدوء أن كل ما يريد قوله، قاله بالفعل بإيجاز وبوضوح في المكتب. لن تكون هناك محادثة أخرى ولا إجابات أخرى في المنزل. لا شيء لنتطلع إليه في المنزل. ثم قام القرش بذكر أسماء غير مألوفة لها، فسمع ردًا: "لست بحاجة إلى مقارنة نفسك بهم. لكل منهم شروط خاصة. لا علاقة لك بهم، حسنًا؟ إذا كنت لا تفهم التلميحات الدقيقة ولم تكن راضيًا عن الأسباب. من فضلك وبدون سبب أترك منزلي". بدأ القرش يصرخ بصوت أعلى، فحذره هريهوري: "بمجرد أنك اتصلت وقلت إنك تقف عند الباب، اتصلت بالشرطة. ستصل الشرطة خلال عشر دقائق، ولم يتبق لديك سوى ثلاث دقائق للذهاب إلى الجحيم". كذب بيدوبني. عرفت تمارا أنه لم يتصل بأي شرطي، على الرغم من أن جميع ضباط الشرطة كانوا يعرفونه في الجوار وحتى أنهم يلقون عليه التحية. كان يخادع القرش. وفجأة مد القرش يده إلى شخص ما كان يقف بالقرب منه، لم تره تمارا من مكانها، وصرخ: "هات". بعد لحظة صوب المسدس على بيدوبني الذي صرخ "اخرج من هنا"، فأتاه صوت أعلى: "اخرج! "ثلاث دقائق؟ تكفيني!"، صرخ القرش. وانطلقت رصاصة.

في البداية، لم تصدق توما ما رأت. فكرت: إنها لعبة رجال، يخيفون بعضهم البعض. لكن بيدوبني أمسك بطنه، وترنح، وسقط على الأرض، وكان القرش ممسكًا بالمسدس وهو يصرخ بشراسة: "تعال! لا تلعب!". في مجال رؤية تمار، تقدم شخص آخر. صوّب مسدسه. أصاب رأس الرجل المصاب.

19

- هو؟ - قرّبت كيرا صورة من تمارا الغارقة في دموعها من الذكريات الحزينة والمروعة. بالكاد نظرت إلى الصورة، أومأت برأسها أي نعم - هذا كوفاليفسكي.. القرش، والثاني ذو الشعر الأسود، بجانبه أنطون كونوفالوف، حارسه الشخصي. في وقت لاحق، حاول معرفة ما إذا كنت قد تحدثت إلى فيكتور أو أي شخص آخر. لم يرياك؟

- رأياني - شهقت توما. صرخت فرفعا رأسيهما. قال القرش: هناك شخص. هرعت، تمكنت بأعجوبة من القفز إلى غرفة النوم، وأقفلت الباب من الداخل. بدأ يطرق الباب، يحاول كسره، ركله... أنقذني هريشا... صرخ "اهربي!"... كذب أيضًا بشأن الشرطة حتى يفرّا، صدقاه... لأن الشخص الذي أطلق النار على رأسه...

- أنطون - ذكّرتها بيريزوفسكا.

- أنطون - انتحبت توما - سمعت كيف أمره رئيسه أن من الضروري المغادرة بسرعة قبل أن تصل الشرطة أو شيء من هذا القبيل. اقترب القرش الباب وقال: سأجدك أيتها العاهرة! ثم... - مسحت عينيها - ثم ذهبا. سمعت السيارة تغادر... و...

- قررت الهرب أيضًا. أبلغت الشرطة عن جريمة القتل في وقت لاحق، عن طريق تغيير الصوت. أنت ممثلة. أفهم سبب هذا السلوك، لكن اشرحي على أي حال. على الأقل لفيكتور كي يفهم.

- سيفهم - نظرت توما إلى شامري المدهوش - إذا اتصلت بالشرطة من المنزل وانتظرتهم، كان علي أن أعطي تفسيرات. أن أُسمّي من أطلق النار على هريهوري. لن يصدق أحد أنني لم أر القاتلين، ولا أنني لم أتعرف إليهما. من يمكن أن يحميني؟

- على وجه التحديد، أنا؟ - ضغطت كيرا بإصبعها على صدرها مؤكدة.

- أنت.. بشكل عام.. هل ستتمكن الشرطة من إنقاذي؟ سأسمي القاتل، سيقبض عليه. لن يكون هناك دليل غير كلامي. سيتركونه يذهب ثم يأتي إلي ويقتلني. أليس كذلك؟

- غريب - عرفت كيرا - لا شيء مفاجئ، لكنها ما زالت تقاوم داخليًا هذه الحقيقة المتحدية، عديمة الرحمة مثل صفعة على الوجه - هل قررت أن تسكتي؟

- ليس على الفور... الفكرة الأولى هي الهرب. بعد ذلك، عندما بدأوا في البحث عن القاتل، أردت بطريقة ما السماح للشرطة بمعرفة مكان البحث... - جاهدت توما في محاولة تكوين الأفكار والجمل بشكل متناسق، لكنها خرجت كما لو أنها نتفٌ ممزقة - لكنني لم أكن حتى أشهد شخصيًا. ثم... ثم وجدوني... بالفعل في تلك الليلة... كيف عرفوا رقمي بيتي وهاتفي المحمول، لا أعرف. يمكن لهؤلاء الأشخاص أن يفعلوا أي شيء... اتصلوا وسألوني عمّا إذا كنت اليوم في منزل الراحل السيد بيدوبني... قلت - لا، لم أكن... قالوا لي كان راعيك ذاك المساء مع امرأة أخرى... ألا تعرفين، من يمكن أن تكون... قلت، لا أعرف شيئًا، لم أر أحدًا - أجهشت بالبكاء مرة أخرى - كررت عدة مرات: لا أعرف شيئًا، لم أر أحدًا، لم أسمع شيئًا.

غطى شامراي عينيه بكفيه، ثم غطى بهما أذنيه، وأخيرًا وضعهما في شفتيه.

- لا أرى، لا أسمع، لا أتكلم - ترجمت بيريزوفسكا لغة الإشارة - هذا هو الموقف الذي اخترته، أليس كذلك؟ ملائم... شخص مقرب يقتل أمام عينيك، ولا تفعلين شيئًا من أجل...

- لا تزعجيني! - صاحت تمارا عبر دموعها - لا يحق لك ذلك! لا يحق لك! لن تمنحيني الأمن على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع لبقية حياتي! الحياة قصيرة جدًا! هل تعتقدين أنه من السهل سجن أشخاص مثل كوفاليفسكي؟ لقد هددني بأنه سيصل إلي، ووصل إليّ كل يوم تقريبًا. أغلقت الهواتف، اقتربوا من الباب، وقالوا شيئًا. لم أكن أعرف من يمكنه حمايتي. لكن ليس القانون هذا مؤكد. لا يوجد قانون يحميني. وهو أيضا من يحميه؟ - أشارت بسبابتها إلى فيكتور.

- توما على حق - قال شامراي - معي... عندما... بكلمة واحدة، أردت أن أقول الحقيقة، قلت ذلك. أين انتصار الخير على الشر؟ لقد أنهكني كلب طوال الليل. كيرا أنطونوفنا، لم يحدث شيء للمجرمين. على الرغم من أن الجميع يعرف من فعل ذلك. أنا أفهمها. كانت تبحث عن طريقة لحماية نفسها بنفسها.

- إذن - قالت بيريزوفسكا بعد توقف قصير، وهي تنظر إلى فيكتور، - كما أرى، فهمت تمثيليتها وكل ما قالته عن المنطقة الشاذة.

- الآن فقط.

- أنا أيضًا، منذ وقت ليس ببعيد - كما ترى، تكاد الخدعة أن تكون ناجحة.

20

كانت تمارا توميلينا تبكي وتصرخ عبر الهاتف أنها لم تر شيئًا ولم تعرف شيئًا. ربما لا يزالون يصدقونها، لأنهم لم يكونوا في عجلة من أمرهم لاتخاذ إجراءات جذرية للتخلص من الشاهدة الخطيرة. ماذا لو كانت الفتاة لا علاقة لها حقًا؟ فقد دان القرش أعصابه فمعظم الطرق تؤدي إليها. لم يصدق تمارا تمامًا، فاستمرت التهديدات. كانت الفتاة في السابق قد شاهدت مسلسلًا تلفزيونيًا لم تعد تتذكر اسمه فيه شخصية تفقد ذاكرتها من أجل تشتيت الانتباه. أعطاها المسلسل الذي شاهدت جميع حلقاته فكرة. ينبغي أن تفقد ذاكرها بحيث يعرف الأمر أكبر عدد ممكن من الناس. فالشاهد الذي فقد ذاكرته سيهمله الجميع عاجلًا أم آجلًا، الشرطة والقتلة.

الآن، وهي جالسة على الأريكة في شقة المحققة، لم تستطع تمارا أن تتذكر بالضبط اللحظة التي قررت فيها بدء تمثيلتها على صفحات الصحيفة الأكثر شعبية في منطقة جيتومير، الصحيفة الوحيدة التي لا يشكك في كذبتها أحد. كانت بيدليسني مناسبة تمامًا كمنطقة شاذة. بقي عليها ابتكار لغز بسيط ومشوق في الوقت نفسه، لا يمكن التحقق منه. فمن غير المرجح أن يبحث أحد عن أشخاص آخرين، باستثناء تمارا، التي سمعت نداء القرية الميتة وتبعت النداء، فاختفت وعادت بفقدان الذاكرة. بعد إعادة قراءة مجموعة من النسخ الإلكترونية من "حقائق لا تصدق" على الإنترنت، قررت تمارا أنها ستروي قصتها الخيالية لفيكتور شامري. الرجل يكتب بشكل مقنع جدا. ولاحقًا، لتأكيد كلامها، لعبت دورًا حقيقيًا، أي في الليلة التي هرعت فيها نحو بيدليسني. في الواقع، لم تقصد القرية، بل قادت سيارتها إلى أوفروتش، ووجدت شقة خاصة بالقرب من محطة السكة الحديد، حيث مكثت لبعض الوقت بدون إظهار أي وثائق. انتزعت لوحات تسجيل السيارة وألقت بها في فتحة الصرف الصحي، وتركتها هناك. قبل ذلك، شوّهتها إلى حد كبير حتى لا يتعرف أحد عليها بسرعة. عندما تحاول إنقاذ حياتك، تغدو السيارة غير مهمة. أخيرًا، اختارت توما اللحظة، وخرجت من الغابة إلى الطريق السريع، ومثّلت أنها كانت فاقدة للوعي أمام سائق شاحنة.

اعترفت كيرا وفيكتور بأن الفتاة لم تبالغ عمليا. ثم سار شامراي على خطاها. لكن في قصة مختلفة تمامًا.

21

- لولا هذه الكذبة يا فيكتور، لما عادت إليك أسوأ ذكريات الماضي. لما تعرضت للضرب على رأسك، ولما وخزوك بحقنة، ولما غرقت في الوحل. معجزة أنك نجوت - لم تعرف كيرا أي مشاعر كانت تحاول أن تثير في شامراي. الكراهية تجاه توما؟.. أم العكس.

- كانت تحاول إنقاذ نفسها - كرر الصحافي - قد لا يفهم الآخرون. أنا أفهمها.

- أوافق، لولا كذبتها، لما كشفوا جريمة أخرى، صدقاني، الجريمة الأكثر فظاعة. هنا سيُعاقب المرتكبون جميعًا - قالت كيرا وهي تشعر أن قولها يمكن أن يكون كلامًا فارغًا.

- كيف تخططين للمضي قدما؟ - استفسر شامراي - هل أنت مستعدة للقبض على مثله.. القرش كوفاليفسكي؟ ربما حارسه الشخصي؟

- هناك ما يكفي من الأكاذيب في هذه القصة. أنا لن أكذب. لن يكون من الممكن احتجازهم إلا على أساس أدلة قوية.

- هل يمكنك حمايتي؟ - سألتها الفتاة مرة أخرى.

- لا. لا يمكنني أن أعدك بذلك. ستساعد شهادتك بالتأكيد، لكن لا يوجد دليل آخر. مع إمكانيات القرش لن يحميك أحد كشاهد مهم. لا يوجد ضمانة أمنية. أقول الحقيقة: أنت، تمارا، تخاطرين بحياتك من خلال الإدلاء بشهادتك، أكثر من عدم الإدلاء بها والاستمرار في تمثيل فقدان الذاكرة. لكن إذا قدمت دليلًا، فسنحاول القبض على دان القرش... معاقبته...

- ثم يمكنك توقيفي لتمثيلي فقدان الذاكرة واختلاق قصة خرافية عن المنطقة الشاذة! - قاطعتها تمارا - أنا أعرف من قتل هريهوري. تعلمين، المعرفة وحدها لن تنقذني من الموت يا كيرا أنطونوفنا. سأبقى صامتة. لن أقول كلمة واحدة. لم أر أحدًا، لم أسمع شيئًا.

جلست بيريزوفسكا بجانب الفتاة، عانقتها، شعرت بكتفيها يرتجفان، شعرت بخوفها، وفهمت الأمر بعمق أكبر.

- تمام. فليكن كذلك. كما يحلو لك - تقطع صوت المحققة - لكنّي أريد... يمكنني أن أفعل شيئًا من أجلك...

- ماذا بالضبط؟ - نظرت تمارا إلى المرأة، وعيناها تلمعان بالدموع.

- عيشي هنا الآن. معي. حسنًا... في الوقت الحالي... هنا، في شقتي، لن يمسك أحد... أعتقد ذلك...

تراجعت كيرا بيريزوفسكا، المرأة الأربعينية الوحيدة التي لا نصيب لها في الجمال. عانقت تمارا فجأة، وضغطت رأسها على صدرها، دون أي تردد. عانقت فيكتور بقوة، وطبعت قبلة رقيقة وجافة على رأسه. لو تمكنت كيرا من الزواج في صباها وأنجبت فتاة، لكانت تمارا الآن ابنتها.

القسم الرابع حماية براجنيك

ليلة رأس السنة، تساقطت الثلوج للمرة الأولى. منذ سنوات لم تتساقط في هذا الوقت من السنة. غطت الأرض طبقة بيضاء سميكة ناعمة، قشرة ثلجية متجمدة تحت القدمين، وخز منسي في الخدين والأنف. صمدت الثلوج حتى عيد الميلاد32. احتفل به سيرهي في المنزل، في دائرة عائلية هادئة. للمرة الأولى منذ عشرين عامًا، يقضي براجنيك عطلة الأعياد في المنزل، وكان يعلم أنه لن يتحول إلى جثة. مرت الرصاصة في جسمه ولم تصب إلا الأنسجة الرخوة. باستثناء فقدان الدم، لم يحدث ضرر جسيم. التأم الجرح بسرعة. استعاد نشاطه بعد عيد الميلاد.

في وقت متأخر من مساء ليلة الغطاس33، قال لزوجته إنه سيعود بعد ساعة أو ساعة ونصف بمجرد أن ينتهي من أمر ضروري. لم تسأل لودا إلى أين، لأنها كانت تعلم أنه لم يعد في الخدمة، ما يعني أن كل شيء سيكون على ما يرام. حتى شباط/فبراير، وعد الرجل أن يبقى في المنزل، آنذاك سيدرس الخيارات الممكنة. اتصلوا به بالفعل عدة مرات. أجرى رئيس دائرة التحقيقات الجنائية عدة مكالمات، وكان المحقق المتقاعد جاهزًا لتلقي عرض وظيفة أكثر هدوءًا في دائرة لم تتأثر بالأزمة المالية، وكانت ترحب بالموظفين المحترفين.

إلا أن براجنيك لم يرغب في ترك القضية على حالها، أو نسيانها ليمر عليها الزمن. ينبغي أن ينبري شخص لحماية أولئك الذين لا يستطيع حمايتهم أحد. سيارته تعمل. كانت قد سحبت من بيدليسني إلى أقرب محطة صيانة، حيث استبدلوا عجلاتها المثقوبة بالرصاص. لم ينظر أحد، كما توقع سيرهي، إلى صندوقها. لم تكن هناك حاجة. خرج براجنيك من المرأب وتوجه إلى مخرج جيتومير. في السيارة، أدار الراديو، ووجد محطة موسيقى هادئة. رافقته وهو يمر في شوارع مدينته.

قبل عطلة الأعياد، عندما خرج من المستشفى، كان سيرهي مشغولًا في المنزل، جاءت كيرا لزيارته. تحدثت عرضًا عن أن قضية الثماني عشرة جثة تشير خيوطها إلى مخططات دينيس كوفاليفسكي. كان لدى براجنيك انطباع بأن دان القرش يمكن أن يكون وراء كل شيء سيء في هذا العالم. من المستحيل وضع حد له. لقد أفلت من قبل، والآن، بعدما بات أكثر خبرة، لديه علاقة غير مباشرة بكل الجرائم بطريقة ما، بشكل غير مباشر. لكن، سيرهي براجنيك، سيضع حدا له.

صارت المدينة وراءه، انتقل بهدوء إلى الضواحي. إذا انعطف يمينًا هنا، يمكنه الوصول إلى مبنى صغير من طبقتين. الطبقة الأولى عبارة عن مطعم صغير وساونا، يقصدها كثيرون من النخبة. تحتوي الطبقة الثانية على ثلاث غرف فقط. هي عبارة عن بيت دعارة صغير خاص بالنخبة. إحدى فتيات البيت كانت على اتصال بزميل لبراجنيك. وهي الفتاة نفسها التي قدمت، عن غير قصد، دليلًا على وجود حفاري القبور المتواطئين مع كوليا بوزير في الساونا، ليلة اختفاء تمارا توميلينا. لم يركن براجنيك السيارة أمام المبنى. فكر في الفتاة التي تجمعها علاقة بزميله المحقق، فهي مهمة جدًا لأنها تُستدعى غالبًا إلى ساونا النخبة. وتتكون هذه النخبة من عشرة متنفذين، ثمانية منهم يخضعون لمراقبة أجهزة الأمن. لذلك، كان دينيس كوفاليفسكي مغرمًا جدًا بقضاء الأمسيات

في هذه الساونا. أبلغته الفتاة متى سيكون دان القرش في الساونا، كان الأمر سريًا، حتى زميله الذي يرعى قوّاد هذه الفتاة لم يعرف بالصفقة بينها وبين براجنيك. نزل النقيب المتقاعد من السيارة من دون أن يوقف الموسيقى، فتح الصندوق.

هناك، في بيدليسني عندما عثروا عليه مصابًا في السيارة، قال إنه كان يبحث عن علبة الإسعافات الأولية. لم يكن هناك ما يثير الدهشة في ذلك. لكن في الواقع، احتلت علبة الإسعافات المقام الثاني في اهتماماته. كان قد التقط أحد المدافع الرشاشة وعددًا من الأمشاط من ساحة المعركة. استرشد براجنيك بغريزة واحدة مفهومة، فوضع السلاح والذخيرة في صندوق السيارة وغطاها بقطعة من القماش. بعد حمله المدفع الرشاش حوّله إلى وضعية إطلاق النار التلقائي. أخرج قبعة طويلة ذات شقوق للعينين من جيب سترته وغطى بها رأسه ووجهه. ارتدى قفازات جلدية. التقط الرشاش ودخل. لم يكن الباب الأمامي مغلقًا، فالضيوف الأعزاء دائمًا موضع ترحيب هنا. كانت القاعة الصغيرة شبه الداكنة، مضاءة بفوانيس حمر وخضر حميمة. خلف البار وقف رجل يرتدي قميصًا أبيض وسترة، عندما رأى مسلحًا مقنّعًا، حرك يده المرتجفة نحو الهاتف. من مكانه، رأى سيرهي خوفه، فهز له رأسه أن لا تفعل. ثم رفع سبابته إلى شفتيه أن اصمت. أومأ النادل برأسه، وجلس، واختفى خلف البار. عبر القاعة بخطوات قليلة طويلة ولم يرغب بإحداث أي ضوضاء غير مرغوب فيها. وصل إلى البار، نظر إلى النادل، من فوق، فأومأ النادل في اتجاه الساونا.. أي هناك. نظر إلى عينيه مباشرة. أتكذب؟ فهز النادل رأسه بنشاط.. إنهم هناك.. وانزوى تحت البار مرتعبًا.

ركض براجنيك بسرعة على الدرج. ممر صغير، ثلاث غرف مصطفة إلى الجانب الأيمن. الأول مغلق، والباب مظلم ولا يصدر صوت من الداخل. والثاني مغلق أيضًا، لكن شريط من الضوء تحته، وتُسمع أصوات من الداخل. تراجع قليلا ثم ركله فانفتح. مفروشات متواضعة. سرير، مصباح، طاولة. عند رؤية الضيف غير المتوقع، تدحرجت الفتاة العارية من السرير إلى الأرض وهي تصرخ. معها كان أنطون كونوفالوف الأسود الشعر. في لحظة، حاول الوصول إلى مسدسه، لكن المدفع الرشاش لم يمهله فدوّت الطلقات ومزّقته. طار إلى الغرفة الثالثة فوجد دينيس كوفاليفسكي. أفرغ فيه الرصاصات المتبقية في المشط. أحدث ثقوبًا في صدره لكنه لم يصب الوجه. يجب التعرف عليه. في الخارج ملأ صراخ الفتيات المرتعبات المكان. ركض براجنيك بسرعة نحو الطبقة السفلية. انحنى النادل له بحذر من خلف البار، رفع سيرهي إبهامه لأعلى. خرج من المبنى، ألقى الرشاش على الثلج. تخلص من قناعه. جلس خلف عجلة القيادة، واستدار بالسيارة وانطلق بعيدًا.

استمر عزف الموسيقى... نُفّذت المهمّة.

علم براجنيك من زملائه السابقين أن هذه البنادق الهجومية كانت في أحد مستودعات منطقة زابوروجيا، وقد بيعت بشكل غير قانوني منذ حوالي سنة. من السهل جدا افتراض أن جميع مقاتلي المجموعة مسلحون. وطالما لم يعثر المحققون على بصمات، يمكن استنتاج أن أحد المجرمين قد سئم جدًا من دينيس كوفاليفسكي، والمدفع الرشاش سيقود إليه. والآن، يمكن لأي شخص كان قادرًا على قتل دان القرش أن يدّعي ذلك، وفي المقابل يمكن للخائفين منه أن يرتاحوا. وهم كثر. لن يخبر كيرا بأي شيء. بعدما سمعت نبأ مقتل كوفاليفسكي وكونوفالوف، ستفهم بنفسها.

يمكن لتوما توميلينا الآن أن تعود إلى منزلها. وبعد ذلك، ربما، فلتحاول أن تبدأ حياة جديدة. أيّ حياة؟ غير مهم.

الأمر الوحيد المهمّ الآن. أنها أمسية هادئة قبل عيد الغطاس...

تشرين الثاني/نوفمبر 2008 - شباط/فبراير 2009

كييف، نيجين

Notes

[1←]
راديو توتشكا: جهاز استقبال البث السلكي، حيث كان إرسال الإذاعة الرسمية يصل عبر الخطوط السلكية إلى معظم البيوت في الاتحاد السوفياتي، ويوصل المتلقي جهازه بمقبس خاص في الجدار ليستقبل البث، وهي خدمة غير مجانية تُدفع رسومها شهريًا.

[2←]
كوبيكا: جزء من مئة من الهريفنا؛ وحدة النقد الأوكرانية.

[3←]
فيتيا وفيتكا: صيغتا تصغير وتحبب لاسم فيكتور.

[4←]
الاسم الشائع لوكالة الاستخبارات العسكرية الخارجية لدى هيئة الأركان العامة في اتحاد جمهوريات السوفيات الاشتراكية.

[5←]
هاليا: صيغة تصغير وتحبب لاسم هالينا.

[6←]
توما وتوم: صيغتا تصغير وتحبب من اسم تمارا.

[7←]
إكس فايلز" و"ميديوم": من المسلسلات التلفزيونية الأميركية ذات الشهرة المتوسطة، التي تتخصص في دراسة الظواهر الخارقة للطبيعة.

[8←]
الكشف الحيوي: تحديد الموقع بالصدى (الموجات الصوتية)، ويُطلق عليه أيضًا السونار الحيوي. وهو رصد صدى الأجسام الحيّة في البيئة المحيطة بها. تستخدم هذه الأصداء لتحديد الأجسام وتصنيفها.

[9←]
المناطق الجيوباثية: مناطق على سطح الأرض، يُدعى أن فيها بعض الظواهر الجيولوجية غير المعروفة للعلم، يُزعم أنها تؤثر سلبًا على صحة الإنسان والحيوان والنبات.

[10←]

عنوان أحد فصول رواية الكاتب الاسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون (1850-1894) "جزيرة الكنز" (1883)، ومن شخصياتها القرصان بيو وبيلي جونز.

[11←]
قصة السنين الغابرة"، أو "مخطوطات نيستور"، أو "الحوليات الأولى": أقدم السجلات الروسية القديمة التي وصلت كاملة إلى الوقت الحاضر، وهي محفوظة في خمس مخطوطات منسوخة في القرنين الرابع عشر والسادس عشر. كتبت في كييف عام 1110، وشكلت أساس معظم السجلات الروسية اللاحقة. يبدأ قسمها التمهيدي بالعصور التوراتية وينتهي بأحداث عام 1117. أما تأريخ رُوس القديمة في السجلات فيبدأ من صيف عام 6360 (852 للميلاد).

[12←]
هريشا: صيغة تصغير وتحبّب من اسمي هريهوري (غريغوري) وهيورهي (غيورغي).

[13←]
جيغولي أو "لادا كلاسيك": سيارة سوفياتية الصنع، صغيرة الحجم خفيفة ذات أربعة مقاعد، من إنتاج "آفتوفاز". ولعل المقصود موديل "فاز 2101"، المسمى "كوبيكا".

[14←]
ميكروباص راف. ميكروباص سوفياتي الصنع، بدأ إنتاجه "مصنع ريغا للحافلات" في لاتفيا السوفياتية، عام 1976.

[15←]
شبكة هارتمان هي شبكة جيولوجية بيولوجية موجودة على الأرض، وفقًا للفرضية التي طرحها الباحث الألماني هارتمان، فإن هذه الشبكة تتشابك تقريبًا مع سطح الأرض بالكامل، ويتناقص حجم "خلايا" الشبكة (2.0× 2.5م) كلما ابتعدنا عن خط الاستواء واقتربنا من القطبين. يزعم مؤيّدو هذه الفرضية أن تقاطعات الشبكة تشكل مناطق جيوباثية غير مواتية للصحة، ويزعمون أنه يمكن إيجادها بواسطة الكشف الحيوي.

[16←]
المقصود أنه كمن شرب كمية من الفودكا لا تزيد عن مئة ميليلتر.

[17←]
جيتوميرسكا نا برونكاخ": فودكا أكواز أشجار البتولا، من إنتاج مصنع جيتومير للتقطير.

[18←]
كاتيا: صيغة تصغير وتحبب من اسم كاترينا (يكاترينا)

[19←]
حساء البورش: حساءأوكراني شهير، يتكون من الشمندر الأحمر واللحم والبطاطس والبصل والبندورة والثوم والبقدونس، يقدم ساخنًا وتضاف إليه قبل التقديم مباشرة ملعقة من السميتانا (قشدة اللبن الرائب).

[20←]
السود (ذوو الشعر الأسود): المقصود أبناء شعوب جنوب دول الاتحاد السوفياتي السابق.

[21←]
الخيمتان (أو الغرفتان) الحمراء والبيضاء: ظهرتا في المسلسل التلفزيوني الأميركي "توين بيكس". وهما مكانان متسلسلا الأبعاد. يشاهد العميل كوبر "الغرفة الحمراء" في حلم مبكر من المسلسل. وعندما تتكشف الأحداث يصبح من الواضح أن شخصيات الحلم والغرفة الحمراء وغرفة أخرى بيضاء متصلة ببعضها البعض. توين بيكس (Twin Peaks): مسلسل تلفزيوني أمريكي من تأليف وإخراج مارك فروست وديفيد لينش. تألف موسماه الأولان (1990-1991) من ثلاثين حلقة. تدور قصة المسلسل حول العميل الخاص في مكتب التحقيقات الفيدرالي ديل كوبر ومتابعته لقضية مقتل الفتاة المراهقة لورا بالمر في بلدة خيالية في ولاية واشنطن اسمها توين بيكس وتواجهه عقبات خارقة للطبيعة.

[22←]
ساموغون: مشروب كحولي قوي، منتشر في دول الاتحاد السوفياتي، مصنوع منزليًا من الخبز والبطاطس ومن كل ما يمكن تقطيره على كركة يدوية الصنع.

[23←]
كوليا: صيغة تصغير وتحبب من اسم ميكولا (نيقولاي).

[24←]
فوكس مولدر ودانا سكالي هما شخصيتان من سلسلة التحقيقات الغرائبية الأمريكية الشهيرة "إكس فايلز". زوجان يعملان في مكتب التحقيقات الفيدرالي، يحققان في الجرائم المتعلقة بالظواهر الخارقة.

[25←]
تشيبوراشكا: إحدى الشخصيات الرئيسة في قصة "التمساح غينا وأصدقائه" للكاتب أدب الأطفال الروسي إدوارد أوسبينسكي، صدرت عام 1966. اكتسبت هذه الشخصية الخيالية شهرة واسعة بعد تحويل القصة إلى مسلسل للرسوم المتحركة للمخرج رومان كاتشانوف سنة 1969.

[26←]
جنتلمانات الحظ" – فيلم كوميدي سوفياتي للمخرج ألكسندر سيري، من إنتاج "موسفيلم"، عرض للمرة الأولى عام 1972. يعتبر من أشهر الأفلام السينمائية السوفياتية، حيث شاهده 65.2 مليون مشاهد.

[27←]
إيديك: صيغة تصغير وتحبب من اسم إدوارد.

[28←]
مبدأ فنغ شوي (القرن العشرين قبل الميلاد) فنّ التناغم مع الفضاء المحيط وتدفقات الطاقة من خلال البيئة وتصالح الإنسان مع الذات والطبيعة لخلق الفضاء الإيجابي.

[29←]
سجلات نارنيا: سلسلة من سبع روايات خيالية فانتازية صدرت في لندن بين 1950 و1956 للإرلندي كليف (جاك) لويس (1898-1963).

[30←]
موسيقيو بريمن: قصة شعبية خيالية للأخوين غريم، نشرت سنة 1819 في كتاب "حكايا خرافية من ألمانيا" ("حكايا غريم الخرافية"). تتضمن حكاية أربعة حيوانات أليفة منبوذة (حمار، كلب، قطة، ديك) حاول مالكوها التخلص منها. إلتقت

الحيوانات على طريق مدينة بريمن وقررت تشكيل فرقة موسيقية تجوب شوارع المدينة. أما المقصود في النص فهو فيلم الرسوم المتحركة السوفياتي "موسيقيو بريمن" (1969) للمخرجة إينيسّا كوفاليفسكايا، المبني على سيناريو يوري إينتين وفاسيلي ليفانوف، اللذين يرويان القصة على طريقتهما.

[31←]
سانتا باربرا: مسلسل تلفزيوني أمريكي بثته قناة "إن بي سي" بين 30 تموز/يوليو 1984 و15 كانون الثاني/يناير 1993. يتناول حياة عائلة كابويل الثرية في سانتا باربرا، كاليفورنيا المليئة بالأحداث. حظيت النسخة المدبلجة إلى الروسية منه بشهرة واسعة في جميع أنحاء دول الاتحاد السوفياتي السابق، حيث عرض على شاشة "أر. تي. أر"، بالتزامن مع انهيار الاتحاد السوفياتي مطلع التسعينيات.

[32←]
الميلاد، عيد الميلاد المجيد: وفق تقويم الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في السابع من كانون الثاني/يناير.

[33←]
الغطاس: إحياء ذكرى معمودية يسوع المسيح على يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن، يحتفل بها وفق التقويم الشرقي في 19 كانون الثاني/يناير.